١٣١٠/١٤٥٣

٣٤٧

Süleymaniye Kütüphanesi
Kısmı: Fatih
Yeni Kayıt No:
Eski Kayıt No: 347

هذا اول كتاب
قاضي زاده

عدد اوراق ايكي يوز ايكي بدر
جزء الاول محمد بن علي الصالحي

K. 435

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي انزل القرآن كلاما مؤلفا منظما ونزله بحسب
المصالح منجما وجعله بالاستعال محتما واوحاه على قسمين متشابها ومحكما و
فصله سورا وسوره آيات وميز بينهن بفصول وغايات
وما هي الا صفات مبتدإ مبتدع وسمات منشئ مخترع
فسبحان من استاثر بالاولية والقدم ووسم كل شيء سواه بالحدوث
عن العدم انشاه كتابا ساطعا تبيانه قاطعا برهانه وحيا ناطقا
ببينات وحجج قرآنا عربيا غير ذي عوج مفتاحا للمنافع الدينية
والدنيوية مصداقا لما بين يديه من الكتب السماوية معجزا
باقيا دون كل معجز على وجه كل زمان دائرا من بين سائر الكتب على كل
لسان في كل مكان افحم به من طولب بمعارضته من العرب
العرباء وابكم به من تحدى به من مصاقع الخطباء فلم يتصد
للاتيان بما يوازيه او يدانيه واحد من فصحائهم ولم ينهض بمقدار
اقصر سورة منه ناهض من بلغائهم على انهم كانوا اكثر من حصى البطحاء
واوفر عددا من رمال الدهناء ولم ينبض منهم عرق العصبية
مع اشتهارهم بالافراط في المضادة والقائهم الشراشر على المعازة والمعا
ولقائهم دون المناضلة عن احسابهم الخطط وركوبهم في كل ما يرومونه

الشطط ان اتاهم احد بمفخرة اتوه بمفاخر وان رماهم بمأثرة
رموه بمآثر وقد جرد لهم الحجة اولا والسيف آخرا فلم يعارضوا
الا السيف وحده على ان السيف القاضب مخراق لاعب ان
لم تمض الحجة حده فما اعرضوا عن معارضة الحجة الا لعلمهم ان البحر
قد زخر فطم على الكواكب والصلوة على خير من اوحي اليه حبيب
الله ابي القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ذي اللواء
المرفوع في بني لؤي وذي الفرع المنيف في عبد مناف بن قصي
المثبت بالعصمة المؤيد بالحكمة الشادخ الغرة الواضح التحجيل النبي
الامي المكتوب في التورية والانجيل وعلى آله الاطهار وخلفائه
من الاختان والاصهار وعلى جميع المهاجرين والانصار اعلام
متن كل علم وعمود كل صناعة طبقات العلماء فيه متدانية و
اقدام الصناع فيه متقاربة او متساوية ان سبق العالم العالم لم يسبقه
الا بخطى يسيرة او تقدم الصانع الصانع لم يتقدمه الا بمسافة قصيرة
واما الذي تباينت فيه الرتب وتحاكت فيه الركب ووقع فيه الاستباق
والتناضل وعظم التفاوت والتفاضل حتى انتهى الامر الى امد
من الوهم متباعد وترقى الى ان عد الف بواحد فما في العلوم والصناعات
من محاسن النكت والفقر ومن لطائف معان فيها مباحث للفكر

ومن غوامض اسرار محتجبة وراء استار لا يكشف عنها من الخاصة
الا اوحدهم واخصهم والا واسطتهم وفصهم وعامتهم عماة عن ادراك
حقايقها باحداقهم عناة في يد التقليد لا يمن عليهم بجز نواصيهم واطلاقهم
ثم ان املا العلوم بما يغمر القرايح وانهضها بما يبهر الالباب
القوارح من غرايب نكت يلطف مسلكها ومستودعات
اسرار يدق سلكها علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه واجالة
النظر فيه كل ذي علم كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القران فالفقيه
وان برز على الاقران في علم الفتاوي والاحكام والمتكلم وان بز
اهل الدنيا في صناعة الكلام وحافظ القصص والاخبار وان
كان من ابن القرية احفظ والواعظ وان كان من الحسن البصري
اوعظ والنحوي وان كان انحى من سيبويه واللغوي وان علك اللغات
بقوة لحييه لا يتصدى منهم احد لسلوك تلك الطرايق ولا يغوص على شي من
تلك الحقايق الا رجل قد برع في علمين مختصين بالقران وهما علم المعاني
وعلم البيان وتمهل في ارتيادهما اونة وتعب في التنقير عنهما ازمنة
وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطايف حجة الله وحرص على استيضاح
معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان يكون اخذا من ساير العلوم بحظ جامعا
بين امرين تحقيق وحفظ كثير المطالعات طويل المراجعات قد رجع

قد رجع زمانا ورجع اليه ورد ورد عليه فارسا في علم الاعراب
مقدما في حملة الكتاب وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها
مشتعل القريحة وقادها يقظان النفس دراكا للمحة وان لطف
شانها منتبها على الرمزة وان خفي مكانها لا كزا جاسيا ولا غليظا
جافيا متصرفا ذا دربة باساليب النظم والنثر مرتاضا
غير ريض بتلقيح بنات الفكر قد علم كيف يرتب الكلام ويولف
وكيف ينظم ويرصف طالما دفع الى مضايقه ووقع في مداحضه
ومزالقه ولقد رايت اخواننا في الدين من افاضل الفئة الناجية
العدلية الجامعين بين علم العربية والاصول الدينية كلما رجعوا الي في
تفسير اية فابرزت لهم بعض الحقايق من الحجب افاضوا في الاستحسان
والتعجب واستطيروا شوقا الى مصنف يضم اطرافا من ذلك حتى
اجتمعوا الي مقترحين ان املي عليهم الكشف عن حقايق التنزيل وعيون
الاقاويل في وجوه التاويل فاستعفيت فابوا الا المراجعة والاستشفاع
بعظماء الدين وعلماء التوحيد والعدل والذي حداني على الاستعفاء
على علمي انهم طلبوا ما الاجابة اليه علي واجبة لان الخوض فيه كفرض العين
ما ارى عليه الزمان من رثاثة احواله وركاكة رجاله وتقاصر هممهم
عن ادنى عدد هذا العلم فضلا ان تترقى الى الكلام المؤسس على علم المعاني

والبيان فامليت عليهم مسئلة في الفواتح وطايفة من الكلام في حقايق
سورة البقرة وكان كلاما مبسوطا كثير السوال والجواب طويل الذيول والاذناب
وانما حاولت به التنبيه على غزارة نكت هذا العلم وان يكون لهم
منارا ينتحونه ومثالا يحتذونه فلما صمم العزم على معاودة جوار الله
والاناخة بحرم الله وتوجهت تلقاء مكة وجدت في مجتازي بكل بلد
من فيه مسكة من اهلها وقليل ما هم عطشى الاكباد الى العثور على ذلك
المملى متطلعين الى ايناسه حراصا على اقتباسه فهز ما رايت من عطفي
وحرك الساكن من نشاطي فلما حططت الرحل بمكة اذا انا بالشعبة
السنية من الدوحة الحسنية الامير الشريف الامام شرف ال رسول
الله ابي الحسن علي بن عيسى بن حمزة بن وهاس ادام الله مجده وهو النكتة
والشامة في بني الحسن مع كثرة محاسنهم وجموم مناقبهم اعطش الناس كبدا
والهبهم حشا واوفاهم رغبة حتى ذكر انه كان يحدث نفسه في مدة غيبتي
عن الحجاز مع تزاحم ما هو فيه من المشاغل بقطع الفيافي وطي المهامه والوفادة
علينا بخوارزم ليتوصل الى اصابة هذا الغرض فقلت قد ضاقت علي المستقالة
وعيت به العلل ورايتني قد اخذت مني السن وتقعقع الشن
وناهزت العشر التي سمتها العرب دقاقة الرقاب فاخذت في
طريقة اخصر من الاولى مع ضمان التكثير من الفوايد والفحص عن السراير ووفق

الله وسدد ففرغ منه في مقدار مدة خلافة ابي بكر الصديق وكان
يقدر تمامه في اكثر من ثلثين سنة وما هي الا اية من ايات هذا
البيت المحرم وبركة افيضت علي من بركات هذا الحرم المعظم
اسال الله ان يجعل ما تعبت فيه منه سببا ينجيني ونورا لي على الصراط يسعى
بين يدي وبيميني ونعم المسئول

سورة فاتحة الكتاب

مكية وقيل مكية ومدنية لانها نزلت بمكة مرة وبالمدينة اخرى وتسمى ام القران لاشتمالها
على المعاني التي في القران من الثناء على الله تعالى بما هو اهله ومن التعبد
بالامر والنهي ومن الوعد والوعيد وسورة الكنز والوافية لذلك وسورة
الحمد والمثاني لانها تثنى في كل ركعة وسورة الصلوة لانها تكون فاضلة او مجزية
بقراءتها فيها وسورة الشفاء والشافية وهي سبع ايات بالاتفاق الا ان
منهم من عد انعمت عليهم دون التسمية ومنهم من مذهبه على العكس

بسم الله الرحمن الرحيم قراء المدينة والشام والبصرة وفقهاؤها
على ان التسمية ليست باية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وانما كتبت
للفصل والتبرك بالابتداء بها كما بدئ بذكرها في كل امر ذي بال وهو مذهب
ابي حنيفة رح ومن تابعه ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلوة وقراء مكة والكوفة
وفقهاؤهما على انها اية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي واصحابه و
لذلك يجهرون بها وقالوا قد اثبتها السلف في المصحف مع توصيتهم بتجريد

القرآن ولذلك لم يثبتوا آمين ولولا انها من القرآن لما اثبتوها وعن ابن عباس من تركها
فقد ترك مائة واربع عشرة آية من كتاب الله فان قلت بم تعلقت الباء قلت
بمحذوف تقديره بسم الله اقرأ او اتلو لان الذي يتلو التسمية مقروء كما ان المسافر اذا حل
او ارتحل فقال بسم الله والبركات كان المعنى بسم الله احل وبسم الله ارتحل وكذلك
الذابح وكل فاعل يبدأ في فعله بسم الله كان مضمرا ما جعل التسمية مبدأ له ونظيره
في حذف متعلق الجار قوله عز وجل في تسع آيات الى فرعون وملائه اي اذهب في تسع
آيات وكذلك قول العرب في الدعاء للمعرس بالرفاء والبنين وقول الاعرابي باليمن
والبركة بمعنى اعرست او نكحت ومنه قوله فقلت الى الطعام فقال منهم فريق نحسد
الانس الطعاما فان قلت لم قدرت المحذوف متأخرا قلت لان الاهم من الفعل
والمتعلق به هو المتعلق به لانهم كانوا يبدؤن باسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات باسم
العزى فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وجل بالابتداء وذلك بتقديمه
وتأخير الفعل كما فعل في قوله اياك نعبد حيث صرح بتقديم الاسم ارادة للاختصاص والدليل
عليه قوله بسم الله مجراها ومرساها فان قلت فقد قال اقرأ باسم ربك فقدم الفعل قلت
هناك تقديم الفعل اوقع لانها اول سورة نزلت فكان الامر بالقراءة اهم فان قلت
ما معنى تعلق اسم الله تعالى بالقراءة قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بها تعلق القلم بالكتبة
في قولك كتبت بالقلم على ان المؤمن لما اعتقد ان فعله لا يجيء معتدا به في الشرع واقعا على
السنة حتى يصدر بذكر اسم الله لقوله عليه السلام كل امر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله

فهو ابتر والا كان فعلا كلا فعل جعل فعله مفعولا باسم الله كما يفعل الكتب بالقلم والثاني
ان يتعلق به تعلق الدهن بالانبات في قوله تنبت بالدهن على معنى متبركا
باسم الله اقرأ وكذلك قول الداعي للمعرس بالرفاء والبنين معناه اعرست ملتبسا
بالرفاء والبنين وهذا الوجه اعرب واحسن فان قلت فكيف قال
تبارك وتعالى متبركا باسم الله اقرأ قلت هذا مقول على السنة العباد كما يقول الرجل
الشعر على لسان غيره وكذلك الحمد لله رب العالمين الى آخره وكثير من القرآن على
على هذا المنهاج ومعناه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه وكيف يحمدونه
ويمجدونه ويعظمونه فان قلت من حق حروف المعاني التي جاءت
على حرف واحد ان تبنى على الفتحة التي هي اخت السكون نحو كاف
التشبيه ولام الابتداء وواو العطف وفائه وغير ذلك فما بال
لام الاضافة وبائها بنيتا على الكسر قلت اما اللام فللفصل بينها وبين
لام الابتداء واما الباء فلكونها لازمة للحرفية والجر والاسم احد الاسماء
العشرة التي بنوا اوائلها على السكون فاذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة
لئلا يقع ابتداؤهم بالساكن اذ كان دأبهم ان يبتدئوا بالمتحرك ويقفوا
على الساكن لسلامة لغتهم عن كل لكنة وبشاعة ولوضعها على غاية من الاحكام
والرصانة واذا وقعت في الدرج لم يفتقر الى زيادة شيء ومنهم من لم يزدها
واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم قال باسم الذي في كل سورة سمه

سِمة وهو من الاسماء المحذوفة الاعجاز كيد ودم واصله سمو بدليل تصريفه كاسماء وسمي وسميت واشتقاقه من السمو لان التسمية تنوية بالمسمى واشادة بذكره ومنه قيل للقب النبز من النبز وهو رفع الصوت والنبز قشر النخلة الاعلا فان قلت فلم حذفت الالف في الخط واثبتت في قوله باسم ربك قلت قد اتبعوا في حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذي عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال وقالوا طولت الباء تعويضا من طرح الالف وعن عمر بن عبد العزيز انه قال لكاتبه طول الباء واظهر السينات ودور الميم والله اصله الاله قال معاذ الاله ان تكون كظبية ونظيره الناس اصله الاناس قال ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا فحذفت الهمزة وعوض منها حرف التعريف ولذلك قيل في النداء يا الله بالقطع كما يقال يا اله والاله من اسماء الاجناس كالرجل والفرس اسم يقع على كل معبود بحق او باطل ثم غلب على المعبود بحق كما ان النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذلك السنة على عام القحط والبيت على الكعبة والكتاب على كتاب سيبويه واما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره ومن هذا الاسم اشتق تأله واله واستأله كما قيل استنوق واستحجر في الاشتقاق من الناقة والحجر فان قلت اسم هو او صفة قلت بل اسم غير صفة الا تراك تصفه ولا تصف به لا تقول شيء اله كما لا تقول شيء رجل وتقول اله واحد صمد كما تقول رجل كريم خير وايضا فان صفاته تعالى لا بد لها من موصوف تجري عليه فلو جعلتها كلها صفات بقيت غير

جارية على اسم موصوف بها وهذا محال فان قلت هل لهذا الاسم اشتقاق قلت معنى الاشتقاق ان ينتظم الصيغتين فصاعدا معنى واحد وصيغة هذا الاسم وصيغة قولهم اله اذا تحير ومن اخواته دله وعله ينتظمهما معنى التحير والدهشة وذلك ان الاوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذلك كثر الضلال وفشا الباطل وقل النظر الصحيح فان قلت هل تفخم لامه قلت نعم قد ذكر الزجاج ان تفخيمها سنة وعلى ذلك العرب كلهم واطباقهم عليه دليل انهم ورثوه كابرا عن كابر والرحمن فعلان من رحم كغضبان وسكران من غضب وسكر وكذلك الرحيم فعيل منه كمريض وسقيم من مرض وسقم وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قالوا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا ويقولون ان الزيادة في البناء لزيادة المعنى وقال الزجاج في الغضبان هو الممتلئ غضبا ومما طن على اذني من ملح العرب انهم يسمون مركبا من مراكبهم بالشقدف وهو مركب خفيف ليس في ثقل محامل العراق فقلت في طريق الطائف لرجل منهم ما اسم هذا المحمل اردت المحمل العراقي فقال أليس ذاك اسمه الشقدف قلت بلى قال فهذا اسمه الشقنداف فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمى وهو من الصفات الغالبة كالدبران والعيوق والصعق لم يستعمل في غير الله عز وجل كما ان الله من الاسماء الغالبة واما قول بني حنيفة في مسيلمة الكذاب رحمان اليمامة وقول شاعرهم فيه

وانت غيث الورى لا زلت رحمانا

فباب من تعنتهم في كفرهم فان قلت كيف

تقول الله رحمان أتصرفه أم لا قلت أقيسه على أخواته من بابه أعني نحو عطشان وغرثان وسكران فلا أصرفه فإن قلت قد شرط في امتناع صرف فعلان أن يكون فعلان فعلى واختصاصه بالله يحظر أن يكون فعلان فعلى فلم تمنعه الصرف قلت كما حظر ذلك أن يكون له مؤنث على فعلى كعطشى فقد حظر أن يكون له مؤنث على فعلانة كندمانة فإذن لا عبرة بامتناع التأنيث للاختصاص العارض فوجب الرجوع إلى الأصل قبل الاختصاص وهو القياس على نظائره فإن قلت ما معنى وصف الله بالرحمة ومعناها العطف والحنو ومنها الرحم لانعطافها على ما فيها قلت هو مجاز عن إنعامه على عباده لأن الملك إذا عطف على رعيته ورق لهم أصابهم بمعروفه وإنعامه كما أنه إذا أدركته الفظاظة والقسوة عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه فإن قلت فلم قدم ما هو أبلغ من الوصفين على ما هو دونه والقياس الترقي من الأدنى إلى الأعلى كقولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض قلت لما قال الرحمن فتناول جلائل النعم وعظائمها وأصولها أردفه الرحيم كالتتمة والرديف ليتناول ما دق منها ولطف

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم

الحمد والمدح أخوان وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل على إنعامه وحمدته على حسبه وشجاعته وأما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال

أفادتكم النعماء مني ثلاثة ... يدي ولساني والضمير المحجبا

والحمد باللسان وحده فهو إحدى شعب الشكر ومنه قوله عليه السلام الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وإنما جعله رأس الشكر لأن ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها أشيع لها وأدل على مكانها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي ويجلي كل مشتبه والحمد نقيضه الذم والشكر نقيضه الكفران وارتفاع الحمد بالابتداء وخبره الظرف الذي هو لله وأصله النصب الذي هو قراءة بعضهم بإضمار فعله على أنه من المصادر التي ينصبها العرب بأفعال مضمرة في معنى الإخبار كقولهم شكرا وكفرا وعجبا وما أشبه ذلك ومنها سبحانك ومعاذ الله ينزلونها منزلة أفعالها ويسدون بها مسدها ولذلك لا يستعملونها معها ويجعلون استعمالها كالشريعة المنسوخة والعدول بها عن النصب إلى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى واستقراره ومنه قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام رفع السلام الثاني للدلالة على أن إبراهيم صلوات الله عليه حياهم بتحية أحسن من تحيتهم لأن الرفع دال على معنى ثبات السلام لهم دون تجدده وحدوثه والمعنى نحمد الله حمدا ولذلك قيل إياك نعبد وإياك نستعين لأنه بيان لحمدهم له كأنه قيل كيف تحمدون فقيل إياك نعبد فإن قلت ما معنى التعريف فيه قلت هو نحو التعريف في أرسلها العراك وهو تعريف الجنس ومعناه الإشارة إلى ما يعرفه كل أحد من أن الحمد ما هو والعراك ما هو من

الحمد والمدح أخوان
بل يدعى أن يكون بينهما اشتقاق كبير أو أكبر

بين اجناس الافعال والاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس وهم منهم وقرا الحسن

البصري الحمد لله بكسر الدال لاتباعها اللام وقرا ابرهيم بن ابي عبلة الحمد

لله بضم اللام لاتباعها الدال والذي جسرهما على ذلك والاتباع انما يكون

في كلمة واحدة كقولهم منحدر الجبل ومغيرة تنزل الكلمتين منزلة كلمة لكثرة

استعمالها مقترنتين واشف القراءتين قراءة ابرهيم حيث جعل الحركة

البنائية تابعة للاعرابية التي هي اقوى بخلاف قراءة الحسن الرب المالك

ومنه قول صفوان لابي سفيان لان يربني رجل من قريش احب الي من

ان يربني رجل من هوازن تقول ربه يربه فهو رب كما تقول نم عليه

ينم فهو نم ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم

يطلقوا الرب الا في الله وحده وهو في غيره على التقييد بالاضافة كقولهم رب الدار

ورب الناقة وقوله تعالى ارجع الى ربك انه ربي احسن مثواي

وقراءة زيد بن علي رضي الله عنه رب العالمين بالنصب على المدح و

قيل بما دل عليه الحمد لله كانه قيل نحمد الله رب العالمين العالم

اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين وقيل كل ما علم به الخالق من

الاجسام والاعراض فان قلت لم جمع قلت ليشمل كل جنس مما سمي به

فان قلت هو اسم غير صفة وانما يجمع بالواو والنون صفات العقلاء او ما

في حكمها من الاعلام قلت ساغ ذلك لمعنى الوصفية فيه وهي الدلالة على معنى العلم

قرئ ملك يوم الدين ومالك وملك بتخفيف اللام وقرا ابو حنيفة رحمه

الله ملك يوم الدين بلفظ الفعل ونصب اليوم وقرا ابو هريرة مالك

بالنصب وقرا غيره ملك وهو نصب على المدح ومنهم من قرا مالك بالرفع

وملك هو الاختيار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولقوله

ملك الناس ولان الملك يعم والملك يخص ويوم الدين يوم الجزاء ومنه

قولهم كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما

دانوا فان قلت ما هذه الاضافة قلت هي اضافة اسم الفاعل الى الظرف

على طريق الاتساع مجرى مجرى المفعول به كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار

والمعنى على الظرفية مالك الامر كله في يوم الدين كقوله لمن الملك اليوم

فان قلت فاضافة اسم الفاعل اضافة غير حقيقية فلا يكون معطية معنى

التعريف فكيف ساغ وقوعه صفة للمعرفة قلت انما تكون غير حقيقية

اذا اريد باسم الفاعل الحال او الاستقبال فكان في تقدير الانفصال كقولك

مالك الساعة او غدا فاما اذا قصد معنى الماضي كقولك هو مالك عبده امس

او زمان مستمر كقولك زيد مالك العبيد كانت الاضافة حقيقية كقولك

مولى العبيد وهذا هو المعنى في مالك يوم الدين ويجوز ان يكون المعنى ملك

الامور يوم الدين كقوله ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب النار

ونادى اصحاب الاعراف والدليل عليه قراءة ابي حنيفة ملك يوم الدين وهذه الاوصاف

التي اجريت على الله سبحنه من كونه ربا مالكا للعالمين لا يخرج منهم شيء من ملكوته وربوبيته ومن كونه منعما بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلايل والدقايق ومن كونه مالكا للامر كله في العاقبة يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به والثناء عليه بما هو اهله

اياك نعبد واياك نستعين ايا ضمير منفصل للمنصوب واللواحق التي تلحقه من الكاف والهاء والياء في قولك اياك واياه واياي لبيان الخطاب والغيبة والتكلم ولا محل لها من الاعراب كما لا محل للكاف في ارايتك وليست باسماء مضمرة وهو مذهب الاخفش وعليه المحققون واما ما حكاه الخليل عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب فشيء شاذ لا يعول عليه وتقديم المفعول لقصد الاختصاص كقوله قل افغير الله تامروني اعبد قل اغير الله ابغي ربا والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونة وقرئ اياك بتخفيف الياء واياك بفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء قال طفيل الغنوي فهياك والامر الذي ان تراحبت موارده ضاقت عليك مصادره والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه ثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة وقوة النسج ولذلك لم تستعمل الا في الخضوع لله لانه مولي اعظم النعم فكان حقيقا باقصى غاية الخضوع فان قلت لم عدل عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب قلت هذا يسمى الالتفات في علم البيان

وانه بحقيق قوله الحمد لله دليل على ان من كانت هذه صفاته لم يكن احد احق منه بالحمد

قد يكون من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقد التفت امرؤ القيس ثلث التفاتات في ثلثة ابيات تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العاير الارمد وذلك من نبا جاءني وخبرته عن الاسود وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه ولان الكلام اذا نقل من اسلوب الى اسلوب كان ذلك احسن تطرية لنشاط السامع وايقاظا للاصغاء اليه من اجرايه على اسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوايد ومما اختص به هذا الموضع انه لما ذكر الحقيق بالحمد واجري عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل اياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه ليكون الخطاب ادل على ان العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة الا له فان قلت لم قرنت الاستعانة بالعبادة قلت ليجمع بين ما يتقرب به العباد الى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون اليه من جهته فان قلت فلم قدمت العبادة على الاستعانة قلت لان تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا

الاجابة اليها فان قلت لم اطلقت الاستعانة قلت ليتناول كل
مستعان فيه والاحسن ان تراد الاستعانة به وبتوفيقه على اداء العبادة
ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كانه قيل كيف اعينكم فقالوا
اهدنا الصراط المستقيم وانما كان احسن لتلاؤم الكلام واخذ بعضه
بحجزة بعض وقرا ابن حبيش نستعين بكسر النون اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين
هدى اصله ان يتعدى باللام او بالى كقوله تعالى ان هذا القران يهدي
للتي هي اقوم وانك لتهدي الى صراط مستقيم فعومل معاملة اختار في
قوله واختار موسى قومه ومعنى طلب الهداية وهم مهتدون طلب زيادة الهدى
بمنح الالطاف كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا وعن علي وابي رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا وصيغة الامر
والدعا واحدة لان كل واحد منهما طلب وانما يتفاوتان في الرتبة وقرا عبد الله
ارشدنا السراط الجادة من سرط الشيء اذا ابتلعه لانه يسترط السابلة اذا سلكوه
كما سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا لاجل الطاء كقولك مصيطر
في مسيطر وقد تشم الصاد صوت الزاي وقرئ بهن جميعا وفصحاهن اخلاص
الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام ويجمع سرطا نحو كتاب وكتب
ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل والمراد به طريق الحق وهي ملة الاسلام

صراط الذين انعمت عليهم بدل من الصراط المستقيم وهو في حكم تكرير العامل كانه
قيل اهدنا الصراط المستقيم اهدنا صراط الذين انعمت عليهم كما قال للذين ا
ستضعفوا لمن آمن منهم فان قلت ما فائدة البدل وهلا قيل اهدنا صراط
الذين انعمت عليهم قلت فائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير و
الاشعار بان الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك
شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على ابلغ وجه واكده كما تقول هل ادلك
على اكرم الناس وافضلهم فلان فيكون ذلك ابلغ في وصفه بالكرم والفضل
من قولك هل ادلك على فلان الاكرم الافضل لانك ثنيت ذكره مجملا اولا ومفصلا
ثانيا واوقعت فلانا تفسيرا وايضاحا للاكرم الافضل فجعلته علما في الكرم
والفضل وكانك قلت من اراد رجلا جامعا للخصلتين فعليه بفلان فهو المشخص
المعين لاجتماعهما فيه غير مدافع ولا منازع والذين انعمت عليهم هم المومنون
واطلق الانعام لان من انعم الله عليه بنعمة الاسلام لم يبق نعمة الا اصابته واشتملت
عليه وعن ابن عباس هم اصحاب موسى قبل ان يغيروا وقيل هم الانبياء وقرا ابن
مسعود صراط من انعمت عليهم غير المغضوب عليهم بدل من الذين انعمت عليهم
على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال او صفة
على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من غضب
الله والضلال فان قلت ما معنى غضب الله قلت هو ارادة الانتقام

كيف صح ان يقع غير صفة للمعرفة وهو لا يتعرف وان اضيف الى المعارف
قلت الذين انعمت عليهم لا توقيت فيه فهو كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني
ولان المغضوب والضالين خلاف المنعم عليهم فليس في غير اذن الابهام
الذي يابى عليه ان يتعرف وقرئ بالنصب على الحال وهي قراءة رسول الله
صلى الله عليه وعمر بن الخطاب ورويت عن ابن كثير وذو الحال الضمير في عليهم
والعامل انعمت وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله من لعنه الله وغضب
عليه والضالون هم النصارى لقوله قد ضلوا من قبل فان قلت ما معنى غضب الله
قلت هو ارادة الانتقام من العصاة وانزال العقوبة بهم وان يفعل بهم ما يفعله
الملك اذا غضب على من تحت يده نعوذ بالله من غضبه ونسأله رضاه ورحمته
فان قلت اي فرق بين عليهم الاولى والثانية قلت الاولى محلها النصب
على المفعولية والثانية محلها الرفع على الفاعلية فان قلت لم دخلت لا في ولا الضالين
قلت لما في غير من معنى النفي كانه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين وتقول انا زيدا
غير ضارب مع امتناع قولك انا زيدا مثل ضارب لانه بمنزلة قولك انا زيدا لا ضارب
وعن عمر وعلي رضي الله عنهما انهما قرآ وغير الضالين وقرأ ايوب السختياني ولا
الضألين بالهمز كما قرأ عمرو بن عبيد ولا جأن وهذه لغة من جد في الهرب
من التقاء الساكنين ومنها ما حكاه ابو زيد من قولهم شأبة ودأبة امين
صوت سمي به الفعل الذي هو استجب كما ان رويد وحيهل وهلم اصوات

سميت بها الافعال التي هي امهل واسرع واقبل وعن ابن عباس سألت رسول
الله صلى الله عليه عن معنى امين فقال افعل وفيه لغتان مد الفه وقصرها
قال ويرحم الله عبدا قال امينا وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدا
وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقنني جبريل آمين عند فراغي من قراءة فاتحة
الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وليس من القران بدليل انه
لم يثبت في المصاحف وعن الحسن لا يقولها الامام لانه الداعي وعن ابي حنيفة
رحمه الله والمشهور عنه وعن اصحابه انه يخفيها وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل
وانس عن رسول الله صلى الله عليه وعند الشافعي يجهر بها وعن وائل بن
حجر ان النبي صلى الله عليه كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته عن
رسول الله صلى الله عليه والقران العظيم الذي اوتيته وعن حذيفة بن
اليمان ان النبي عليه السلام قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب
حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين
فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مدنية وهي مايتان وسبع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم
الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين اعلم ان الالفاظ التي
يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم فقولك
ضاد اسم سمي به ضه من ضرب اذا تهجيته وكذلك را با اسمان لقولك ره به

لا فرق الله يوما بيننا ابدا

انه قال لابي بن كعب الا اخبرك بسورة لم ينزل في التوراة ولا في الانجيل والقران مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني

وقد روعيت في هذه التسمية لطيفة وهي ان المسميات لما كانت الفاظا كاساميها
وهي حروف وحدان والاسامي عدد حروفها مرتق الى الثلثة اتجه لهم طريق
الى ان يدلوا في التسمية على المسمى فلم يغفلوها وجعلوا المسمى صدر كل اسم منها
كما ترى الا الالف فانهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لانه لا يكون الا ساكنا
ومما يضاهيها في ايداع اللفظ دلالة على المعنى التهليل والحوقلة والحيعلة والبسملة
وحكمها ما لم تلها العوامل ان تكون ساكنة الاعجاز موقوفة كاسماء الاعداد فيقال الف
لام ميم كما تقول واحد اثنان ثلثة فاذا وليتها العوامل ادركها الاعراب كقولك
هذه الف وكتبت الفا ونظرت الى الف وهكذا كل اسم عمدت الى تادية ذاته
فحسب قبل ان تحدث فيه بدخول العوامل شيء من تاثيراتها فحقك ان تلفظ به موقوفا
الا ترى انك اذا اردت ان تلقي على الحاسب اجناسا مختلفة ليرفع حسبانها كيف
تصنع وكيف تلقيها اغفالا من سمة الاعراب فتقول دار غلام جارية ثوب بساط
ولو اعربت ركبت شططا قال قلت لم قضيت لهذه الالفاظ بالاسمية وهلا
زعمت انها حروف كما وقع في عبارات المتقدمين قلت قد استوضحت بالبرهان
النير انها اسماء غير حروف فعلمت ان قولهم خليق بان يصرف الى التسامح وقد وجدناهم
يتسامحون في تسمية كثير من الاسماء التي لا تقدح اشكال في اسميتها كالظروف وغيرها
بالحروف ويستعملون الحرف في معنى الكلمة وذلك ان قولك الف دلالة على اوسط
حروف قال وقام دلالة فرس على الحيوان المخصوص فصل فيما يرجع الى التسمية

بين الدلالتين الا ترى ان الحرف ما دل على معنى في غيره وهذا كما ترى دال
على معنى في نفسه ولانها متصرف فيها بالامالة كقولك با تا وبالتفخيم كقولك يا ها
وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف والاسناد والاضافة
وجميع ما للاسماء المتصرفة ثم اني عثرت من جانب الخليل على نص في ذلك
قال سيبويه قال الخليل يوما وسأل اصحابه كيف تقولون اذا اردتم ان
تلفظوا بالكاف التي في لك والباء التي في ضرب فقيل نقول باء كاف
فقال انما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف وقال اقول كه به وذكر ابو علي
في كتاب الحجة في ياسين وامالة يا انهم قالوا يا زيد في النداء فامالوا وان كان
حرفا قال فاذا كانوا قد امالوا ما لا يمال من الحروف من اجل الياء فلان
يميلوا الاسم الذي هو ياسين اجدر الا ترى ان هذه الحروف اسماء لما
يلفظ بها قال قلت من اي قبيل هي من الاسماء امعربة ام مبنية
بل هي اسماء معربة وانما سكنت سكون زيد وعمرو وغيرهما من الاسماء
حيث لا يمسها اعراب لفقد مقتضيه وموجبه والدليل على ان سكونها
وقف وليس ببناء انها لو بنيت لحذي بها حذو كيف واين وهؤلاء
ولم يقل صاد قاف نون مجموعا فيها بين الساكنين قلت فلم لفظ
المتهجي بما آخره الف منها مقصورا فلما اعرب مد فقال هذه باء
وياء وهاء وذلك ليتحيل ان وزانها وزان قولك لا مقصورة فاذا

جعلتها أسماء ممدودة فقلت كتبت لاءً. قلت هذا التخييل يضمحل بما لخصته
من الدليل والسبب في أن قصرت متهجاة ومدت حين مسّها الإعراب
أن حال التهجي خليقة بالأخف الأوجز واستعمالها فيه أكثر. فإن قلت قد
تبيّن أنها أسماء لحروف المعجم وأنها من قبيل المعربة وأن سكون
أعجازها عند الهجاء لأجل الوقف فما وجه وقوعها على هذه الصورة فواتح للسور
قلت فيه أوجه أحدها وعليه إطباق الأكثر أنها أسماء السور وقد
ترجم صاحب الكتاب الباب الذي كسره على ذكرها في حد ما لا ينصرف
بباب أسماء السور وهي في ذلك على ضربين أحدهما ما لا يتأتى فيه إعراب
نحو كهيعص والمر والثاني ما يتأتى فيه الإعراب وهو إما أن يكون
اسماً فرداً كصاد وقاف ونون أو أسماء عدة مجموعها على زنة مفرد
كحم وطس ويس فإنها موازنة لقابيل وهابيل وكذلك طاسين ميم يتأتى
فيها أن تفتح نونها وتصيّر ميم مضمومة إلى طاسين فيجعلا اسماً واحداً
كدارابجرد فالنوع الأول محكي ليس إلا وأما النوع الثاني فسائغ فيه
الأمران الإعراب والحكاية قال قاتل محمد بن طلحة السجاد وهو
شريح بن أوفى العبسي يذكرني حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم
قبل التقدم فأعرب حاميم ومنعها الصرف وهكذا كل ما أعرب
من أخواتها لاجتماع سببي منع الصرف فيها وهما العلمية والتأنيث والحكاية

والحكاية أن تجيء بالقول بعد نقله على استبقاء صورته الأولى كقولك
دعني من تمرتان وبدأت بالحمد لله وقرأت سورة أنزلناها
وقال وجدنا في كتاب بني تميم أحق الخيل بالركض المعار وقال
ذو الرمة سمعت الناس ينتجعون غيثاً فقلت لصيدح انتجعي بلالا
وقال تنادوا بالرحيل غداً وفي ترحالهم نفسي وروي منصوباً ومجروراً
ويقول أهل الحجاز في استعلام من يقول رأيت زيداً من زيداً وقال
سيبويه سمعت من العرب لا من أين يا فتى فإن قلت فما وجه قراءة من
قرأ صادَ وقافَ ونونَ مفتوحات قلت الأوجه أن يقال ذاك نصب
وليس بفتح وإنما لم يصحبه التنوين لامتناع الصرف على ما ذكرت و
انتصابها بفعل مضمر نحو اذكر وقد أجاز سيبويه مثل ذلك في حاميم
وطاسين وياسين لو قرئ به وحكى أبو سعيد السيرافي أن بعضهم
قرأ ياسينَ ويجوز أن يقال حركت لالتقاء الساكنين كما قرأ من قرأ ولا
الضالين فإن قلت فهلا زعمت أنها مقسم بها وأنها نصبت نصب قولهم
نعمَ الله لأفعلن وأيَ الله لأفعلن على حذف حرف الجر وإعمال فعل القسم
وقال ذو الرمة ألا رب من قلبي له الله ناصح وقال الآخر
فذاك أمانةَ الله الثريد قلت إن القرآن والقلم بعد هذه الفواتح
محلوق بهما فلو زعمت ذلك لجمعت بين قسمين على مقسم عليه واحد وقد

استكرهوا ذلك قال الخليل في قوله عز وجل والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما
خلق الذكر والانثى الواوان الاخريان ليستا بمنزلة الاولى ولكنهما الواوان
اللتان تضمان الاسماء الى الاسماء في قولك مررت بزيد وعمرو والاولى بمنزلة
الباء والتاء قال سيبويه قلت للخليل فلم لا تكون الاخريان بمنزلة
الاولى فقال انما اقسم بهذه الاشياء على شيء ولو كان انقضى قسمه بالاول
على شيء لجاز ان يستعمل كلاما اخر فيكون كقولك بالله لافعلن بالله
لاخرجن اليوم ولا يقوى ان تقول وحقك وحق زيد لافعلن والواو
الاخرة واو قسم لا يجوز الا مستكرها قال وتقول وحياتي ثم حياتك
لافعلن فثم هاهنا بمنزلة الواو هذا ولا سبيل فيما نحن بصدده الى ان
نجعل الواو للعطف لمخالفة الثاني الاول في الاعراب فان قلت فقدرها
مجرورة باضمار الباء القسمية لا بحرفها فقد جاء عنهم الله لافعلن مجرورا
نظيره قولهم لاه ابوك غير انها فتحت في موضع الجر لكونها غير مصروفة واجعل
الواو للعطف حتى يستتب لك الى نحو ما اشرت اليه قلت هذا لا يبعد
عن الصواب ويعضده ما رووا عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال اقسم
الله بهذه الحروف فان قلت فما وجه قراءة بعضهم صاد وقاف بالكسر قلت
وجهها ما ذكرت من التحريك لالتقاء الساكنين والذي يبسط من عذر المحرك
ان الوقف لما استمر بهذه الاسامي شاكلت لذلك ما اجتمع في اخره ساكنان

وايضا ففي الابتدا بهذه الفواتح اذ المراد هو التلفظ بالاسامي ... وهو حصول المسميات ووجه عدم الاشتباه امور ثلثة اولها الشهرة

من المبنيات فعوملت تارة معاملة الآن واخرى معاملة هؤلاء فان قلت
هل تسوغ لي في المحكية مثل ما سوغت في المعربة من ارادة معنى القسم
قلت لا عليك في ذلك وان تقدر حرف القسم مضمرا في نحو قوله عز وعلا
حم والكتاب المبين كانه قيل اقسم بهذه السورة وبالكتاب المبين
انا جعلناه واما قوله عليه السلام حم لا ينصرون فيصلح ان يقضى له بالجر
والنصب جميعا على حذف الجار واضماره فان قلت فما معنى تسمية السور
بهذه الالفاظ خاصة قلت كان المعنى في ذلك الاشعار بان الفرقان
ليس الا كلما عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الالفاظ كما قال
عز من قائل قرآنا عربيا فان قلت فما بالها مكتوبة في المصحف على صور الحروف
انفسها لا على صور اساميها قلت لان الكلم لما كانت مركبة من ذوات الحروف
واستمرت العادة متى تهجيت ومتى قيل للكاتب اكتب كيت
وكيت ان يلفظ بالاسماء وتقع في الكتابة الحروف انفسها عمل على تلك
الشاكلة المألوفة في كتابة هذه الفواتح وايضا فان شهرة امرها واقامة
السن الاسود والاحمر لها وان اللافظ بها غير متهجاة لا يحلى بطائل منها
وان بعضها مفرد لا يخطر ببال غير ما هو عليه من مورده امنت وقوع
اللبس فيها وقد اتفقت في خط المصحف اشياء خارجة عن القياسات التي
بني عليها علم الخط والهجاء ثم ما عاد ذلك بضير ولا نقصان لاستقامة

قوله لاستقامة الآن متعلقا بالضير والنقصان ويجوز ان يكون مفعولا له وعاد

اللفظ وبقاء الحفظ وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف قال عبد
الله بن درستويه في كتابه المترجم بكتاب الكتاب المتمم في الخط و
الهجاء خطان لا يقاسان خط المصحف لانه سنة وخط العروض لانه يثبت
فيه ما اثبته اللفظ ويسقط عنه ما اسقطه والوجه الثاني
ان يكون ورود هذه الاسماء هكذا مسرودة على نمط التعديد كالايقاظ
وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن وبغرابة نظمه وكالتحريك للنظر في ان
هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون
منه كلامهم ليؤديهم النظر الى ان يستيقنوا ان لم تتساقط مقدرتهم
دونه ولم تظاهر بعجزتهم عن ان يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة
وهم امراء الكلام وزعماء الحوار وهم الحراص على التساجل في اقتضاب
الخطب والمتهالكون على الافتنان في القصيد والرجز ولم يبلغ من
الجزالة وحسن النظم المبالغ التي بذت بلاغة كل ناطق وشقت
غبار كل سابق ولم يتجاوز الحد الخارج من قوى الفصحاء ولم يقع وراء
مطامح اعين البصراء الا لانه ليس بكلام البشر وانه كلام خالق القوى
والقدر وهذا القول من القوة والخلاقة بالقبول بمنزل ولناصره على
الاول ان يقول ان القرآن انما نزل بلسان العرب مصبوبا في اساليبهم
واستعمالاتهم والعرب لم يتجاوزوا ما سموا به مجموع اسمين ولم يسم احد

منهم بمجموع ثلاثة اسماء واربعة وخمسة والقول بانها اسماء السور حقيقة
يخرج الى ما ليس في لغة العرب ويؤدي ايضا الى صيرورة الاسم والمسمى
واحدا فان اعترضت عليه بانه قول منقول على وجه الدهر وانه لا سبيل الى
رده اجابك بان له محملا سوى ما يذهب اليه وانه نظير قول الناس فلان
يروي قفا نبك وعفت الديار ويقول الرجل لصاحبه ما قرأت
فيقول الحمد لله وبراءة من الله ورسوله ويوصيكم الله في اولادكم والله
نور السموات والارض وليست هذه الجمل بأسامي هذه القصائد
وهذه السور والآي وانما تعني رواية القصيدة التي ذاك استهلالها
وتلاوة السورة او الآية التي تلك فاتحتها فلما جرى الكلام على اسلوب
من يقصد التسمية واستفيد منها ما يستفاد من التسمية قالوا ذلك
على سبيل المجاز دون الحقيقة وللمجيب عن الاعتراضين على الوجه الاول ان
يقول التسمية بثلاثة اسماء فصاعدا مستنكرة لعمري وخروج عن كلام
العرب ولكن اذا جعلت اسما واحدا على طريقة حضرموت فاما غير
مركبة منثورة نثر اسماء العدد فلا استنكار فيها لانها من باب
التسمية بما حقه ان يحكى حكاية كما سموا بتأبط شرا وبرق نحره
وشاب قرناها وكما لو سمي بزيد منطلق او ببيت شعر وناهيك
بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وبين التسمية

بطايفة من اسما حروف المعجم دلالة قاطعة على صحة ذلك واما تسمية
السور كلها بفاتحتها فليست بتصيير الاسم والمسمى واحدا لانها تسمية
مؤلف بمفرد والمؤلف غير المفرد الا ترى انهم جعلوا اسم الحرف مؤلفا
منه ومن حرفين مضمومين اليه كقولهم صاد فلم يكن من جعل الاسم والمسمى واحدا
حيث كان الاسم مؤلفا والمسمى مفردا الوجه الثالث ان ترد السور
مصدرة بذلك ليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بوجه من الاغراب
وتقدمة من دلائل الاعجاز وذلك ان النطق بالحروف انفسها كانت
العرب فيه مستوية الاقدام الاميون منهم واهل الكتاب بخلاف النطق
باسامي الحروف فانه كان مختصا بمن خط وقرا وخالط اهل الكتاب وتعلم
منهم وكان مستغربا من الامي التكلم بها استبعاد الخط والتلاوة كما
قال عز وجل وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك
اذا لارتاب المبطلون فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار انه لم يكن ممن اقتبس
شيا من اهله حكم الاقاصيص المذكورة في القران التي لم تكن قريش ومن
دان بدينها في شي من الاحاطة بها في ان ذلك حاصل له من جهة الوحي وشاهد
بصحة نبوته وبمنزلة ان يتكلم بالرطانة من غير ان يسمعها من احد واعلم انك اذا تاملت
ما اورده الله عز سلطانه في الفواتح من هذه الاسما وجدتها نصف اسامي
حروف المعجم اربعة عشر سواء وهي الالف واللام والميم والصاد والرا

والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء و
القاف والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم ثم اذا
نظرت في هذه الاربعة عشر وجدتها مشتملة على انصاف اجناس الحروف
بيان ذلك ان فيها من المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين
والحاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والراء والعين والطاء
والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها الالف والكاف
والطاء والقاف ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد و
الهاء والعين والسين والحاء والياء والنون ومن المطبقة نصفها
الصاد والطاء ومن المنفتحة نصفها الالف واللام والميم والراء و
الكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون و
من المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة نصفها الالف
واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء
والنون ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء ثم اذا استقريت
الكلم وتراكيبها رايت الحروف التي الغى الله تعالى ذكرها من هذه الاجناس
المعدودة مكثورة بالمذكورة منها فسبحان الذي دقت في كل شي حكمته وقد
علمت ان معظم الشي وجله ينزل منزلة كله وهو المطابق للطايف التنزيل
واختصاراته فكان الله عز اسمه عدد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب

كلامهم اشارة الى ما ذكرت من التبكيت لهم والزام الحجة اياهم ومما
يدل على انه تعمد بالذكر من حروف المعجم اكثرها وقوعا في تراكيب الكلم ان الالف
واللام لما تكاثر وقوعهما فيها جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين وهي فواتح سورة
البقرة وآل عمران والروم والعنكبوت ولقمان والسجدة والاعراف والرعد
ويونس وابرهيم وهود ويوسف والحجر فان قلت فهلا عددت باجمعها في اول
القرآن وما لها جاءت مفرقة على السور قلت لان اعادة التنبيه على ان المتحدى به
مؤلف منها لا غير وتجديده في غير موضع واحد اوصل الى الغرض واقرّ له في الاسماع
والقلوب من ان يفرد ذكره مرة وكذلك مذهب كل تكرير جاء في القرآن
فمطلوب به تمكين المكرر في النفوس وتقريره فان قلت فهلا جاءت على وتيرة واحدة
ولم اختلفت اعداد حروفها فوردت ص وقاف ونون على حرف وطه وطس ويس
وحم على حرفين والم والر وطسم على ثلثة احرف والمص والمر على اربعة احرف كهيعص
وحم عسق على خمسة احرف قلت هذا على عادة افتنانهم في اساليب الكلام وتصرفهم
فيه على طرق شتى ومذاهب متنوعة وكما ان ابنية كلماتهم على حرف وحرفين الى خمسة
احرف لم تتجاوز ذلك سلك بهذه الفواتح ذلك المسلك فان قلت فما وجه اختصاص
كل سورة بالفاتحة التي اختصت بها قلت اذا كان الغرض هو التنبيه والمبادي
كلها في تادية هذا الغرض سواء لا مفاضلة كان تطلب وجه الاختصاص ساقطا كما اذا
سمى الرجل بعض اولاده زيدا والآخر عمرا لم يقل له لم خصصت ولدك هذا بزيد وذاك

بعمرو لان الغرض هو التمييز وهو حاصل اية سلك وكذلك لا يقال لم سمي
هذا الجنس بالرجل وذاك بالفرس ولم قيل للاعتماد القرب وللانتصاب القيام و
لنقيضه القعود فان قلت ما بالهم عدوا بعض هذه الفواتح آية دون بعض
قلت هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السورة اما الم فآية حيث وقعت
من السور المفتتحة بها وهي ست وكذلك المص آية والمر لم تعد آية والر ليست
بآية في سورها الخمس وطسم آية في سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست
بآية وحم آية في سورها كلها وحم عسق آيتان وكهيعص آية واحدة وص وق و
نون ثلثتها لم تعد آية هذا مذهب الكوفيين ومن عداهم لم يعدوا شيئا منها آية
فان قلت فكيف عد ما هو في حكم كلمة واحدة آية قلت كما عد الرحمن وحده
آية ومدهامتان آية على طريق التوقيف فان قلت ما حكمها في باب الوقف
قلت يوقف على جميعها وقف التمام اذا حملت على معنى مستقل غير محتاج الى ما بعده
وذلك اذا لم تجعل اسماء للسور ونعق بها كما ينعق بالاصوات او جعلت وحدها
اخبار ابتداء محذوف كقوله عز اسمه الم الله اي هذه الم ثم ابتدا فقال الله
لا اله الا هو فان قلت هل لهذه الفواتح محل من الاعراب قلت نعم لها محل فيمن جعلها
اسماء للسور لانها عنده كسائر الاسماء الاعلام فان قلت ما محلها قلت يحتمل
الاوجه الثلثة اما الرفع فعلى الابتداء واما النصب والجر فلما مر من صحة
القسم بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها اسماء للسور لم يتصور ان

يكون المحل في مذهبه كالاحل للجمل المبتداة وللمفردات المعدودة. فان قلت لم صحت
الاشارة بذلك الى ما ليس ببعيد قلت وقعت الاشارة الى الم بعد ما سبق التكلم
به وتقضى والمتقضي في حكم المتباعد وهذا في كل كلام يحدث الرجل بحديث ثم
يقول وذلك ما لا شك فيه ويحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا وكذا وقال الله تعالى
لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقال ذلكما مما علمني ربي ولانه لما وصل من المرسل الى المرسل
اليه وقع في حد البعد كما تقول لصاحبك وقد اعطيته شيئا احتفظ بذلك وقيل معناه
ذلك الكتاب الذي وعدوا به فان قلت لم ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مونث
وهو السورة قلت لا اخلو من ان اجعل الكتاب خبره او صفته فان جعلته
خبره كان ذلك في معناه ومسماه مسماه فجاز اجراء حكمه عليه في التذكير كما اجرى عليه
في التانيث في قولهم من كانت امك وان جعلته صفته فانما اشير به الى الكتاب صريحا
لان اسم الاشارة مشار به الى الجنس الواقع صفة له تقول هند ذلك الانسان او
ذلك الشخص فعل كذا وقال الذبياني نبئت نعمى على الهجران عاتبة سقيا ورعيا
لذاك العاتب الزاري فان قلت اخبرني عن تاليف ذلك الكتاب مع الم قلت
ان جعلت الم اسما للسورة ففي التاليف وجوه ان يكون الم مبتدا وذلك
مبتدا ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدا الاول ومعناه ان ذلك هو الكتاب
الكامل كان ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص وانه الذي يستاهل ان يسمى
كتابا كما تقول هو الرجل اي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال

أي المشهورون بكمال السماحة والشجاعة والجولية والبراعة الموصوفون

وكما قال هم القوم كل القوم يا ام خالد وان يكون الكتاب صفة ومعناه
هو ذلك الكتاب الموعود وان يكون الم خبر مبتدا محذوف اي هذه الم ويكون
ذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان الكتاب صفة وان يكون هذه الم جملة وذلك الكتاب
جملة اخرى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدا خبره الكتاب اي ذلك الكتاب
المنزل هو الكتاب الكامل او الكتاب صفة والخبر ما بعده او قدر مبتدا محذوف
اي هو يعني المولف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرا عبد الله الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه
وتاليف هذا ظاهر والريب مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة
قلق النفس واضطرابها ومنه ما روى الحسن بن علي قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة وان الصدق [طمأنينة أي فإن كون الأمر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر] وكونه صحيحا صادقا
مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب
من نوائبه ومنه انه عليه السلام مر بظبي حاقف فقال لا يريبه احد
منكم بشيء فان قلت كيف نفي الريب على سبيل الاستغراق وكم من مرتاب فيه
قلت ما نفي ان احدا لا يرتاب فيه وانما المنفي كونه متعلقا للريب
ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب
ان يقع فيه الا ترى الى قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا
بسورة من مثله فما ابعد وجود الريب منهم وانما عرفهم الطريق الى مزيل
الريب وهو ان يحزروا انفسهم ويروزوا قواهم في البلاغة هل تتم للمعارضة

القلق الانزعاج

نعمات النبهة اي تحققت

او انتضال دونها فيتحققوا عند عجزهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل
للريب فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول في قوله تعالى
لا فيها غول قلت لان القصد في ايلاء الريب حرف النفي نفي الريب
عنه واثبات انه حق وصدق لا باطل وكذب كما كان المشركون
~~واثبات انه حق وصدق~~ يدعونه ولو اولي الظرف لقصد الى ما يبعد
عن المراد وهو ان كتابا آخر فيه الريب لا فيه كما قصد في قوله تعالى لا فيها
غول تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بانها لا تغتال العقول كما تغتالها هي
كانه قيل ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب والنقيصة وقرا ابو الشعثاء
لا ريب فيه بالرفع والفرق بينها وبين المشهورة ان المشهورة توجب
الاستغراق وهذه تجوزه والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم انهما
وقفا على لا ريب ولا بد للواقف من ان ينوي خبرا ونظيره قوله تعالى لا ضير
وقول العرب لا باس وهي كثيرة في لسان اهل الحجاز والتقدير لا ريب فيه
فيه هدى والهدى مصدر على فعل كالسرى والبكى وهو الدلالة الموصلة اي البغية بدليل
وقوع الضلالة في مقابلته قال الله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
وقال لعلى هدى او في ضلال مبين ويقال مهدي في موضع المدح كمهتدي
ولان اهتدى مطاوع هدى ولن يكون المطاوع في خلاف معنى اصله الا ترى الى نحو غمه
فاغتم وكسره فانكسر واشباه ذلك فلم قيل هدى للمتقين والمتقون

مهتدون قلت هو كقولك للعزيز المكرم اعزك الله واكرمك تريد
طلب الزيادة الى ما هو ثابت فيه واستدامته كقوله اهدنا الصراط
المستقيم ووجه آخر وهو انه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى
متقين كقول رسول الله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه وعن
ابن عباس اذا اراد احدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض وتضل
الضالة وتكون الحاجة فسمى المشارف للقتل والمرض والضلال
قتيلا ومريضا وضالة ومنه قوله تعالى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا
اي صائرا الى الفجور والكفر فان قلت فهلا قيل هدى للضالين قلت
لان الضالين فريقان فريق علم بقاؤهم على الضلالة وهم المطبوع
على قلوبهم وفريق علم ان مصيرهم الى الهدى فلا يكون هدى للفريق الباقين
على الضلالة وبقي ان يكون هدى لهؤلاء فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك
لقيل هدى للصائرين الى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام باجرائه
على الطريقة التي ذكرنا فقيل هدى للمتقين وايضا فقد جعل ذلك سلما
الى تصدير السورة التي هي اولى الزهراوين وسنام القرآن واول
المثاني بذكر اولياء الله والمرتضين من عباده والمتقي في اللغة اسم فاعل
من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة ومنه فرس واق و
هذه الدابة تقي من وجاها اذا اصابه ظلع من غلظ الارض

ورقة الحافر لو بقي حافر ان يصيبه ادنى شي يولمه وهو في الشريعة الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل او ترك واختلف في الصغاير وقيل الصحيح انه لا يتناولها لانها تقع مكفرة عن مجتنب الكباير وقيل يطلق على الرجل اسم المومن لظاهر الحال والمتقي لا يطلق الا على خبرة كما لا يجوز اطلاق العدل الا على المختبر ومحل هدى للمتقين الرفع لانه خبر مبتدا محذوف او خبر مع لا ريب فيه لذلك او مبتدا اذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه ويجوز ان ينتصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة او الظرف والذي هو ارسخ عرقا في البلاغة ان يضرب عن هذه المحال صفحا وان يقال ان قوله الم جملة برأسها او طايفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وقد اصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث جي بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق وذلك لمجيها متاخية اخذا بعضها بعنق بعض والثانية متحدة بالاولى معتنقة لها وهلم جرا الى الثالثة والرابعة بيان ذلك انه نبه اولا على انه الكلام المتحدى به ثم اشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي وشدا من اعضاده ثم نفى عنه ان يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله لانه لا كمال اكمل مما للحق واليقين ولا نقص انقص مما للباطل والشبهة

والشبهة وقيل لبعض العلماء فيم لذتك فقال لذتي في حجة تتبختر اتضاحا وفي شبهة تتضاءل افتضاحا ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من الاربع بعد ان رتبت هذا الترتيب الانيق ونظمت هذا النظم السري من نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى الغرض بالطف وجه وارشقه وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع الوصف الذي هو هاد وايراده منكرا والايجاز في ذكر المتقين زادنا الله اطلاعا على اسرار كلامه وتبيينا لنكت تنزيله وتوفيقا للعمل بما فيه ﴿الذين يومنون﴾ اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة او مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني الذين يومنون او هم الذين يومنون واما منقطع عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه باولئك على هدى فاذا كان موصولا كان الوقف على المتقين حسنا غير تام واذا كان منقطعا كان وقفا تاما فان قلت ما هذه الصفة او اردة بيانا وكشفا للمتقين ام مسرودة مع المتقين تفيد غير فايدتها ام جاءت على سبيل المدح والثناء كصفات الله الجارية عليه تمجيدا قلت تحتمل ان ترد على طريق البيان والكشف لاشتمالها على ما اسست عليه حال المتقين من فعل الحسنات وترك السيئات اما الفعل فقد انطوى تحت ذكر الايمان

الايمان الذي هو اساس الحسنات ومنبعها وذكر الصلوة والصدقة لان
هاتين امّا العبادات البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما الم تر كيف
سمّى رسول الله الصلوة عماد الدين وجعل الفاصل بين الاسلام والكفر
ترك الصلوة وسمّى الزكوة قنطرة الاسلام وقال الله تعالى وويل للمشركين
الذين لا يؤتون الزكوة فلما كانتا بهذه المثابة كان من شانهما استجرار ساير
العبادات واستتباعها ومن ثم اختصر الكلام اختصارا بان استغنى
عن عدّ الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها والذي اذا وجد لم تتوقف
اخواته ان تقترن به مع ما في ذلك من الافصاح عن فضل هاتين العبادتين
واما الترك فلذلك الا ترى الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء
والمنكر ويحتمل ان لا تكون بيانا للمتقين وتكون صفة برأسها دالة على فعل
الطاعات ويراد بالمتقين الذين يجتنبون المعاصي ويحتمل ان تكون
مدحا للموصوفين بالتقوى وتخصيصا للايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة
بالذكر اظهارا لانافتها على ساير ما يدخل تحت حقيقة هذا الاسم من الحسنات
والايمان افعال من الامن يقال امنته وامنته غيري ثم يقال آمنه
اذا صدّقه وحقيقته آمنه التكذيب والمخالفة واما تعديته بالباء
فلتضمينه معنى اقرّ واعترف واما ما حكى ابو زيد عن العرب ما آمنت
ان اجد صحابة اي ما وثقت فحقيقته صرت ذا امن به اي ذا سكون

وطمانينة وكلا الوجهين حسن يؤمنون بالغيب اي يعترفون به
او يثقون بانه حق ويجوز ان لا يكون بالغيب صلة للايمان وان يكون
في موضع الحال اي يؤمنون غايبين عن المؤمن به وحقيقته ملتبسين بالغيب
كقوله الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم اني لم اخنه بالغيب ويعضده
ما روي ان اصحاب عبد الله ذكروا اصحاب رسول الله وايمانهم فقال
ابن مسعود ان امر محمد عليه السلام كان بيّنا لمن رآه والذي لا اله غيره ما آمن
مؤمن من ايمان بغيب ثم قرا هذه الاية فان قلت ما المراد بالغيب ان
جعلته صلة وان جعلته حالا قلت ان جعلته صلة كان بمعنى الغايب اما تسمية
بالمصدر من قولك غاب الشيء غيبا كما تسمى الشاهد بالشهادة قال الله تعالى
عالم الغيب والشهادة والعرب تسمى المطمئن من الارض غيبا وعن النضر بن
شميل شربت الابل حتى وارت غيوب كلاها يريد بالغيب الخمصة
التي تكون في موضع الكلية اذا بطنت الدابة انتفخت واما ان يكون
فيعلا فخفف كما قيل قيل واصله قيّل والمراد به الخفي الذي لا ينفذ
فيه ابتداء الا علم اللطيف الخبير وانما نعلم منه نحن ما اعلمناه او نصب
لنا دليلا عليه ولهذا لا يجوز ان يطلق فيقال فلان يعلم الغيب وذلك
نحو الصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها والبعث والنشور و
الحساب والوعد والوعيد وغير ذلك وان جعلته حالا كان بمعنى

الخيبة والخفاء فإن قلت ما الإيمان الصحيح قلت أن يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله فمن أخل بالاعتقاد وإن شهد وعمل فهو منافق ومن أخل بالشهادة فهو كافر ومن أخل بالعمل فهو فاسق ومعنى إقامة الصلوة تعديل أركانها وحفظها من أن يقع زيغ في فرائضها وسننها وآدابها من أقام العود إذا قومه أو الدوام عليها والمحافظة كما قال عز وعلا الذين هم على صلاتهم دائمون والذين هم على صلواتهم يحافظون من قامت السوق إذا نفقت وأقامها قال

أقامت غزالة سوق الضراب ... لأهل العراقين حولا قميطا

لأنها إذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق الذي تتوجه إليه الرغبات ويتنافس فيه المحصلون وإذا عطلت وأضيعت كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه أو التجلد والتشمر لأدائها وأن لا يكون في مؤديها فتور عنها ولا توان من قولهم قام بالأمر وقامت الحرب على ساقها وفي ضده قعد عن الأمر وتقاعد عنه إذا تقاعس وتثبط أو أداؤها فعبر عن الأداء بالإقامة لأن القيام بعض أركانها كما عبر عنه بالقنوت والقنوت القيام وبالركوع وبالسجود وقالوا سبح إذا صلى لوجود التسبيح فيها فلولا أنه كان من المسبحين والصلوة فعلة من صلى كالزكوة من زكى وكتبتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين لأن المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده ونظيره كفّر اليهودي إذا طأطأ رأسه وانحنى عند تعظيم صاحبه لأنه ينثني على الكاذتين وهما الكافرتان وقيل للداعي مصل تشبيها

تشبيها في تخشعه بالراكع والساجد وإسناد الرزق إلى نفسه للإعلام بأنهم ينفقون الحلال الطلق الذي يستأهل أن يضاف إلى الله ويسمى رزقا منه وأدخل من التبعيضية صيانة لهم وكفا عن الإسراف والتبذير المنهي عنه وقدم مفعول الفعل دلالة على كونه أهم كأنه قال ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به وجائز أن يراد به الزكوة المفروضة لاقترانه بأخت الزكوة وشقيقتها وهي الصلوة وأن تراد هي وغيرها من النفقات في سبل الخير لمجيئه مطلقا يصلح أن يتناول كل منفق وأنفق الشيء وأنفده أخوان وعن يعقوب نفق الشيء ونفد واحد وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء فدال على معنى الخروج والذهاب ونحو ذلك إذا تأملت فإن قلت والذين يؤمنون أهم غير الأولين أم هم الأولون وإنما وسط العاطف كما يوسط بين الصفات في قولك هو الشجاع والجواد وفي قوله

إلى الملك القرم وابن الهمام ... وليث الكتيبة في المزدحم

وقوله

يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب

قلت يحتمل أن يراد بهؤلاء مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه من الذين آمنوا فاشتمل إيمانهم على كل وحي أنزل من عند الله وأيقنوا بالآخرة إيقانا زال معه ما كانوا عليه من أنه لا يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى وأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودات واجتماعهم على الإقرار

المذكورة وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون

بالنشأة الأخرى وإعادة الأرواح إلى الأجساد ثم افترقوا فرقتين منهم من قال تجري حالهم في التلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح على حسب مجراها في الدنيا ودفعه آخرون فزعموا أن ذلك إنما احتيج إليه في هذه الدار من أجل نماء الأجسام ولمكان التوالد والتناسل وأهل الجنة مستغنون عنه فلا يتلذذون إلا بالنسيم والأرواح العبقة والسماع اللذيذ والفرح والسرور واختلافهم في الدوام والانقطاع فيكون المعطوف غير المعطوف عليه ويحتمل أن يراد وصف الأولين ووسط العاطف على معنى أنهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه فإن قلت فإذا أريد بهؤلاء غير أولئك فهل يدخلون في جملة المتقين أم لا قلت إن عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب دخلوا وكانت صفة التقوى مشتملة على الفريقين من مؤمني أهل الكتاب وغيرهم وإن عطفتهم على المتقين لم يدخلوا وكأنه قيل هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون بما أنزل إليك فإن قلت ما المراد بما أنزل إليك إن عني به القرآن بأسره والشريعة عن آخرها فلم يكن ذلك منزلا وقت إيمانهم فهو إيمان ببعض المنزل واشتمال الإيمان على الجميع سالفه ومترقبه واجب قلت المراد المنزل كله وإنما عبر عنه بلفظ المضي وإن كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد كما يغلب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغائب فيقال أنا وأنت فعلنا وأنت وزيد تفعلان ولأنه إذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول جعل كأن كله قد نزل وانتهى نزوله ويدل عليه قوله تعالى إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى ولم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان

كله

كله منزلا ولكن سبيله سبيل ما ذكرنا ونظيره قولك كل ما خطب به فلان فهو فصيح وما تكلم به في الأمور الدنيوية ولا تريد بهذا الماضي منه فحسب دون الآتي لكونه معقودا بعضه ببعض ومربوطا آتيه بماضيه وقرأ يزيد بن قطيب بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك على لفظ ما سمي فاعله وفي تقديم الآخرة وبناء يوقنون على هم تعريض بأهل الكتاب وبما كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته وأن قولهم ليس بصادر عن إيقان وأن اليقين ما عليه من آمن بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والإيقان إتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه والآخرة تأنيث الآخر الذي هو نقيض الأول وهي صفة الدار بدليل قوله تلك الدار الآخرة وهي من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا وعن نافع أنه خففها بأن حذف الهمزة وألقى حركتها على اللام كقوله دابة الأرض وقرأ أبو حية النميري يؤقنون بالهمز جعل الضمة في جار الواو كأنها فيه فقلبها قلب واو وجوه ووقتت ونحوه لحب المؤقدان إلي مؤسى وجعدة إذ أضاءهما الوقود أولئك على هدى الجملة في محل الرفع إن كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ وإلا فلا محل لها ونظم الكلام على الوجهين أنك إذا نويت الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب فقد ذهبت به مذهب الاستئناف وذلك أنه لما قيل هدى للمتقين واختص المتقون بأن الكتاب لهم هدى اتجه لسائل أن يسأل فيقول ما بال المتقين مخصوصين بذلك فوقع قوله الذين

يؤمنون بالغيب الى ساقته كانه جواب لهذا السؤال المقدر وجيء بصفة المتقين
المنطوية تحتها خصائصهم التي استوجبوا بها من الله ان يلطف بهم ويفعل بهم
ما لا يفعل بمن ليسوا على صفتهم اي الذين هؤلاء عقائدهم واعمالهم احقاء بان
يهديهم الله ويعطيهم الفلاح ونظيره قولك احب رسول الله الانصار
الذين قارعوا دونه وكشفوا الكرب عن وجهه اولئك اهل للمحبة وان جعلته تابعا
للمتقين وقع الاستيناف على اولئك كانه قيل ما للمستقلين بهذه الصفات قد
اختصوا بالهدى فاجيب بان اولئك الموصوفين غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس
بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا واعلم ان هذا النوع من الاستيناف يجيء تارة باعادة اسم من
استونف عنه الحديث كقولك قد احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة
باعادة صفته كقولك احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك منك فيكون الاستيناف
باعادة الصفة احسن وابلغ لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه فان قلت هل
يجوز ان يجري الموصول الاول على المتقين وان يرتفع الثاني على الابتداء واولئك
خبره قلت نعم على ان تجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا باهل الكتاب
الذين لم يؤمنوا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهم ظانون انهم على الهدى وطامعون انهم
ينالون الفلاح عند الله وفي اسم الاشارة الذي هو اولئك ايذان بان ما يرد عقيبه
فالمذكورون قبله اهل لاكتسابه من اجل الخصال التي عددت لهم كما قال حاتم
ولله صعلوك ثم عدد له خصالا فاضلة ثم عقب تعديدها بقوله فذلك ان يهلك

فحسنى ثناؤه وان عاش لم يقعد ضعيفا مذمما ومعنى الاستعلاء في قوله
على هدى مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به شبهت حالهم
بحال من اعتلى الشيء وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك
في قولهم جعل الغواية مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى ومعنى
هدى من ربهم اي منحوه من عنده واوتوه من قبله وهو اللطف والتوفيق
الذي اعتضدوا به على اعمال الخير والترقي الى الافضل فالافضل ونكر
هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره كانه قيل على اي هدى
كما تقول لو ابصرت فلانا لابصرت رجلا وقال الهذلي فلا وابي
الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم والنون في من ربهم
ادغمت بغنة وبغير غنة فالكسائي وحمزة ويزيد وورش في رواية
والهاشمي عن ابن كثير لم يغنوها وقد اغنها الباقون الا ابا عمرو فقد روي
عنه فيها روايتان وفي تكرير اولئك تنبيه على انهم كما ثبتت لهم الاثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح
فجعلت كل واحدة من الاثرتين في تمييزهم بها عن غيرهم بالمثابة التي لو انفردت كفت مميزة على حيالها
فان قلت لم جاء مع العاطف وما الفرق بينه وبين قوله اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون
قلت قد اختلف الخبران ههنا فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين ثمة فانهما متفقان لان التسجيل عليهم
بالغفلة وتشبيههم بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة لما في الاولى فهي من العطف بمعزل وهم فصل

وفايدته الدلالة على ان الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وايجاب ان فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون
غيره او هو مبتداء والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك ومعنى التعريف في المفلحون الدلالة على ان المتقين هم الناس
الذين بلغك عنهم انهم يفلحون في الآخرة كما اذا بلغك ان انسانا قد تاب من اهل بلدك فاستخبرت من هو فقيل
زيد التائب اي هو الذي اخبرت بتوبته او على انهم الذين ان حصلت صفة المفلحين وتحققوا ما هم وتصوروا
بصورتهم الحقيقية فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك هل عرفت الاسد وما جبل عليه من فرط الاقدام
ان زيدا هو هو فانظر كيف كرر الله عز من قائل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد على طرق شتى
وهي ذكر اسم الاشارة وتكريره وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل بينه وبين اولئك ليبصرك مراتبهم ويرغبك
في طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا ويثبطك عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب والتمني على الله
ما لا يقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا في زمرة من صدرت بذكرهم سورة
البقرة والمفلح الفائز بالبغية كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه والمفلج بالجيم مثله ومنه قولهم
للمطلقة استفلحي بامرك بالحاء والجيم والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذلك اخواته في الفاء والعين
نحو فلق وفلذ وفلى لما قدم ذكر اوليائه وخالصة عباده بصفاتهم التي اهلتهم لاصابة الزلفى عنده وبين ان
الكتاب هدى ولطف لهم خاصة قفى على اثره بذكر اضدادهم وهم العتاة المردة من الكفار الذين لا ينفع فيهم الهدى
ولا يجدي عليهم اللطف وسواء عليهم وجود الكتاب وعدمه وانذار الرسول وسكوته فان قلت لم قطعت
قصة الكفار عن قصة المؤمنين ولم تعطف كنحو قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وغيره من الآي الكثيرة
قلت ليس وزان هاتين القصتين وزان ما ذكرت لان الاولى فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب وانه هدى للمتقين

وسيقت الثانية لان الكفار من صفتهم كيت وكيت فبين الجملتين تباين في الغرض والاسلوب وهما على حد
لا مجال فيه للعاطف فان قلت هذا اذا زعمت ان الذين يؤمنون جار على المتقين فاما اذا ابتدأته
وبنيت الكلام لصفة المؤمنين ثم عقبته بكلام آخر في صفة اضدادهم كان مثل تلك الآي المتلوة قلت
قد مر لي ان الكلام المبتدأ عقيب المتقين سبيله الاستيناف وانه مبني على تقدير سؤال فذلك ادراج له
في حكم المتقين وتابع له في المعنى وان كان مبتدأ في اللفظ فهو في الحقيقة كالجاري عليه والتعريف في الذين كفروا
يجوز ان يكون للعهد وان يراد بهم ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم وان
يكون للجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوي بعده وغيرهم ودل على تناوله للمصرين الحديث
عنهم باستواء الانذار وتركه عليهم وسواء اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله
تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم في اربعة ايام سواء للسائلين بمعنى مستوية وارتفاعه على انه خبر
لان وانذرتهم ام لم تنذرهم في موضع المرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه
كما تقول ان زيدا مختصم اخوه وابن عمه او يكون انذرتهم ام لم تنذرهم في موضع الابتداء وسواء خبرا مقدما
بمعنى سواء عليهم انذارك وعدمه والجملة خبر لان فان قلت الفعل ابدا خبر لا مخبر عنه فكيف صح الاخبار عنه
في هذا الكلام قلت هو من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ الى جانب المعنى وقد وجدنا العرب يميلون
في مواضع من كلامهم مع المعاني ميلا بينا من ذلك قولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن منك اكل السمك وشرب
اللبن وان كان ظاهر اللفظ على ما لا يصح من عطف الاسم على الفعل والهمزة وام مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ
عنهما معنى الاستفهام راسا قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء قولك اللهم اغفر لنا
ايتها العصابة يعني ان هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام كما ان ذلك جرى على صورة النداء ولا نداء ومعنى

ومعنى الاستواء استواؤهما في علم المستفهم عنهما لانه قد علم ان احد الامرين كائن اما الانذار وعدمه ولكن لا بعينه فكلاهما معلوم بعلم غير معين وقرئ أأنذرتهم بتحقيق الهمزتين والتخفيف اعرب واكثر وبتخفيف الثانية بين بين وبتوسط الف بينهما محققتين وبتوسطها والثانية بين بين وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه والقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد افلح. فان قلت ما تقول فيمن يقلب الثانية الفا قلت هو لاحن خارج من كلام العرب خطأ من جهتين احدهما الاقدام على جمع الساكنين على غير حده فحده ان يكون الاول حرف لين والثاني مدغما نحو قوله الضالين وخويصة والثاني اخطاء طريق التخفيف لان طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها ان تخرج بين بين واما القلب الفا فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها كهمزة رأس والانذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي. فان قلت ما موقع لا يؤمنون قلت اما ان تكون جملة مؤكدة للجملة قبلها او خبرا لان والجملة قبلها اعتراض. الختم والكتم اخوان لان في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتما له وتغطية لئلا يتوصل اليه ولا يطلع عليه. والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة. فان قلت ما معنى الختم على القلوب والاسماع وتغشية الابصار قلت لا ختم ولا تغشية ثم على الحقيقة وانما هو من باب المجاز ويحتمل ان يكون من كلا نوعيه وهما الاستعارة والتمثيل اما الاستعارة فان تجعل قلوبهم لان الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص الى ضمائرها من قبل اعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده واسماعهم لانها تمجه وتنبو عن الاصغاء اليه وتعاف استماعه كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم لانها لا تجتلي آيات الله المعروضة ودلائله المنصوبة كما تجتليها اعين المعتبرين المستبصرين كانما غطي عليها وحجبت وحيل بينها وبين الادراك واما التمثيل فان تمثل حيث لم يستنفعوا بها في الاغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا من اجلها باشياء ضرب حجاب بينها وبين

الاستنفاع بها بالختم والتغطية وقد جعل بعض المازنيين الحبسة في اللسان والعي ختما عليه فقال ختم الاله على لسان عذافر ختما فليس على الكلام بقادر واذا اراد النطق خلت لسانه لحما يحركه لصقر نابر. فان قلت فلم اسند الختم الى الله تعالى واسناده اليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل اليه بطرقه وهو قبيح والله يتعالى عن فعل القبيح علوا كبيرا لعلمه بقبحه وعلمه بغناه عنه وقد نص على تنزيه ذاته بقوله وما انا بظلام للعبيد وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ان الله لا يامر بالفحشاء ونظائر ذلك مما نطق به التنزيل قلت القصد الى صفة القلوب بانها كالمختوم عليها واما اسناد الختم الى الله عز وجل فلينبه على ان هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشيء الخلقي غير العرضي الا ترى الى قولهم فلان مجبول على كذا ومفطور عليه يريدون انه بليغ في الثبات عليه وكيف يتخيل ما خيل اليك وقد وردت الآية ناعية على الكفار شناعة صفتهم وسماجة حالهم ونيط بذلك الوعيد بعذاب عظيم ويجوز ان تضرب الجملة كما هي وهي ختم الله على قلوبهم مثلا كقولهم سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا اطال الغيبة وليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلاكه ولا في طول غيبته وانما هو تمثيل مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال من طارت به العنقاء فكذلك مثلت حال قلوبهم

فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها نحو قلوب الاغتام التي هي في خلوها عن الفطن كقلوب البهايم او بحال قلوب البهايم انفسها او بحال قلوب مقدر ختم الله عليها حتى لا تعي شيئا ولا تفقه وليس له عز وجل فعل في تجافيها عن الحق ونبوّها عن قبوله وهو متعال عن ذلك ويجوز ان يستعار الاسناد في نفسه من غير الله لله فيكون الختم مسندا الى اسم الله على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة تفسير هذا ان للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له فاسناده الى الفاعل حقيقة وقد يسند الى هذه الاشياء على طريق المجاز المسمى استعارة وذلك لمضاهاتها الفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهي الرجل الاسد في جرأته فيستعار له اسمه فيقال في المفعول به عيشة راضية وماء دافق وفي عكسه سيل مفعم وفي المصدر شعر شاعر وذيل ذايل وفي الزمان نهاره صايم وليله قايم وفي المكان طريق سائر ونهر جار واهل مكة يقولون صلى المقام وفي المسبب بنى الامير المدينة وناقة ضبوث وحلوب وقال اذا رد عافي القدر من يستعيرها فالشيطان هو الخاتم في الحقيقة او الكافر الا ان الله سبحانه لما كان هو الذي اقدره ومكنه اسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب ووجه رابع وهو انهم لما كانوا على القطع والبت ممن لا يؤمن ولا تغني عنهم الايات والنذر ولا تجدي عليهم الالطاف المحصلة ولا المقربة ان اعطوها لم يبق بعد استحكام العلم بانه لا طريق الى ان يؤمنوا طوعا واختيارا طريق الى ايمانهم الا القسر والالجاء واذا لم يبق الا ان يقسرهم الله ويلجيهم ثم لم يقسرهم ولم يلجيهم لئلا ينتقض الغرض في التكليف عبر عن ترك القسر والالجاء بالختم اشعارا بانهم الذين ترامى امرهم في التصميم على الكفر والاصرار عليه الى حد لا يتناهون عنه الا بالقسر والالجاء وهي الغاية القصوى في وصف لجاجهم في الغي واستشرائهم في الضلال والبغي ووجه خامس وهو ان يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه تهكما بهم من قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ونظيره في الحكاية والتهكم قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة فان قلت اللفظ يحتمل ان تكون الاسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم التغشية فعلى ايهما يعول قلت على دخولها في حكم الختم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم فان قلت اي فايدة في تكرير الجار في قوله وعلى سمعهم قلت لو لم يكرر لكان انتظاما للقلوب والاسماع في تعدية واحدة وحين استجد للاسماع تعدية على حدة كان ادل على شدة الختم في الموضعين ووحد السمع كما وحد البطن في قوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا يفعلون ذلك اذا امن اللبس فاذا لم يؤمن كقولك فرسهم وثوبهم وانت تريد الجمع رفضوه ولك ان تقول السمع مصدر في اصله والمصادر لا تجمع

وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم

27

الاصل يدل عليه جمع الآذان في قوله وفي آذاننا وقر وان تقدر مضافا محذوفا اي وعلى
حواس سمعهم وقرأ ابن ابي عبلة وعلى اسماعهم فان قلت هلا منع ابا عمرو والكسائي من امالة
ابصارهم ما فيه من حرف الاستعلاء وهو الصاد قلت لان الراء المكسورة
تغلب المستعلية لما فيها من التكرير كأن فيها كسرتين وذلك اعون شيء
على الامالة وان يمال له ما لا يمال والبصر نور العين وهو ما يبصر به الرائي
ويدرك المرئيات كما ان البصيرة نور القلب وهو ما به يستبصر ويتأمل
وكأنهما جوهران لطيفان خلقهما الله فيهما آلتين للابصار والاستبصار
وقرئ غشاوة بالكسر والنصب وغشاوة بالضم والرفع وغشاوة بالفتح
والنصب وغشوة بالكسر والرفع وغشوة بالفتح والرفع والنصب
وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع من العشا والعذاب مثل النكال
بناء ومعنى لانك تقول اعذب عن الشيء اذا امسك عنه كما تقول نكل عنه ومنه العذب
لانه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فانه يزيده ويدل عليه تسميتهم اياه
نقاخا لانه ينقخ العطش اي يكسره وفراتا لانه يرفته على القلب ثم اتسع فيه فسمي
كل الم فادح عذابا وان لم يكن نكالا اي عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة
والفرق بين العظيم والكبير ان العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير
فكأن العظيم فوق الكبير كما ان الحقير دون الصغير ويستعملان في الجثث
والاحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره

ومعنى التنكير ان على ابصارهم نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء
التعامي عن آيات الله ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا
الله اللهم اجرنا من عذابك ولا تبلنا بسخطك يا واسع المغفرة افتتح سبحانه
بذكر الذين اخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم ووافق سرهم
علنهم وفعلهم قولهم ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا قلوبا وألسنة
ثم ثلث بالذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وابطنوا خلاف ما اظهروا وهم
الذين قال فيهم مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وسماهم المنافقين وكانوا اخبث
الكفرة وابغضهم اليه وامقتهم عنده لانهم خلطوا بالكفر تمويها وتدليسا وبالشرك استهزاء
وخداعا ولذلك انزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ووصف حال الذين
كفروا في آيتين وحال الذين نافقوا في ثلاث عشرة آية نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم
وفضحهم واستجهلهم وسفههم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم
وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الامثال الشنيعة وقصة المنافقين عن
آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة واصل ناس اناس
حذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقة في الوقة وحذفها مع لام التعريف كاللازم لا
يكاد يقال الاناس ويشهد لاصله انسان واناسي واناس وانس وسموا لظهورهم و
انهم يؤنسون اي يبصرون كما سمي الجن لاجتنانهم ولذلك سموا بشرا ووزن
ناس فعال لان الزنة على الاصول الا ترى لك تقول وزن قه افعل وليس معك

الا العين وحدها وهو من اسماء الجمع كرخال وثناء وا نونه للمصغر الآتي على خلاف مكبره كانيسيان ورويجل ولام التعريف فيه للجنس ويجوز ان يكون للعهد والاشارة الى الذين كفروا المار ذكرهم كانه قيل ومن هولاء من يقول وهم عبد الله بن ابي واصحابه ومن كان في حالهم من اهل التصميم على النفاق ونظير موقعه موقع القوم في قولك نزلت ببني فلان فلم يقروني والقوم لئام ومن في من يقول موصوفة كانه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا كقوله من المومنين رجال ان جعلت اللام للجنس وان جعلتها للعهد فموصولة كقوله ومنهم الذين يوذون النبي فان قلت كيف تجعلون بعض اوليك والمنافقون غير المختوم على قلوبهم قلت الكفر جمع الفريقين معا وصيرهم جنسا واحدا وكون المنافقين نوعا من نوعي هذا الجنس مغايرا للنوع الآخر بزيادة زادوها على الكفر الجامع بينهما من الخديعة والاستهزاء لا تخرجهم من ان يكونوا بعضا من الجنس فان الاجناس انما تنوعت لمغايرات وقعت بين بعضها وبعض وتلك المغايرات انما تاتي النوعية ولا تاتي الدخول تحت الجنسية فان قلت لم اختص بالذكر الايمان بالله والايمان باليوم الآخر اختصاصهما بالذكر كشف عن افراطهم في الخبث وتماديهم في الدعارة لان القوم كانوا يهودا وايمان اليهود بالله ليس بايمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك ايمانهم باليوم الآخر لانهم يعتقدونه على خلاف صفته وكان قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر خبثا مضاعفا وكفرا موجها لان قولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم هو كفر لا ايمان فاذا قالوه على وجه النفاق خديعة للمسلمين واستهزاء بهم واروهم انهم مثلهم في الايمان الحقيقي كان خبثا الى خبث وكفرا الى كفر وايضا فقد اوهموا في هذا المقال انهم احتازوا الايمان من جانبيه واكتنفوه من قطريه واحاطوا باوله وآخره وفي تكرير الباء انهم ادعوا كل واحد من الايمانين ايمانا على صفة الصحة والاستحكام فان قلت كيف طابق قوله وما هم بمومنين قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر والاول في ذكر شان الفعل لا الفاعل والثاني في ذكر شان الفاعل لا الفعل قلت القصد الى انكار ما ادعوه ونفيه وسلك في ذلك طريق ادى الى الغرض المطلوب وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره وهو اخراج ذواتهم وانفسهم من ان تكون طائفة من طوائف المومنين لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين في الايمان واذا شهد عليهم بانهم في انفسهم على هذه الصفة فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفي ما انتحلوا اثباته لانفسهم على سبيل القطع والبت ونحوه قوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها هو ابلغ من قولك وما يخرجون منها فان قلت فلم جاء الايمان مطلقا في الثاني وهو مقيد في الاول قلت يحتمل ان يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه وان يراد بالاطلاق انهم ليسوا من الايمان في شيء قط لا من الايمان بالله وباليوم الآخر ولا من الايمان بغيرهما فان قلت ما المراد باليوم الآخر قلت يجوز ان يراد به الوقت الذي لا حد له وهو الابد الدائم الذي لا ينقطع لتاخره عن الاوقات المنقضية وان يراد به الوقت المحدود من النشور الى ان يدخل

يعني انهم ادعوا انهم امنوا بالمبداء والمعاد على ما يتاعليه ... كل ...

يُخَادِعُونَ اللّٰهَ وَرَسُولَه وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ

اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة الذي لاحد للوقت
بعده والخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه من قولهم ضبّ
خادع وخدع اذا امرّ الحارش يده على باب جحره اوهمه اقباله عليه ثم خرج
من باب آخر فان قلت كيف ذلك ومخادعة الله والمؤمنين لا تصح لان العالم
الذي لا يخفى عليه خافية لا يخدع والحكيم الذي لا يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنون
وان جاز ان يخدعوا لم يجز ان يخدعوا الا ترى الى قوله واستمطروا من قريش
كل مختدع وقول ذي الرمة ان الحليم وذا الاسلام يختلب فقد جاء النعت
بالانخداع ولم يأت بالخدع قلت فيه وجوه احدها ان يقال كانت صورة صنيعهم
مع الله حيث يتظاهرون بالايمان وهم كافرون صورة صنيع الخادعين وصورة
صنيع الله معهم حيث امر باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده في عداد
شرار الكفرة واهل الدرك الاسفل من النار صورة صنيع الخادع وكذلك صورة
صنيع المؤمنين معهم حيث امتثلوا امر الله فيهم فاجروا احكامهم عليهم والثاني
ان يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم ان الله ممن يصح خداعه لان من كان ادعاه
الايمان بالله نفاقا لم يكن عارفا بالله ولا بصفاته ولا ان لذاته تعلقا بكل معلوم
ولانه غني عن فعل القبائح فلم يبعد من مثله تجويز ان يكون الله في زعمه مخدوعا
ومصابا بالمكروه من وجه خفي وتجويز ان يدلس على عباده ويخدعهم والثالث
ان يذكر الله ويراد الرسول لانه خليفته في ارضه والناطق عنه باوامره و

نواهيه مع عباده كما يقال قال الملك كذا ورسم كذا وانما القائل والراسم
وزيره او خاصته الذين قولهم قوله ورسمهم رسمه مصداقه قوله ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم ومن يطع الرسول فقد اطاع
الله والرابع ان يكون من قولهم اعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين
آمنوا بالله وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص ولما كان المؤمنون من الله
بمكان سلك بهم ذلك المسلك ومثله والله ورسوله احق ان يرضوه وكذلك
ان الذين يؤذون الله ورسوله ونظيره في كلامهم علمت زيدا فاضلا الغرض
فيه فضل زيد ولكن ذكر زيد توطئة وتمهيد لذكر فضله فان قلت هل للاقتصار
بخادعت على واحد وجه صحيح قلت وجهه ان يقال عنى به فعلت
الا انه اخرج في زنة فاعلت لان الزنة في اصلها للمغالبة والمباراة والفعل متى
غولب فيه فاعله جاء ابلغ واحكم منه اذا زاوله وحده من غير مغالب ومبار
لزيادة قوة الداعي اليه ويعضده قراءة من قرأ يخدعون الله والذين آمنوا
وهو ابو حيوة ويخادعون بيان ليقول ويجوز ان يكون مستانفا كانه
قيل ولم يدّعون الايمان كاذبين وما رفقهم في ذلك فقيل يخادعون
كانوا يخادعون قلت كانوا يخادعونهم عن اغراض لهم ومقاصد منها
متاركتهم واعفاؤهم عن المحاربة وعما يطرقون به من سواهم من الكفار
ومنها اصطناعهم بما يصطنعون به المؤمنين من اكرامهم والاحسان اليهم

فيه ذكرا حاط العلم بفضل زيد لا انه لا كان معلوما انه قد علم كانه قيل علمت فضل زيد

بانه لا يكون من الجانب الآخر خدع هذا تحقيق تتميم للوجهين الآخرين حيث اقتصر على خدعهم الرسول او المؤمنين اذ لا يمكن ان يجعل الفعل الواحد بعضه حقيقة وبعضه مجازا

واعطائهم الحظوظ من المغانم ونحو ذلك من الفوايد ومنها اطلاعهم لاختلاطهم بهم
على الاسرار التي كانوا حراصا على اذاعتها الى منابذيهم فان قلت فلو اظهر
عليهم حتى لا يصلوا الى هذه الاغراض بخداعهم لا تعلقت مفاسد واستبقاء
ابليس وذريته ومناذكتهم وما هم عليه من اغواء المنافقين وتلقينهم النفاق
اشد من ذلك ولكن السبب فيه ما علمه تعالى من المصلحة فان قلت على المراد
بقوله وما يخادعون الا انفسهم قلت يجوز ان يراد وما يعاملون تلك المعاملة
المشبهة بمعاملة المخادع الا انفسهم لان ضررها يلحقهم ومكرها يحيق بهم كما تقول
فلان يضاد فلانا وما يضاد الا نفسه اي دايرة الضرار راجعة اليه وغير محيطة
متخطية اياه وان يراد حقيقة المخادعة اي وهم في ذلك يخدعون انفسهم حيث يمنونها
الاباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها به وانفسهم كذلك تمنيهم وتحدثهم بالاماني
وان يراد وما يخدعون فجي به على لفظ يفاعلون للمبالغة وقري وما يخدعون
ويخدعون من خدع ويخدعون بفتح الياء بمعنى يختدعون ويخدعون و
يخادعون على لفظ ما لم يسم فاعله النفس ذات الشي وحقيقته يقال عندي
كذا نفسا ثم قيل للقلب نفس لان النفس به الا ترى الى قولهم المرء باصغريه
وكذلك بمعنى الروح وللدم نفس لان قوامها بالدم وللماء نفس لفرط حاجتها اليه
قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي وحقيقة نفس الرجل بمعنى عين ثم اصيبت
نفسه كقولهم صدر الرجل وقولهم فلان يوامر نفسه اذا تردد في الامر واتجه

عنها فلت لم يظهره عليهم لما احاط به علما من المصالح التي لو اظهر عليهم صح

انجه له رايان وداعيان لا يدري على ايهما يعرج كانهم ارادوا داعيي النفس
وهاجسي النفس فسموهما نفسين اما لصدورهما عن النفس واما لان الداعيين
لما كانا كالمشيرين عليه والامرين له شبهوهما بذاتين فسموهما نفسين والمراد بالانفس
ههنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم ان الخداع لاصق بهم لا يعدوهم
الى غيرهم ولا يتخطاهم الى من سواهم ويجوز ان يراد قلوبهم ودواعيهم وآراؤهم
والشعور علم الشي علم حس من الشعار ومشاعر الانسان حواسه والمعنى
ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له واستعمال
المرض في القلب يجوز ان يكون حقيقة ومجازا فالحقيقة ان يراد الالم كما تقول
في جوفه مرض والمجاز ان يستعار لبعض اعراض القلب كسوء الاعتقاد
والغل والحسد والميل الى المعاصي والعزم عليها واستشعار الهوى والجبن
والضعف وغير ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض كما استعيرت الصحة
والسلامة في نقايض ذلك والمراد به هنا ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر
او من الغل والحسد والبغضاء لان صدورهم كانت تغلي على رسول الله
عليه السلام والمومنين غلا وحنقا ويبغضونهم البغضاء كما وصفها الله في قوله قد بدت
البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر ويتحرقون عليهم حسدا ان مسسكم
حسنة تسوهم وناهيك بما كان من ابن ابي وقول سعد بن عبادة
لرسول الله عليه السلام اعف عنه يا رسول الله واصفح فوالله لقد اعطاك الله الذي

اعطاكه ولقد اصطلح اهل هذه البحيرة ان يعصبوه بالعصابة فلما رد الله
ذلك بالحق الذي اعطاكه شرق بذلك او يراد ما تداخل قلوبهم من الضعف
والجبن والخور لان قلوبهم كانت قوية اما لقوة طمعهم فيما كانوا يتحدثون
به ان ريح الاسلام تهب حينا ثم تسكن ولواءه يخفق اياما ثم يقر فضعفت
حين ملكها اليأس حين انزل الله على رسوله النصر واظهار دينه على الدين كله
واما لجراءتهم وجسارتهم في الحروب فضعفت جبنا وخورا حين قذف الله
في قلوبهم الرعب وشاهدوا شوكة المسلمين واعداد الله لهم بالملئكة قال رسول
الله عليه السلام نصرت بالرعب مسيرة شهر ومعنى زيادة الله اياهم مرضا
انه كلما انزل على رسوله الوحي فسمعوه كفروا به فازدادوا كفرا الى كفرهم فكان الله
هو الذي زادهم ما ازدادوه اسنادا للفعل الى المسبب كما اسنده الى السورة في
قوله فزادتهم رجسا لكونها سببا او كلما زاد رسوله نصرة وتبسطا في البلاد
ونقصا من اطراف الارض ازدادوا حسدا وبغضا وازدادت قلوبهم ضعفا
وقلة طمع فيما عقدوا به رجاءهم جبنا وخورا ويحتمل ان يراد بزيادة المرض الطبعي
وقراءة ابو عمرو في رواية الاصمعي مرض ومرضا بسكون الراء يقال الم فهو اليم كوجع
فهو وجيع ووصف العذاب به نحو قوله تحية بينهم ضرب وجيع وهذا على طريقة
قولهم جد جده والالم في الحقيقة للمؤلم كما ان الجد للجاد والمراد بكذبهم قولهم امنا
بالله وباليوم الاخر وفيه رمز الى قبح الكذب وسماجته وتخييل ان العذاب الاليم

ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون

لاحق بهم من اجل كذبهم ونحوه قوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا والقوم كفرة
وانما خصت الخطيئات استعظاما لها وتنفيرا عن ارتكابها والكذب الاخبار بالشيء
على خلاف ما هو به وهو قبيح كله واما ما يروى عن ابرهيم صلوات الله عليه
انه كذب ثلث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما كانت صورته صورة
الكذب سمي به وعن ابي بكر رضي الله عنه وروي مرفوعا اياكم والكذب
فانه مجانب للايمان وقرئ يكذبون من كذبه الذي هو نقيض صدقه ومن كذب
الذي هو مبالغة في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدق ونظيرهما بان الشيء
وبين وقلص الثوب وقلص او بمعنى الكثرة كقولك موتت البهايم وبركت
الابل ومن قولهم كذب الوحشي اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه
لان المنافق متردد في امره ولذلك قيل له مذبذب وقال عليه السلام مثل
المنافق كمثل الشاة العايرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة واذا
قيل لهم معطوف على يكذبون ويجوز ان يعطف على يقول امنا لانك لو قلت
ومن الناس من اذا قيل لهم لا تفسدوا كان صحيحا والاول اوجه والفساد خروج
الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعا به ونقيضه الصلاح وهو الحصول على الحالة
المستقيمة النافعة والفساد في الارض هيج الحروب والفتن لان في ذلك فسادا في
الارض وانتفاء الاستقامة عن احوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية
قال الله تعالى واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل

فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ومنه قيل لحرب كانت بين طي حرب الفساد وكان فساد المنافقين في الارض انهم كانوا يمايلون الكفار ويمالئونهم على المسلمين بافشاء اسرارهم اليهم واغرائهم عليهم وذلك مما يؤدي الى هيج الفتن بينهم فلما كان ذلك من صنيعهم مؤديا الى الفساد قيل لا تفسدوا كما تقول للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار اذا اقدم على ما هذه عاقبته وانما لقصر الحكم على شي كقولك انما ينطلق زيد او لقصر الشي على حكم كقولك انما زيد كاتب ومعنى انما نحن مصلحون ان صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد والا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لاعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها والاستفهام اذا دخل على النفي افاد تحقيقا كقوله اليس ذلك بقادر ولكونها في هذا المنصب من التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم واختها التي هي اما من مقدمات اليمين وطلايعها اما والذي لا يعلم الغيب غيره اما والذي ابكى واضحك رد الله ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين ابلغ رد وادله على سخط عظيم والمبالغة فيه من الاستيناف وما في كلتا الكلمتين الا وان من التاكيدين وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون اتوهم في النصيحة من وجهين احدهما تقبيح ما كانوا عليه لبعده من الصواب وجره الى الفساد والفتنة والثاني

تبصيرهم لطريق الاسد من اتباع ذوي الاحلام ودخولهم في عدادهم فكان من جوابهم ان سفهوهم لفرط سفههم وجهلوهم لتمادي جهلهم وفي ذلك تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة فان قلت كيف صح ان يسند قيل الى لا تفسدوا وآمنوا واسناد الفعل الى الفعل مما لا يصح قلت الذي لا يصح هو اسناد الفعل الى معنى الفعل وهذا اسناد له الى لفظه كانه قيل واذا قيل لهم هذا القول وهذا الكلام فهو نحو قولك الف من ثلاثة احرف ومنه زعموا مطية الكذب وما في كما يجوز ان يكون كافة مثلها في ربما ومصدرية مثلها في بما رحبت واللام في الناس للعهد اي كما آمن رسول الله ومن معه وهم ناس معهودون او عبد الله بن سلام واشياعه لانهم من جلدتهم ومن ابناء جنسهم اي كما آمن اصحابكم واخوانكم او للجنس اي كما آمن الكاملون في الانسانية او جعل المؤمنون كانهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم في فقد التمييز بين الحق والباطل والاستفهام في انؤمن في معنى الانكار واللام في السفهاء مشار بها الى الناس كما تقول لصاحبك ان زيدا قد سعى بك فيقول او قد فعل السفيه ويجوز ان يكون للجنس وينطوي تحته الجارون ذكرهم على زعمهم واعتقادهم لانهم عندهم اعرق الناس في السفه فان قلت لم سفهوهم واستركوا عقولهم وهم العقلاء المراجيح قلت لانهم لجهلهم واخلالهم بالنظر وانصاف انفسهم اعتقدوا ان ما هم فيه هو الحق وان ما عداه باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيها ولانهم كانوا في رياسة في قومهم ويسار

وكان اكثر المؤمنين فقراء ومنهم موالٍ كصهيب وبلال وخباب فدعوهم
سفهاء تحقيرا لشانهم او ارادوا عبد الله بن سلام واشياعه ومفارقتهم
دينهم وما غاظهم من اسلامهم وفتّ في اعضادهم قالوا ذلك على سبيل
التجلد توقيا من شماتتهم بهم مع علمهم انهم من السفه بمعزل والسفه سخافة
العقل وخفة الحلم فصلت هذه الاية بلا يعلمون والتي قبلها
بلا يشعرون لان امر الديانة والوقوف على ان المؤمنين على الحق
وهم على الباطل يحتاج الى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة واما
النفاق وما فيه من البغي المؤدي الى الفتنة والفساد في الارض فامر دنيوي
مبني على العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب في جاهليتهم و
ما كان قائما بينهم من التغاور والتناحر والتجاذب والتحازب فهو
كالمحسوس المشاهد ولانه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه
احسن طباقا له مساق هذه الآية بخلاف ما سيقت له اول قصة المنافقين
فليس بتكرير لان تلك في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان
ما كانوا يعملون مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم ولقائهم
بوجوه المصادقين وايهامهم انهم معهم فاذا فارقوهم الى شطار دينهم صدقوهم ما
في قلوبهم وروي ان عبد الله بن ابي واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم
نفر من اصحاب رسول الله عليه السلام فقال عبد الله انظروا

انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر فقال مرحبا بالصديق
سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله ثم اخذ
بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله
لرسول الله ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم
ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رايتموني فعلت فاثنوا عليه خيرا فنزلت
ويقال لقيته ولاقيته اذا استقبلته قريبا منه وهو جاد في ملاقيه ومراوغه وقرأ ابو
حنيفة رحمه الله واذا لاقوا خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه ويجوز ان يكون من خلا
بمعنى مضى وخلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية او من خلوت به اذا سخرت
منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه واذا انهوا السخرية بالمؤمنين الى شياطينهم
وحدثوهم بها كما تقول احمد اليك فلانا واذمه اليك وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين
في تمردهم وقد جعل سيبويه نون الشياطين في موضع من كتابه اصلية وفي آخر زائدة والدليل على
اصالتها قولهم تشيطن واشتقاقه من شطن اذا بعد لبعده من الصلاح والخير ومن
شاط اذا بطل اذا جعلت نونه زائدة ومن اسمائه الباطل انا مصاحبوكم وموافقوكم على
دينكم فان قلت لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة
بان قلت ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديرا باقوى الكلامين واوكدهما لانهم في ادعاء
حدوث الايمان منهم ونشئه من قبلهم لا في ادعاء انهم اوحديون في الايمان غير مشقوق فيه
غبارهم وذلك اما لان انفسهم لا تساعدهم عليه اذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك وهكذا

قوله تعالى واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن

كل قول لم يصدر عن أريحية وصدق رغبة واعتقاد وما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ
التوكيد والمبالغة وكيف يقولونه ويطمعون في رواجه وهم بين ظهراني المهاجرين والانصار
الذين مثلهم في التوراة والانجيل الا ترى الى حكاية الله قول المؤمنين ربنا اننا آمنا واما مخاطبة
اخوانهم فهم فيما اخبروا به عن انفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر والبعد من
ان يزلوا عنه على صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح للتكلم به وما قالوه من ذلك فهو رائج
عنهم متقبل عنهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد فان قلت اني تعلق قوله انما نحن
مستهزئون بقوله انا معكم قلت هو توكيد له لان قوله انا معكم معناه الثبات على اليهودية
وقوله انما نحن مستهزئون رد للاسلام ودفع له منهم لان المستهزئ بالشيء المستخف به منكر
له ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشيء تأكيد لثباته او بدل منه لان من حقر الاسلام
فقد عظم الكفر او استيناف كانهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم انا معكم فقالوا لهم
ان صح انكم معنا فما لكم توافقون اهل الاسلام فقالوا انما نحن مستهزئون والاستهزاء السخرية والاستخفاف
واصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على المكان عن بعض
العرب مشيت فلغبت فظننت لأهزأن على مكاني وناقته تهزأ به اي تسرع وتخف
فان قلت لا يجوز الاستهزاء على الله تعالى لانه متعال عن القبيح والسخرية من باب العبث
والجهل الا ترى الى قوله قالوا أتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين فما معنى استهزائه
بهم قلت معناه انزال الهوان والحقارة بهم لان المستهزئ غرضه الذي يرميه هو طلب
الخفة والزراية ممن يهزأ به وادخال الهوان والحقارة عليه والاشتقاق كما ذكرنا شاهد لذلك

وقد كثر التهكم في كلام الله بالكفرة والمراد به تحقير شأنهم وازدراء أمرهم والدلالة على
ان مذاهبهم حقيقة بان يسخر منها الساخرون ويضحك الضاحكون ويجوز ان يراد به ما مر
في يخادعون من انه تجرى عليهم احكام المسلمين في الظاهر وهو مبطن بادخار
ما يراد بهم وقيل سمي جزاء الاستهزاء باسمه كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه فان قلت كيف ابتدئ قوله الله يستهزئ بهم ولم يعطف
على الكلام قبله قلت هو استيناف في غاية الجزالة والفخامة وفيه ان الله
عز وجل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذي ليس استهزاؤهم
اليه باستهزاء ولا يؤبه له في مقابلته لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان
والذل وفيه ان الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين ولا يحوج
المؤمنين ان يعارضوهم باستهزاء مثله فان قلت فهلا قيل الله مستهزئ
بهم ليكون طبقا لقوله انما نحن مستهزئون قلت لان يستهزئ يفيد
حدوث الاستهزاء وتجدده وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات
الله فيهم وبلاياه النازلة بهم اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين
وما كانوا يخلون في اكثر اوقاتهم من تهتك استار وتكشف اسرار ونزول
في شأنهم واستشعار حذر من ان ينزل فيهم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم
سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون ويمدهم في
طغيانهم من مد الجيش وامده اذا زاده والحقه بما يقويه ويكثره وكذلك

مد الدواة وامدها زادها ما يصلحها ومددت السراج والارض واصله بالوساوس حتى يتلاحق غيه ويزداد انهماكا فيه قان قلت لم زعمت انه من المدد دون المد قراءة ابن كثير وابن محيصن ويمدهم وقراءة نافع واخوانهم يمدونهم على ان الذي بمعنى امهله انما هو مد له مع اللام كاملى له قلت فكيف جاز ان يوليهم الله مددا في الطغيان وهو فعل الشياطين الا ترى الى قوله واخوانهم يمدونهم في الغي قلت اما ان تحمل على انهم لما منعهم الله الطافه التي يمنحها المومنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم عليه بقيت قلوبهم يتزايد الرين والظلمة فيها تزايد الانشراح والنور في قلوب المومنين فسمي ذلك التزايد مددا واسند الى الله سبحانه لانه مسبب عن فعله بهم بسبب كفرهم واما على منع القسر والالجاء واما على ان يسند فعل الشيطان الى الله تعالى لانه بتمكينه واقداره والتخلية بينه وبين اغواء عباده قلت فما حملهم على تفسير المد في الطغيان بالامهال وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع عليه قلت استجرهم الى ذلك خوف الاقدام على ان يسند والى الله ما اسند الى الشياطين ولكن المعنى الصحيح ما طابقه اللفظ وشهد بصحته والا كان منه بمنزلة الاروى من النعام ومن حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز ان يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدي سليما من القادح فاذا لم يتعاهد اوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة

اذا استضلت بها بالزيت والسماد ومد الشيطان في الغي وامد

الاروى جمع اروية وهي الانثى من الوعول والاروى تكون بالجبال والنعام تسكن الفيافي فبينهما تناف

على مراحل ويعضد ما قلنا قول الحسن في تفسيره في ضلالتهم يتمادون وان هولاء من اهل الطبع والطغيان الغلو في الكفر ومجاوزة الحد في العتو وقرا زيد بن علي رضي الله عنهما في طغيانهم بالكسر وهما لغتان كلقيان ولقيان وغنيان وغنيان قلت اي نكتة في اضافته اليهم قلت فيها ان الطغيان والتمادي في الضلالة مما اقترفته انفسهم واجترحته ايديهم وان الله بري منه ردا لاعتقاد الكفرة القائلين لو شاء الله ما اشركنا ونفيا لوهم من عسى يتوهم عند اسناد المد الى ذاته لو لم يضف الطغيان اليهم انه الطغيان فعله فلما اسند المد اليه على الطريق الذي ذكر اضاف الطغيان اليهم ليميط الشبهة ويقلعها ويدفع في صدر من يلحد في صفاته ومصداق ذلك انه حين اسند المد الى الشياطين اطلق الغي ولم يقيده بالاضافة في قوله واخوانهم يمدونهم في الغي والعمه مثل العمى الا ان العمى عام في البصر والراي والعمه في الراي خاصة وهو التحير والتردد لا يدري اين يتوجه ومنه قوله بالجاهلين العمه اي الذين لا راي لهم ولا دراية بالطرق وسلكت ارضا عمهاء لا منار بها ومعنى اشتراء الضلالة بالهدى اختيارها عليه واستبدالها به على سبيل الاستعارة لان الاشتراء فيه اعطاء بدل واخذ اخر ومنه اخذت بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا وعن وهب قال الله عز وجل فيما يعيب به بني اسرائيل تفقهون لغير الدين وتعلمون لغير العمل وتبتاعون

الدنيا بعمل الآخرة ثم قال كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى قلت
جعلوا لتمكنهم منه واعراضهم له كانه في ايديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطلوه
واستبدلوها به ولان الدين القيم هو فطرة الله التي فطر الناس عليها فكل من ضل
فهو مستبدل خلاف الفطرة والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله وضل دريص نفقه فاستعير للذهاب عن الصواب
في الدين والربح الفضل على راس المال ولذلك سمي الشف من قولك اشف
بعض ولده على بعض اذا فضله ولتربح على هذا شف والتجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع
ويشتري للربح وناقة تاجرة كانها من حسنها وسمنها تبيع نفسها وقرا ابن ابي عبلة تجاراتهم
فان قلت كيف اسند الخسران الى التجارة وهو لاصحابها قلت هو من الاسناد
المجازي وهو ان يسند الفعل الى شيء يتلبس بالذي هو في الحقيقة له كما تلبست التجارة
بالمشترين فان قلت هل يصح ربح عبدك وخسرت جاريتك على الاسناد المجازي
قلت نعم اذا دلت الحال وكذلك الشرط في صحة رايت اسدا وانت تريد
المقدام ان لم تقم حال دالة لم يصح فان قلت هب ان شرى الضلالة بالهدى وقع
مجازا في معنى الاستبدال فما معنى ذكر الربح والتجارة كان ثم مبايعة على الحقيقة قلت هذا
من الصنعة البديعة التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا وهو ان تساق كلمة مساق
المجاز ثم تقفى باشكال لها واخوات اذا تلاحقن لم تر كلاما احسن منه ديباجة واكثر ماء
ورونقا وهو المجاز المرشح وذلك نحو قول العرب في البليد كان اذني قلبه خطلاوان
جعلوه كالحمار ثم رشحوا ذلك روما لتحقيق البلادة فادعوا لقلبه اذنين وادعوا لهما الخطل ليمثلوا

البلادة تمثيلا يلحقها ببلادة الحمار ومثاله قول بعضهم ولما رايت النسر عز
ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم
بالغراب اتبعه ذكر التعشيش والوكر ونحوه قول بعض فتاكهم في امه فما ام الردين
وان ادلت بعالمة باخلاق الكرام اذا الشيطان قصع في قفاها تنفقناه بالحبل
التؤام اي اذا دخل الشيطان في قفاها استخرجناه من نافقائه بالحبل المثنى
المحكم يريد اذا حردت واساءت الخلق اجتهدنا في ازالة غضبها واماطة ما يسوء من
خلقها استعار التقصيع اولا ثم ضم اليه التنفق ثم الحبل التؤام فكذلك لما ذكر سبحانه الشرى
اتبعه ما يشاكله ويواخيه وما يكمل ويتم بانضمامه اليه تمثيلا لخسارهم وتصويرا
لحقيقته فان قلت ما معنى قوله فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين قلت معناه ان الذي
يطلبه التجار في متصرفاتهم شيئان سلامة راس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا
الطلبتين معا لان راس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة وحين لم يبق
في ايديهم الا الضلالة لم يوصفوا باصابة الربح وان ظفروا بما ظفروا به من الاغراض الدنيوية
لان الضال خاسر دامر ولانه لا يقال لمن لم يسلم له راس ماله قد ربح وما كانوا مهتدين
لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر لما جاء بحقيقة
صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميما للبيان ولضرب العرب الامثال
واستحضار العلماء المثل والنظائر شان ليس بالخفي في ابراز خبيات المعاني
ورفع الاستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل في صورة المحقق والمتوهم في معرض المتيقن

مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت
ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات
لا يبصرون

والغايب كانه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الالد وقمع لسورة الجامح الآبي ولامر ما اكثر الله في كتابه المبين وفي ساير كتبه امثاله وفشت في كلام رسول الله وكلام الانبيا والحكما قال الله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون ومن سور الانجيل سورة الامثال والمثل في اصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلا ولا رأوه اهلا للتسيير والاجدر بالتداول والقبول الا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثم حوفظ عليه وحمي من التغيير فان قلت ما معنى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وما مثل المنافقين ومثل الذي استوقد نارا حتى شبه احد المثلين بصاحبه قلت قد استعير المثل استعارة الاسد للمقدام للحال او الصفة او القصة اذا كان لها شان وفيها غرابة كانه قيل حالهم العجيبة الشان كحال الذي استوقد نارا وكذلك قوله مثل الجنة التي وعد المتقون اي فيما قصصنا عليك من العجايب قصة الجنة العجيبة ثم اخذ في بيان عجايبها ولله المثل الاعلى اي الوصف الذي له شان من العظمة والجلالة مثلهم في التورية اي صفتهم وشانهم المتعجب منه ولما في المثل من معنى الغرابة قالوا مثلة في الخير والشر فاشتقوا منه صفة للعجيب الشان فان قلت كيف مثلت الجماعة بالواحد قلت وضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا والذي سوغ وضع الذي موضع الذين ولم يجز وضع القايم موضع القايمين ولا نحوه من الصفات امران احدهما ان الذي لكونه وصلة الى وصف كل معرفة بجملة وتكاثر وقوعه في كلامهم ولكونه مستطالا بصلته

حقيق بالتخفيف ولذلك نهكوه بالحذف فحذفوا ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا به على اللام وحدها في اسماء الفاعلين والمفعولين والثاني ان جمعه ليس بمنزلة جمع غيره بالواو والنون انما ذلك علامة لزيادة الدلالة الا ترى ان سائر الموصولات لفظ الجمع والواحد فيهن واحد او قصد جنس المستوقدين او اريد الجمع او الفوج الذي استوقد نارا على ان المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد انما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ونحوه قوله مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت ووقود النار سطوعها وارتفاع لهبها ومن اخواته وقد في الجبل اذا صعد وعلا والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق والنور ضوؤها وضوء كل نير وهو نقيض الظلمة واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا والنور مشتق منها والاضاءة فرط الانارة ومصداق ذلك قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الاية متعدية ويحتمل ان تكون غير متعدية مستندة الى ما حوله والتانيث للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد اماكن واشياء ويعضده قراءة ابن ابي عبلة ضاءت وفيه وجه آخر وهو ان يستتر في الفعل ضمير النار ويجعل اشراق ضوء النار حوله بمنزلة اشراق النار نفسها على ان ما مزيدة او موصولة في معنى الامكنة وحوله نصب على الظرف وتاليفه للدوران والاطافة وقيل للعام حول لانه يدور فان قلت اين جواب لما قلت فيه وجهان احدهما ان جوابه ذهب الله بنورهم والثاني انه محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا

فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون

به وإنما جاز حذفه لاستطالة الكلام مع أمن الإلباس للدال عليه وكان الحذف
أولى من الإثبات لما فيه من الوجازة مع الإعراب عن الصفة التي حصل عليها
المستوقد بما هو أبلغ من اللفظ في أداء المعنى كأنه قيل فلما أضاءت ما حوله
خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيرين على فوت الضوء خائبين بعد الكدح
في إحياء النار فإن قلت فإذا قدر الجواب محذوفاً فبم يتعلق ذهب الله بنورهم
قلت يكون كلاماً مستأنفاً كأنهم لما شبهت حالهم بحال المستوقد الذي
طفئت ناره اعترض سائل فقال ما بالهم قد أشبهت حالهم حال المستوقد
فقيل له ذهب الله بنورهم أو يكون بدلاً من جملة التمثيل على سبيل البيان
فإن قلت قد رجع الضمير في هذا الوجه إلى المنافقين فما مرجعه في الوجه الثاني قلت مرجعه إلى الذي
استوقد لأنه في معنى الجمع وأما جمع هذا الضمير وتوحيده في حوله فللحمل على اللفظ تارة
وعلى المعنى أخرى فإن قلت فما معنى إسناد الفعل إلى الله تعالى في قوله ذهب الله
بنورهم قلت إذا طفئت النار بسبب سماوي ريح أو مطر فقد أطفأها الله
وذهب بنور المستوقد ووجه آخر وهو أن يكون المستوقد في هذا الوجه مستوقد
نار لا يرضاها الله ثم إما أن تكون ناراً مجازية كنار الفتنة والعداوة للإسلام
وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها قليلة البقاء ألا ترى إلى قوله كلما أوقدوا
ناراً للحرب أطفأها الله وإما ناراً حقيقية أوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة
بها إلى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق العيث فأطفأها الله وخيب أمانيهم

فإن قلت كيف صح في النار المجازية أن توصف بترتيب الطفء قلت هلا قيل ذهب
الله بضوئهم لقوله فلما أضاءت قلت ذكر النور أبلغ لأن الضوء فيه دلالة على الزيادة
فلو قيل ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نوراً والغرض
إزالة النور عنهم رأساً وطمسه أصلاً ألا ترى كيف ذكر عقيبه وتركهم في ظلمات
والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه وكيف جمعها وكيف نكرها
وكيف أتبعها ما يدل على أنها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله لا يبصرون
فإن قلت فلم وصفت بالإضاءة قلت هذا على مذهب قولهم للباطل صولة ثم يضمحل
ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت ونار العرفج مثل لنزوة كل طامح والعرق بين
أذهبه وذهب به أن معنى أذهبه أزاله وجعله ذاهباً ويقال ذهب به إذا استصحبه
ومضى به معه وذهب السلطان بماله أخذه فلما ذهبوا به إذا لذهب كل إله بما
خلق ومنه ذهبت به الخيلاء والمعنى أخذ الله نورهم وأمسكه وما يمسك الله فلا مرسل
له فهو أبلغ من الإذهاب وقرأ اليماني أذهب الله نورهم وترك بمعنى طرح
وخلى إذا علق بواحد كقولهم تركه ترك ظبي ظله فإذا علق بشيئين كان مضمناً
معنى صير فيجري مجرى أفعال القلوب كقول عنترة فتركته جزر السباع ينشنه
ومنه قوله وتركهم في ظلمات أصله هم في ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزأين
والظلمة عدم النور وقيل عرض ينافي النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك أن تفعل
كذا أي ما منعك وشغلك لأنها تسد البصر وتمنع الرؤية وقرأ الحسن ظلْمات

بسكون اللام وقرأ اليماني في ظلمة على التوحيد والمفعول الساقط من لا يبصرون من قبيل المتروك المطرح
الذي لا يلتفت إلى إخطاره بالبال لا من قبيل المقدر المنوي كأن الفعل غير متعد أصلا كالذي في قوله يعمهون
في طغيانهم فإن قلت فيم شبهت حالهم بحال المستوقد قلت في أنهم غب الإضاءة
خبطوا في ظلمة وتورطوا في حيرة فإن قلت وأين الإضاءة في حال المنافق وهل هو أبدا إلا حائر
خابط في ظلماء الكفر قلت المراد ما استضاءوا به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة
على ألسنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق التي ترمي بهم إلى ظلمة
سخط الله وظلمة العقاب السرمد ويجوز أن يشبه بذهاب الله بنور المستوقد
اطلاع الله على أسرارهم وما افتضحوا به بين المؤمنين واتسموا به من سمة النفاق والأوجه
أن يراد الطبع لقوله صم بكم عمي وفي الآية تفسير آخر وهو أنهم لما وصفوا بأنهم اشتروا
الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة
ما حول المستوقد والضلالة التي اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب الله
بنورهم وتركه إياهم في الظلمات وتنكير النار للتعظيم كانت حواسهم سليمة ولكن
لما سدوا عن الإصاخة إلى الحق مسامعهم وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم وأن ينظروا
ويتبصروا بعيونهم جعلوا كأنما أيفت مشاعرهم وانتقضت بناها التي بنيت
عليها للإحساس والإدراك كقوله صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به وإن ذكرت
بسوء عندهم أذنوا أصم عما ساءه سميع أصم عن الشيء الذي لا أريده وأسمع خلق
الله حين أريد فأصممت عمرا وأعميته عن الجود والفخر يوم الفخار فإن قلت كيف

طريقة عند علماء البيان قلت طريقة قولهم هم ليوث للشجعان وبحور للأسخياء
إلا أن ذلك في الصفات وهذا في الأسماء وقد جاءت الاستعارة في الأسماء والصفات
والأفعال جميعا تقول رأيت ليوثا ولقيت صما عن الخير ودجا الإسلام
وأضاء الحق فإن قلت هل يسمى ما في الآية استعارة قلت مختلف فيه والمحققون على تسميته
تشبيها بليغا لا استعارة لأن المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة
إنما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لأن
يراد به المنقول عنه والمنقول إليه لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام كقول زهير لدى أسد
شاكي السلاح مقذف له لبد أظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين السحرة
منهم كأنهم يتناسون التشبيه ويضربون عن توهمه صفحا قال أبو تمام ويصعد
حتى يظن الجهول بأن له حاجة في السماء وبعضهم لا تحسبوا أن في سرباله رجلا ففيه
غيث وليث مسبل ومشبل وليس لقائل أن يقول طوي ذكرهم
عن الجملة بحذف المبتدأ فأتسلق بذلك إلى تسميته استعارة لأنه في حكم
المنطوق به نظيره قول من يخاطب الحجاج أسد علي وفي الحروب نعامة
فتخاء تنفر من صفير الصافر ومعنى لا يرجعون أنهم لا يعودون
إلى الهدى بعد أن باعوه أو عن الضلالة بعد أن اشتروها تسجيلا عليهم
بالطبع أو أراد أنهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا جامدين في مكانهم لا
يبرحون ولا يدرون أيتقدمون أم يتأخرون وكيف يرجعون إلى حيث

ابتدوا منه ثم ثنى الله سبحانه في شانهم بتمثيل آخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف وايضاحا
غب ايضاح وكما يجب على البليغ في مظان الاجمال والايجاز ان يجمل ويوجز
فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل والاشباع ان يفصل ويشبع
انشد الجاحظ يرمون بالخطب الطوال وتارة وحي الملاحظ خيفة
الرقباء ومما ثني من التمثيل في التنزيل قوله وما يستوي الاعمى والبصير ولا
الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات
والا ترى الى ذي الرمة كيف صنع في قصيدته اذاك ام نمش بالوشي اكرعه
اذاك ام خاضب بالسي مرتعه فان قلت قد شبه المنافق في التمثيل الاول
بالمستوقد نارا واظهاره الايمان بالاضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء
النار فماذا شبه في التمثيل الثاني بالصيب وبالظلمات وبالرعد والبرق
وبالصواعق قلت لقايل ان يقول شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب
تحيا به حيوة الارض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من
الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة من الافزاع والبلايا
والفتن من جهة اهل الاسلام بالصواعق والمعنى او كمثل ذوي صيب والمراد كمثل قوم
اخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا فان قلت شبه اشياء باشياء
فاين ذكر المشبهات وهلا صرح به كما في قوله وما يستوي الاعمى والبصير والذين
امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء وفي قول امرء القيس كان قلوب الطير

رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي قلت كما جاء
ذلك صريحا فقد جاء مطويا ذكره على سنن الاستعارة كقوله تعالى وما يستوي
البحران هذا عذب فرات سايغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب الله مثلا
رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سالما لرجل والصحيح الذي عليه علماء البيان
لا يتخطونه ان التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف
لواحد واحد شيء يقدر شبهه به وهو القول الفحل والمذهب الجزل بيانه ان
العرب تاخذ اشياء فرادى معزولا بعضها من بعض لم ياخذ هذا بحجزة ذاك
فتشبهها بنظايرها كما فعل امرء القيس وجاء في القران وتشبه كيفية حاصلة
من مجموع اشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا باخرى
مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التورية الاية الغرض تشبيه حال اليهود
في جهلها بما معها من التورية واياتها الباهرة بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار
الحكمة وتساوي الحالتين عنده من حمل اسفار الحكمة وحمل ما سواها من الاوقار لا يشعر
من ذلك الا بما يمر بدفيه من الكد والتعب وكقوله واضرب لهم مثل الحيوة
الدنيا كماء انزلناه من السماء المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر
فاما ان يراد تشبيه الافراد بالافراد غير منوط بعضها ببعض ومصيرة شيئا
واحدا فلا فكذلك لما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه
من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الامر عليهم بما يكابد من طفئت

فان بعد ايقادها في ظلمة الليل وكذلك من اخذته السماء في الليلة المظلمة
مع رعد وبرق وخوف من الصواعق فان قلت الذي كنت تقدره في المفرق
من التشبيه من حذف المضاف وهو قولك او كمثل ذوي صيب هل تقدر
مثله في المركب منه قلت لولا طلب الراجع في قوله يجعلون اصابعهم
في آذانهم ما يرجع اليه لكنت مستغنيا عن تقديره لان مراعي الكيفية المنتزعة
من مجموع الكلام فلا عليك اولي حرف التشبيه مفرد يتأتى التشبيه به ام لم يله ألا ترى
الى قوله انما مثل الحيوة الدنيا الآية كيف ولي الكاف وليس الغرض
تشبيه الحيوة الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل لتقديره ومما هو بين في هذا قول لبيد
وما الناس الا كالديار واهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع لم يشبه
الناس بالديار وانما شبه وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم وفنائهم بحلول اهل
الديار فيها ووشك نهوضهم عنها وتركها خلاء خاوية فان قلت اي التمثيلين ابلغ قلت
الثاني لانه ادل على فرط الحيرة وشدة الامر وفظاعته ولذلك اخر وهم يتدرجون
في نحو هذا من الاهون الى الاغلظ فان قلت لم عطف احد التمثيلين على الآخر بحرف
الشك قلت او في اصلها لتساوي شيئين فصاعدا في الشك ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوي
في غير الشك وذلك قولك جالس الحسن او ابن سيرين تريد انهما سيان في استصواب
ان يجالسا ومنه قوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا اي الآثم والكفور متساويان
في وجوب عصيانهما فكذلك قوله او كصيب معناه ان كيفية المنافقين شبيهة بكيفيتي

هاتين القصتين سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبايتهما
امثلتها فانت مصيب وان مثلتها بهما جميعا فكذلك والصيب المطر الذي
يصوب اي ينزل ويقع ويقال للسحاب صيب ايضا قال الشماخ
وأسحم دان صادق الرعد صيب وتنكير صيب لانه اريد نوع من
المطر شديد هائل كما نكرت النار في التمثيل الاول وقرئ كصائب
والصيب ابلغ والسماء هذه المظلة وعن الحسن انها موج مكفوف
فان قلت قوله من السماء ما الفائدة في ذكره والصيب لا يكون الا من السماء
قلت الفائدة فيه انه جاء بالسماء معرفة فنفى ان يتصوب من سماء اي
من افق واحد من بين سائر الآفاق لان كل افق من آفاقها سماء كما ان كل
طبقة من الطباق سماء في قوله واوحى في كل سماء امرها والدليل عليه قوله ومن
بعد ارض بيننا وسماء والمعنى انه غمام مطبق آخذ بآفاق السماء كما جاء
بصيب وفيه مبالغات من جهة التركيب والبناء والتنكير أمد ذلك
بان جعله مطبقا وفيه ان السحاب من السماء ينحدر ومنها يأخذ ماءه لا كزعم
من يزعم انه يأخذه من البحر ويؤيده قوله تعالى وينزل من السماء
من جبال فيها من برد فان قلت بم ارتفع ظلمات قلت بالظرف
على الاتفاق لاعتماده على موصوف والرعد الصوت الذي يسمع من السحاب
كان اجرام السحاب تضطرب وتنتقض اذا حدتها الريح فتصوت

عند ذلك من الارتعاد والبرق الذي يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا اذا لمع فان قلت قد جعل الصيب مكانا للظلمات فلا يخلو اما ان يراد به السحاب او المطر فايهما اريد فما ظلماته قلت اما ظلمات السحاب فاذا كان مسجما مطبقا فظلمتا سجمته وتطبيقه مضمومة اليهما ظلمة الليل واما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلال غمامه مع ظلمة الليل فان قلت كيف يكون المطر مكانا للبرق والرعد وانما مكانهما السحاب قلت اذا كانا في اعلاه ومصبه وملتبسين في الجملة به فهما فيه الا تراك تقول فلان في البلد وما هو منه الا في حيز يشغله جرمه فان قلت هلا جمع الرعد والبرق اخذا بالابلغ كقول البحتري يا عارضا متلفعا ببروده يختال بين بروقه ورعوده وكما قيل ظلمات قلت فيه وجهان احدهما ان يراد العينان ولكنهما لما كانا مصدرين في الاصل يقال رعدت السماء رعدا وبرقت برقا روعي حكم اصلهما بان ترك جمعهما وان اريد معنى الجمع والثاني ان يراد الحدثان كانه قيل وارعاد وابراق وانما جاءت هذه الاشياء منكرات لان المراد انواع منها كانه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وجاز رجوع الضمير في يجعلون الى اصحاب الصيب مع كونه محذوفا قائما مقامه الصيب كما قال او هم قائلون لان المحذوف باق معناه وان سقط لفظه الا ترى الى حسان كيف

عوّل على بقاء معناه في قوله يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر يصفق لان المعنى ماء بردى ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستانفا لانه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول فكان قائلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون اصابعهم في آذانهم ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقيل يكاد البرق يخطف ابصارهم فان قلت رؤوس الاصابع هي التي تجعل في الآذان فهلا قيل اناملهم قلت هذا من الاتساعات في اللغة التي لا يكاد الحاصر يحصرها كقوله فاغسلوا وجوهكم وايديكم فاقطعوا ايديهما اراد البعض الذي هو الى المرفق والذي الى الرسغ وايضا ففي ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل فان قلت فالاصبع التي تسد بها الاذن اصبع خاصة فلم ذكر الاسم العام دون الخاص قلت لان السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها اولى بآداب القرآن الا ترى انهم قد استبشعوها فكنوا عنها بالمسبحة والسباحة والمهللة والدعاءة فان قلت فهلا ذكر بعض هذه الكنايات قلت هي الفاظ مستحدثة لم يتعارفها الناس في ذلك العهد وانما احدثوها بعد وقوله من الصواعق متعلق بيجعلون اي من اجل الصواعق يجعلون اصابعهم في آذانهم كقولك سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار قالوا تنقدح من السحاب اذا اصطكت اجرامه وهي نار لطيفة حديدة

لا تؤثر بشيء الا اتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود تحكى انها سقطت على [illegible]
فاحرقت نحو النصف ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته فصعق
اى مات اما بشدة الصوت او بالاحراق ومنه قوله تعالى وخر موسى صعقا
وقرأ الحسن من الصواقع وليس بقلب للصواعق لان كلا البنائين سواء في التصرف
واذا استويا كان كل واحد بناء على حياله الا تراك تقول صقعه على رأسه بعلكه لاستوايها
في التصرف وبناؤها اما ان يكون صفة لصعقة الرعد او للرعد والتاء مبالغة
كما في الراوية او مصدرا كالكاذبة والعافية وقرأ ابن ابي ليلى حذار الموت
وانتصب على انه مفعول له كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره والموت
فساد بنية الحيوان وقيل عرض لا يصح معه احساس معاقب للحيوة واحاطة
الله بالكافرين مجاز والمعنى انهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به حقيقة
وهذه الجملة اعتراض لا محل لها والخطف الاخذ بسرعة وقرأ مجاهد يخطف بكسر الطاء
والفتح افصح واعلى وعن ابن مسعود يختطف وعن الحسن يخطف بفتح الياء والخاء
واصله يختطف وعنه يخطف بكسرهما على اتباع الياء الخاء وعن زيد بن علي يخطف
من خطف وعن ابي يتخطف من قوله ويتخطف الناس من حولهم كلما اضاء لهم
استيناف ثالث كانه جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق
وخفيته وهذا تمثيل لشدة الامر على المنافقين بشدته على اصحاب الصيب
وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما يأتون وما يذرون اذا صادفوا من البرق خفقة

مع خوف ان يخطف ابصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات
يسيرة فاذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن الحركة ولو شاء الله
لزاد في قصيف الرعد فاصمهم او في ضوء البرق فاعماهم واضاء اما متعد
بمعنى كلما نور لهم ممشى ومسلكا اخذوه والمفعول محذوف واما غير متعد بمعنى
كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وملقى ضوئه ويعضده قراءة ابن ابي عبلة كلما
ضاء لهم والمشي جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو سعي فاذا ازداد فهو عدو
كيف قيل مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا قلت لانهم حراص على وجود ما همهم
به معقود من امكان المشي وتأتيه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وليس كذلك
التوقف والتحبس واظلم يحتمل ان يكون غير متعد وهو الظاهر وان يكون متعديا
منقولا من ظلم الليل ويشهد له قراءة يزيد بن قطيب اظلم على ما لم يسم فاعله وجاء
في شعر حبيب بن اوس هما اظلما حالي ثمت اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب
وهو وان كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية فاجعل
ما يقوله بمنزلة ما يرويه الا ترى الى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة فيقتنعون
بذلك لوثوقهم بروايته واتقانه ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه
قام السوق اذا ركدت وقام الماء جمد ومفعول شاء محذوف لان الجواب يدل عليه
والمعنى ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لذهب بهما ولقد تكاثر
هذا الحذف في شاء واراد لا يكادون يبرزون المفعول الا في الشيء المستغرب

كنحو قوله فلو شئت ان ابكي دما لبكيته وقوله تعالى ولو اردنا ان نتخذ لهوا ولو اراد
الله ان يتخذ ولدا واراد ولو شاء الله لذهب بسمعهم بقصيف الرعد
وابصارهم بوميض البرق وقرأ ابن ابي عبلة لاذهب باسماعهم
بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة والشيء ما صح ان يعلم ويخبر
عنه قال سيبويه في ساقة الباب المترجم بباب مجاري اواخر الكلم من
العربية وانما يخرج التانيث من التذكير الا ترى ان الشيء يقع على كل ما اخبر
عنه من قبل ان يعلم اذكر هو ام انثى والشيء مذكر وهو اعم العام كما ان الله
اخص الخاص يجري على الجسم والعرض والقديم تقول شيء لا كالاشياء اي معلوم لا كسائر
المعلومات وعلى المعدوم والمحال فان قلت كيف قيل على كل شيء قدير وفي الاشياء ما لا تعلق
به للقادر كالمستحيل وفعل قادر آخر قلت مشروط في حد القادر ان لا يكون
الفعل مستحيلا فالمستحيل مستثنى في نفسه عند ذكر القادر على الاشياء
كلها فكانه قيل على كل شيء مستقيم قدير ونظيره فلان امير على الناس اي على من
وراءه منهم ولم تدخل فيهم نفسه وان كان من جملة الناس واما الفعل بين قادرين
فمختلف فيه فان قلت مم اشتقاق القدير قلت من التقدير لانه يوقع فعله
على مقدار قوته واستطاعته وما يتميز به عن العاجز لما عدد الله تعالى فرق المكلفين
من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم واحوالهم ومصارف امورهم
وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله ويرديها

اقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات المذكور عند قوله اياك نعبد و
اياك نستعين وموقع من الكلام جزل فيه هزة وتحريك من السامع كما انك
اذا قلت لصاحبك حاكيا عن ثالث لكما ان فلانا من قصته كيت وكيت
فقصصت عليه ما فرط منه ثم عدلت بخطابك الى الثالث فقلت يا فلان
من حقك ان تلزم الطريقة الحميدة في مجاري امورك وتستوي على جادة السداد
في مصادرك ومواردك نبهته بالتفاتك نحوه فضل تنبيه واستدعيت
اصغاءه الى ارشادك زيادة استدعاء واوجدته بالانتقال من الغيبة
الى المواجهة هازا من طبعه لا تجده اذا استمررت على لفظ الغيبة وهكذا الافتنان
في الحديث والخروج فيه من صنف الى صنف يستفتح الآذان للاستماع ويستهش
الانفس للقبول وبلغنا باسناد صحيح عن ابراهيم عن علقمة ان كل شيء نزل فيه
يا ايها الناس فهو مكي ويا ايها الذين آمنوا فهو مدني فقوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم
خطاب لمشركي مكة ويا حرف وضع في اصله لنداء البعيد صوت يهتف به
الرجل بمن يناديه واما نداء القريب فله أي والهمزة ثم استعمل في مناداة
من سها وغفل وان قرب تنزيلا له منزلة من بعد فاذا نودي به القريب
المفاطن فذلك للتاكيد المؤذن بان الخطاب الذي يتلوه معني به جدا فان قلت
فما بال الداعي يقول في جؤاره يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد واسمع
به وابصر قلت هو استقصار منه لنفسه واستبعاد لها من مظان الزلفى

يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون

وما يقربه إلى رضوان الله ومنازل المقربين هضماً لنفسه وإقراراً عليها بالتفريط في جنب
الله مع فرط التهالك على استجابة دعوته والإذن لنداء يدوا أيها له وأي وصلة
إلى نداء ما فيه الألف واللام كما أن ذو والذي وصلتان إلى الوصف بأسماء الأجناس
ووصف المعارف بالجمل وهو اسم مبهم يفتقر إلى ما يوضحه ويزيل إبهامه فلا بد
أن يردفه اسم جنس أو ما يجري مجراه يتصف به حتى يتضح المقصود بالنداء
فالذي يعمل فيه حرف النداء هو أي والاسم التابع له صفته كقولك يا زيد الظريف
إلا أن أياً لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك من الصفة وفي هذا التدرج
من الإبهام إلى التوضيح ضرب من التأكيد والتشديد وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة
وموصوفها لفائدتين معاضدة حرف النداء ومكانفته بتأكيد معناه ووقوعها
عوضاً مما يستحقه أي من الإضافة فإن قلت لم كثر في كتاب الله النداء
على هذه الطريقة ما لم يكثر في غيره قلت لاستقلاله بأوجه من التأكيد وأسباب
من المبالغة لأن كل ما نادى الله له عباده من أوامره ونواهيه وعظاته وزواجره
ووعده ووعيده واقتصاص أخبار الأمم الدارجة عليهم وغير ذلك مما أنطق به
كتابه أمور عظام وخطوب جسام ومعان عليهم أن يتيقظوا لها ويميلوا
بقلوبهم وبصائرهم إليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال أن ينادوا
بالآكد الأبلغ فإن قلت لا يخلو الأمر بالعبادة من أن يكون متوجهاً إلى المؤمنين والكافرين
جميعاً أو إلى كفار مكة خاصة على ما روي عن علقمة والحسن فالمؤمنون عابدون ربهم

فكيف أمروا بما هم ملتبسون به وهل هو إلا كقول القائل فلو إني فعلت
كنت كمن يسأله وهو قائم أن يقوم وأما الكفار فلا يعرفون الله ولا يقرون به
فكيف يعبدونه قلت المراد بعبادة المؤمنين ازديادهم فيها
وإقبالهم وثباتهم عليها وأما عبادة الكفار فمشروطة فيها ما لا بد لها منه
وهو الإقرار كما يشترط على المأمور بالصلاة شرائطها من الوضوء والنية و
غيرهما وما لا بد للفعل منه فهو مندرج تحت الأمر به وإن لم يذكر حيث لم ينفعل
إلا به وكان من لوازمه على أن مشركي مكة كانوا يعرفون الله ويعترفون به ولئن
سألتهم من خلقهم ليقولن الله فإن قلت فقد جعلت قوله اعبدوا متناولاً شيئين
معاً الأمر بالعبادة والأمر بازديادها قلت الازدياد من العبادة عبادة
وليس شيئاً آخر فإن قلت ربكم ما المراد به قلت كان المشركون معتقدين ربوبيتين
ربوبية الله وربوبية آلهتهم فإن خصوا بالخطاب فالمراد به اسم
يشترك فيه رب السماوات والأرض والآلهة التي كانوا يسمونها أرباباً وكان
قوله الذي خلقكم صفة موضحة مميزة وإن كان الخطاب للفرق جميعاً فالمراد به
ربكم على الحقيقة والذي خلقكم صفة جرت عليه على طريق المدح والتعظيم ولا يمتنع
هذا الوجه في خطاب الكفرة خاصة إلا أن الأول أوضح وأصح والخلق إيجاد
الشيء على تقدير واستواء يقال خلق النعل إذا قدرها وسواها بالمقياس
وقرأ أبو عمرو خلقكم بالإدغام وقرأ أبو السميفع وخلق من قبلكم وفي
قراءة زيد بن علي والذين من قبلكم

ومن قرأة مُشكِلة ووجهها على إشكالها أن يقال أُقحم الموصول الثاني بين الأول و
صلته تأكيداً كما أُقحم جرير في قوله يا تيمَ تيمَ عديٍّ لا أبا لكم تيماً الثاني بين الأول وما أضيف
إليه وكإقحامهم لام الإضافة بين المضاف والمضاف إليه في لا أبا لك ولعلّ للترجي أو الإشفاق
تقول لعلّ زيداً يكرمني ولعله يهينني وقال الله تعالى لعله يتذكر أو يخشى لعلّ
الساعة قريب ألا ترى إلى قوله والذين آمنوا مشفقون منها وقد جاءت
على سبيل الإطماع في مواضع من القرآن ولكن لأنه إطماع من كريم رحيم إذا أطمع فعل
ما يُطمِع فيه لا محالة لجري إطماعه مجرى وعده المحتوم وفائه به قال من قال إنّ لعلّ
بمعنى كي ولعلّ لا تكون بمعنى كي ولكن الحقيقة ما ألقيت إليك وأيضاً فمن ديدن
الملوك وما عليه أوضاع أمرهم ورسومهم أن يقتصروا في مواعيدهم التي يوطّنون
أنفسهم على إنجازها على أن يقولوا عسى ولعلّ ونحوهما من الكلمات أو يخيّلوا إخالة أو
يُظفَر منهم بالرمزة أو الابتسامة أو النظرة الحلوة فإذا عُثر على شيء من ذلك منهم
لم يبق للطالب ما عندهم شكّ في النجاح والفوز بالمطلوب فعلى مثله ورد كلام مالك
الملك ذي العزة والكبرياء أو يجيء على طريق الإطماع دون التحقيق لئلا يتّكل العباد
كقوله يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفّر عنكم سيئاتكم
فإن قلت فلعلّ التي في الآية ما معناها وما موقعها قلت ليست مما ذكرناه
في شيء لأن قوله خلقكم لعلكم تتقون لا يجوز أن يُحمل على رجاء الله تقواهم لأن
الرجاء لا يجوز على عالم الغيب والشهادة وحمله على أن يخلقهم راجين للتقوى

ليس بسديد أيضاً ولكن لعلّ واقعة في الآية موقع المجاز لا الحقيقة لأن
الله عز وجل خلق عباده ليتعبّدهم بالتكليف وركّب فيهم العقول
والشهوات وأزاح العلة في أقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين ووضع
في أيديهم زمام الاختيار وأراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجوّ منهم
أن يتقوا ليترجّح أمرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجّحت
حال المرتجي بين أن يفعل وبين أن لا يفعل ومصداقه قوله عز وجل ليبلوكم
أيكم أحسن عملاً وإنما يبلو ويختبر من تخفى عليه العواقب ولكن شبّه بالا
ختبار بناء أمرهم على الاختيار فإن قلت كما خلق المخاطبين لعلهم يتقون
فكذلك خلق الذين من قبلهم لذلك فلم قصره عليهم دون من قبلهم قلت لم يقصره
عليهم ولكن غلّب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على إرادتهم جميعاً
فإن قلت فهلّا قيل تعبدون لأجل اعبدوا أو اتقوا لمكان تتقون ليتجاوب طرفا
النظم قلت ليست التقوى غير العبادة حتى يؤدي ذلك إلى تنافر النظم
وإنما التقوى قصارى أمر العابد ومنتهى جهده فإذا قال اعبدوا ربكم الذي خلقكم
للاستيلاء على أقصى غايات العبادة كان أبعث على العبادة وأشدّ
إلزاماً لها وأثبت لها في النفوس ونحوه أن تقول لعبدك احمل خريطة الكتب
فما ملكتك يميني إلا لجرّ الأثقال ولو قلت لحمل خرائط الكتب لم يقع من
ذلك الموقع ثم ذكر سبحانه من موجبات عبادته وملزمات حق الشكر له خلقهم

احياءً قادرين اولًا لانه سابقة اصول النعم ومقدمتها والسبب في التمكن
من العبادة والشكر وغيرهما ثم خلق الارض التي هي مكانهم ومستقرهم الذي
لابد لهم منه وهي بمنزلة عرصة المسكن ومتقلبه ومنتشره ثم خلق السماء
التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار ثم ما سواه عز وجل
من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة بانزال الماء منها عليها والاخراج به
من بطنها اشباه النسل المنتج من الحيوان من الوان الثمار رزقا لبني
آدم ليكون لهم ذلك معتبرا ومتسلقا الى النظر الموصل الى التوحيد والاعتراف
ونعمة يتعرفونها فيقابلونها بلازم الشكر ويتفكرون في خلق انفسهم و
خلق ما فوقهم وتحتهم وان شيئا من هذه المخلوقات كلها لا يقدر على ايجاد شيء منها
فيتيقنوا عند ذلك ان لا بد لها من خالق ليس كمثلها حتى لا يجعلوا المخلوقات له اندادا
وهم يعلمون انها لا تقدر على نحو ما هو عليه قادر والموصول مع صلته اما ان يكون في محل
النصب وصفا كالذين خلقكم او على المدح والتعظيم واما ان يكون رفعا على الابتداء
وفيه ما في النصب من المدح وقرأ يزيد الشامي بساطا وقرأ طلحة مهادا ومعنى
جعلها فراشا وبساطا ومهادا للناس انهم يقعدون عليها وينامون ويتقلبون
كما يتقلب احدهم على فراشه وبساطه ومهاده فان قلت هل فيه دليل على ان
الارض مسطحة وليست بكرية قلت ليس فيه الا ان الناس يفترشونها كما يفعلون
بالمفارش وسواء كانت على شكل السطح او على شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر

48

ولا مدفوع لعظم حجمها واتساع جرمها وتباعد اطرافها واذا كان متسهلا في الجبل
وهو وتد من اوتاد الارض فهو في الارض ذات الطول والعرض اسهل والبناء
مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء او طرافا وابنية العرب اخبيتهم
ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا فان قلت ما معنى
اخراج الثمرات بالماء وانما خرجت بقدرته ومشيئته قلت المعنى انه جعل
الماء سببا في خروجها ومادة لها كماء الفحل في خلق الولد وهو قادر على ان ينشئ الاجناس
كلها بلا اسباب ولا مواد كما انشأ نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشاء
الاشياء مدرجا لها من حال الى حال وناقلا من مرتبة الى مرتبة حكما ودواعي يجدد
فيها للملائكة والنظار بعيون الاستبصار من عباده عبرا وافكارا صالحة وزيادة
طمأنينة وسكون الى عظيم قدرته وغرائب حكمته ليس ذلك في انشائها بغتة من غير تدريج
وترتيب ومن في من الثمرات للتبعيض بشهادة قوله فاخرجنا به من كل الثمرات وقوله
فاخرجنا به ثمرات ولان المنكرين اعني ماء ورزقا يكتنفانه وقد قصد بتنكيرهما معنى البعضية
كانه قيل وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم
وهذا هو المطابق لصحة المعنى لانه لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر جميع الثمار
ولا جعل الرزق كله في الثمرات ويجوز ان يكون للبيان كقولك انفقت من الدراهم
الفا فان قلت فبم انتصب رزقا قلت ان كانت من للتبعيض كان انتصابه بانه
مفعول له وان كانت مبينة كان مفعولا لاخرج فان قلت ما الثمر المخرج بماء السماء كثير

جـ فلم قيل الثمرات دون الثمر والثمار قلت فيه وجهان احدهما ان يقصد بالثمرات
جماعة الثمرة التي في قولك فلان ادركت ثمرة بستانه تريد ثماره ونظيره قولهم كلمة الحويدرة
لقصيدته وقولهم للقرية المدرة وانما هي مدر متلاحق والثاني ان الجموع يتعاور بعضها
موقع بعض لالتقائها في الجمعية كقوله كم تركوا من جنات وثلاثة قروء ويعضد الوجه الاول
قراءة محمد بن السميفع من الثمرة على التوحيد ولكم صفة جارية على الرزق ان اريد به العين
وان جعل اسما للمعنى فهو مفعول به كانه قيل رزقا اياكم فان قلت بم تعلق فلا تجعلوا
قلت فيه ثلثة اوجه ان يتعلق بالامر اي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له اندادا لان اصل العبادة
واساسها التوحيد وان لا يجعل لله ند ولا شريك او بلعل على ان ينتصب تجعلوا
انتصاب فاطلع في قوله عز وجل لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات
فاطلع الى اله موسى في رواية حفص عن عاصم اي خلقكم لكي تتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه
بخلقه او بالذي جعل لكم اذا رفعته على الابتداء اي هو الذي خصكم بهذه الآيات العظيمة
والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء والند المثل ولا يقال
الا للمثل المخالف المناوي قال جرير اتيما تجعلون الي ندا وما تيم لذي حسب نديد
وناددت الرجل خالفته ونافرته من ند ندودا اذا نفر ومعنى قولهم ليس لله
ند ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه فان قلت كانوا يسمون اصنامهم
باسمه ويعظمونها بما يعظم به من القرب وما كانوا يزعمون انها تخالف الله
وتناويه قلت لما تقربوا اليها وعظموها وسموها آلهة اشبهت حالهم حال من
يعتقد انها آلهة مثله قادرة على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم

وكما تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع شانهم بان جعلوا اندادا
كثيرة لمن لا يصح ان يكون له ند قط وفي ذلك قال زيد بن عمرو بن
نفيل حين فارق دين قومه اربا واحدا ام الف رب ادين اذا
تقسمت الامور وقرا محمد بن السميفع فلا تجعلوا لله ندا فان قلت
ما معنى وانتم تعلمون قلت معناه وحالكم وصفتكم انكم من
صحة تمييزكم بين الصحيح والفاسد والمعرفة بدقايق الامور وغوامض
الاحوال والاصابة في التدابر والدهاء والفطنة بمنزلة لا يدفعون عنه
وهكذا كانت العرب خصوصا ساكنو الحرم من قريش وكنانة لا يصطلى
بنارهم في استحكام المعرفة بالامور وحسن الاحاطة بها ومفعول تعلمون
متروك كانه قيل وانتم اهل العلم والمعرفة والتوبيخ فيه آكد اي انتم العرافون
المميزون ثم ان ما انتم عليه في امر ديانتكم من جعل الاصنام لله اندادا
هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ويجوز ان يقدر وانتم تعلمون انه لا يماثل
او وانتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت او وانتم تعلمون انها لا تفعل
مثل افعاله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء لما احتج عليهم
بما يثبت الوحدانية ويحققها ويبطل الاشراك ويهدمه وعلم الطريق الى
اثبات ذلك وتصحيحه وعرفهم ان من اشرك فقد كابر عقله وغطى على ما
انعم عليه من معرفته وتمييزه عطف على ذلك ما هو الحجة على اثبات نبوة محمد صلعم

وقد سلك في تقرير اثبات النبوة طريق اثبات الوحدانية

وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله

وما يدحض الشبهة في كون القران معجزًا واراهم كيف يتعرفون اهو من عند الله كما يدعي ام هو من عند نفسه كما يدعون بارشادهم الى ان يحزروا انفسهم ويذوقوا طباعهم وهم ابناء جنسه واهل جلدته فان قلت لم قيل مما نزلنا على لفظ التنزيل دون الانزال قلت لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدي وذلك انهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله مخالفا لما يكون من عند الناس لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة وايات غب ايات على حسب النوازل وكفاء الحوادث وعلى سنن ما نرى عليه اهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا حينا فحينا وشيئا فشيئا حسب ما يعن لهم من الاحوال المتجددة والحاجات السانحة لا يلقي الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمي الناثر بمجموع خطبه او رسائله ضربة فلو انزله الله لانزله خلاف هذه العادة جملة واحدة قال الله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فقيل ان ارتبتم في هذا الذي وقع انزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا انتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما فردا من نجومه سورة من اصغر السور او ايات شتى مفتريات وهذه غاية التبكيت ومنتهى ازاحة العلل وقرئ على عبادنا يريد رسول الله وامته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة

التي اقلها ثلث ايات وواوها ان كانت اصلية فاما ان تسمى بسورة المدينة وهي حائطها لانها طائفة من القران محدودة محوزة على حيالها كالبلد المسور او لانها محتوية على فنون من العلم واجناس من الفوائد كاحتواء سورة المدينة على ما فيها واما ان تسمى بالسورة التي هي الرتبة قال النابغة ولرهط حراب ... في المجد ليس غرابها بمطار لاحد معنيين لان السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارئ وهي ايضا في نفسها مترتبة طوال واوساط وقصار او لرفعة شانها وجلالة محلها في الدين وان جعلت واوها منقلبة عن همزة فلانها قطعة وطائفة من القران كالسؤرة التي هي البقية من الشيء والفضلة منه فان قلت ما فائدة تفصيل القران وتقطيعه سورا قلت ليست الفائدة في ذلك واحدة ولامر ما انزل الله التورية والانجيل والزبور وسائر ما اوحاه الى انبيائه على هذا المنهاج مسورة مترجمة السور وبوب المصنفون في كل فن كتبهم ابوابا موشحة الصدور بالتراجم ومن فوائده ان الجنس اذا انطوت تحته انواع واشتمل على اصناف كان احسن وانبل وافخم من ان يكون بيانا واحدا ومنها ان القارئ اذا ختم سورة او بابا من الكتاب ثم اخذ في آخر كان انشط له وابعث على الدرس و

والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ومثله المسافر اذا علم انه
قطع ميلا او طوى فرسخا او انتهى الى راس بريد نفس ذلك منه ونشطه
للسير ومن ثم جزأ القراء القران اسباعا واجزاء وعشورا واخماسا
ومنها ان الحافظ اذا حذق السورة اعتقد انه اخذ من كتاب الله
طايفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه ويجل
في نفسه ويغتبط به ومنه حديث انس رضي الله عنه كان الرجل اذا قرا البقرة
وال عمران جد فينا ومن ثم كانت القراءة في الصلوة بسورة تامة
افضل ومنها ان التفصيل سبب تلاحق الاشكال والنظاير وملايمة بعضها
لبعض وبذلك تتلاحظ المعاني ويتجاوب النظم الى غير ذلك من الفوايد و
المنافع من مثله متعلق بسورة صفة لها اي بسورة كاينة من مثله والضمير لما نزلنا
او لعبدنا ويجوز ان يتعلق بقوله فاتوا والضمير للعبد فان قلت وما مثله حتى ياتوا
بسورة من ذلك المثل قلت معناه فاتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب
وعلو الطبقة في حسن النظم او فاتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا عربيا او اميا
لم يقرا الكتب لم ياخذ من العلماء ولا قصد الى مثل ونظير هنالك ولكنه
نحو قول القبعثرى للحجاج وقد قال له لاحملنك على الادهم مثل الامير حمل على الادهم
والاشهب اراد من كان على صفة الامير من السلطان والقدرة وبسطة اليد و
لم يقصد احدا يجعله مثلا للحجاج ورد الضمير الى المنزل اوجه لقوله تعالى فاتوا بسورة

مثله

مثله فاتوا بعشر سور مثله على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله
ولان القران جدير بسلامة الترتيب والوقوع على اصح الاساليب والكلام
مع رد الضمير الى المنزل احسن ترتيبا وذلك ان الحديث في المنزل لا في
المنزل عليه وهو مسوق اليه ومربوط به فحقه ان لا يفك عنه برد الضمير الى غيره الا
ترى ان المعنى وان ارتبتم في ان القران منزل من عند الله فهاتوا انتم نبذا
مما يماثله ويجانسه وقضية الترتيب لو كان الضمير مردودا الى رسول الله
ان يقال وان ارتبتم في ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرانا من مثله ولانهم اذا خوطبوا
جميعا وهم الجم الغفير بان ياتوا بطايفة يسيرة من جنس ما اتى به واحد منهم
كان ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليات واحد اخر بنحو ما اتى به هذا الواحد ولان
هذا التفسير هو الملايم لقوله وادعوا شهداءكم والشهداء جمع شهيد بمعنى
الحاضر او القايم بالشهادة ومعنى دون ادنى مكان من الشيء ومنه الشيء الدون
وهو الدني الحقير ودون الكتب اذا جمعها لان جمع الاشياء ادناء بعضها
من بعض وتقليل المسافة بينها يقال هذا دون ذاك اذا كان احط منه قليلا
ودونك هذا اصله خذ من دونك اي من ادنى مكان منك فاختصر واستعير
للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو في الشرف والعلم ومنه
قول من قال لعدوه وقد راه بالثناء عليه انا دون هذا وفوق ما في نفسك
واتسع فيه فاستعمل في تجاوز حد الى حد وتخطي حكم الى حكم قال الله

وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين

تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس ما لك دون الله من واق اي اذا تجاوزت وقاية الله ولم تنالها لم يقك غيره ومن دون الله متعلق بادعوا او بشهداءكم فان علقته بشهداءكم فمعناه ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيمة انكم على الحق او ادعوا الذين يشهدون لكم بين يدي الله من قول الاعشى تريك القذى من دونها وهي دونه اي تريك القذى قدامها وهي قدام القذى لرقتها وصفائها وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد الذي لا ينطق في معارضة القرآن المعجز بفصاحته غاية التهكم بهم او ادعوا شهداءكم من دون الله اي من دون اوليائه ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم انكم اتيتم بمثله وهذا من المساهلة وارخاء العنان والاشعار بان شهداءهم وهم مدارة القوم الذين هم فرسان المقاولة والمناقلة تابى عليهم الطباع وتجمح بهم الانسانية والانفة ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد البين عندهم فساده واستقامة المحال الجلي في عقولهم احالته وتعليقه بالدعاء في هذا الوجه جائز وان علقته بالدعاء فمعناه ادعوا من دون الله شهداءكم يعني لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا الله يشهد ان ما ندعيه حق كما يقوله العاجز عن اقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء من الناس الذين شهادتهم بينة تصح بها الدعاوي عند الحكام وهذا تعجيز لهم

فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين

وبيان لانقطاعهم وانخذالهم وان الحجة قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبثا غير قولهم الله يشهد انا صادقون وقولهم هذا تسجيل منهم على انفسهم بتناهي العجز وسقوط القدرة وعن بعض العرب انه سئل عن نسبه فقال قرشي والحمد لله فقيل له قولك الحمد لله في هذا المقام ريبة او ادعوا من دون الله شهداءكم يعني ان الله شاهدكم لانه اقرب اليكم من حبل الوريد وهو بينكم وبين اعناق رواحلكم والجن والانس شاهدوكم فادعوا كل من يشهدكم واستظهروا به من الجن والانس الا الله تعالى لانه القادر وحده على ان ياتي بمثله دون كل شاهد من شهدائكم فهو في قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن الآية لما ارشدهم الى الجهة التي منها يتعرفون امر النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به حتى يعثروا على حقيقته وسره ولم يتسهل لكم ما تبغون وبان لكم انه معجوز عنه فقد صرح الحق من محضه ووجب التصديق فآمنوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب وفيه دليلان على اثبات النبوة صحة كون المتحدى به معجزا والاخبار بانهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه الا الله فان قلت انتفاء اتيانهم بالسورة واجب فهلا جيء باذا الذي للوجوب دون ان الذي للشك قلت فيه وجهان احدهما ان يساق القول معهم على حسب حسبانهم وطمعهم وان العجز عن المعارضة كان قبل التامل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام والثاني ان تهكم بهم كما تقول الموصوف

بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يناويه إن غلبتك لم ابق عليك وهو
يعلم انه غالبه ويتيقنه تهكما به فان قلت لم عبر عن الاتيان بالفعل
واي فايدة في تركه اليه قلت لانه فعل من الافعال تقول اتيت فلانا
فيقال لك نعم ما فعلت والفايدة فيه انه جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصارا
ووجازة تغنيك عن طول المكني عنه الا ترى ان الرجل يقول ضربت زيدا في
موضع كذا على صفة كذا وشتمته ونكلت به ويعد كيفيات وافعالا فتقول
له بيس ما فعلت ولو ذكرت ما انبته لطال عليك وكذلك لو لم يعدل عن لفظ
الاتيان الى لفظ الفعل لاستطيل ان يقال فان لم تاتوا بسورة من مثله ولن
تاتوا بسورة من مثله فان قلت ولن تفعلوا ما محلها قلت لا محل
لها لانها جملة اعتراضية فان قلت ما حقيقة لن في باب النفي قلت
لا ولن اختان في نفي المستقبل الا ان في لن توكيدا وتشديدا تقول لصاحبك
لا اقيم غدا فان انكر عليك قلت لن اقيم غدا كما تفعل في انا مقيم واني مقيم
وهي عند الخليل في احدى الروايتين عنه اصلها لا ان وعند الفرا لا ابدلت
الفها نونا وعند سيبويه واحدى الروايتين عن الخليل حرف مقتضب لتاكيد
نفي المستقبل فان قلت من اين لك انه اخبار بالغيب على ما هو به حتى تكون
معجزة قلت لانهم لو عارضوه بشي لم يمتنع ان يتواصفه الناس ويتناقلوه اذ
خفاء مثله فيما عليه مبنى العادة محال لاسيما والطاعنون فيه اكثف عددا من

الذابين عنه فحين لم ينقل علم انه اخبار بالغيب على ما هو به فكان معجزة فان قلت
ما معنى اشتراطه في اتقاء النار انتفاء اتيانهم بسورة من مثله قلت انهم اذا لم ياتوا
بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق رسول الله واذا صح عندهم صدقه
ثم لزموا العناد ولم ينقادوا ولم يشايعوا استوجبوا العقاب بالنار فقيل لهم ان
استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع فاتقوا النار موضعه لان اتقاء النار
لصيقه وضميمه ترك العناد من حيث انه من نتايجه لان من اتقى النار
ترك المعاندة ونظيره ان يقول الملك لحشمه ان اردتم الكرامة عندي فاحذروا
سخطي يريد فاطيعوني واتبعوا امري وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط وهو من
باب الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة وفايدته الايجاز الذي
هو من حلية القرآن وتهويل شان العناد بانابة اتقاء النار منابه وابرازه
في صورته مشيعا ذلك بتهويل صفة النار وتفظيع امرها والوقود ما ترفع
به النار واما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح قال سيبويه سمعنا
من العرب من يقول وقدت النار وقودا عاليا ثم قال والوقود اكثر
والوقود الحطب وقرا عيسى بن عمر الهمداني بالضم تسمية بالمصدر كما يقال
فلان فخر قومه وزين بلده ويجوز ان يكون مثل قولك حياة المصباح السليط
اي ليست حياته الا به فكان نفس السليط حياته فان قلت صلة الذي
والتي يجب ان تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم اولئك ان نار الآخرة

توقد بالناس والحجارة قلت لا يمتنع ان يتقدم لهم بذلك سماع من اهل الكتاب
او سمعوه من رسول الله او سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها
الناس والحجارة فان قلت فلم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة منكرة في سورة
التحريم وههنا معرفة قلت تلك الآية نزلت بمكة فعرفوا منها نارا موصوفة بهذه
الصفة ثم نزلت هذه بالمدينة مشارا بها الى ما عرفوه اولا فان قلت
ما معنى قوله وقودها الناس والحجارة قلت معناه انها نار ممتازة عن
غيرها من النيران بانها لا تتقد الا بالناس والحجارة وبان غيرها ان اريد احراق
الناس بها او احماء الحجارة اوقدت اولا بوقود ثم طرح فيها ما يراد احراقه
او احماؤه وتلك اعاذنا الله منها برحمته الواسعة توقد بنفس ما تحرق
وتحمي في النار وبانها لافراط حرها وشدة ذكائها اذا اتصلت بما لا تشتعل
به نار اشتعلت وارتفع لهبها فان قلت انار الجحيم كلها موقدة بالناس والحجارة
ام هي نيران شتى منها نار بهذه الصفة قلت بل هي نيران شتى منها
نار توقد بالناس والحجارة يدل على ذلك تنكيرها في قوله قوا انفسكم
واهليكم نارا فانذرتكم نارا تلظى ولعل لكفار الجن وشياطينهم
نارا وقودها الشياطين كما ان لكفرة الانس نارا وقودها هم جزاء لكل جنس
بما يشاكله من العذاب فان قلت لم قرن الناس بالحجارة وجعلت
الحجارة معهم وقودا قلت لانهم قرنوا بها انفسهم في الدنيا حيث نحتوها
اصناما

اصناما وجعلوها لله اندادا وعبدوها من دونه قال الله تعالى انكم
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وهذه الآية مفسرة لما نحن فيه
فقوله انكم وما تعبدون من دون الله في معنى الناس والحجارة وحصب
جهنم في معنى وقودها ولما اعتقد الكفار في حجارتهم المعبودة من دون الله
انها الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون بهم ويستدفعون المضار عن انفسهم
بمكانهم جعلها الله عذابهم فقرنهم بها محماة في نار جهنم ابلاغا في ايلامهم
واغراقا في تحسيرهم ونحوه ما يفعله بالكافرين الذين جعلوا ذهبهم وفضتهم
عدة وذخيرة فشحوا بها ومنعوها من الحقوق حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى
بها جباههم وجنوبهم وقيل هي حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وذهاب
عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعاني التنزيل اعدت هيئت لهم وجعلت
عدة لعذابهم وقرأ عبد الله اعتدت من العتاد بمعنى العدة من عادته
عز وعلا في كتابه ان يذكر الترغيب مع الترهيب ويشفع البشارة بالانذار
ارادة التنشيط لاكتساب ما يزلف والتثبيط عن اقتراف ما يتلف فلما
ذكر الكفار واعمالهم واوعدهم بالعقاب قفاه ببشارة عباده الذين
جمعوا بين التصديق والاعمال الصالحة من فعل الطاعات وترك المعاصي
وحموها من الاحباط بالكفر والكبائر بالثواب فان قلت من المأمور
بقوله وبشر قلت يجوز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يكون

كلّ واحد كما قال عليه السلام بشّر المشائين الى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيمة لم يأمر بذلك واحدًا بعينه وانما كلّ احد مأمور به وهذا الوجه احسن واجزل لانه بان الامر لعظمه وفخامة شانه محقوق بان يبشّر به كلّ من قدر على البشارة به فان قلت علام عطف هذا الامر ولم يسبق امر ولا نهي يصح عطفه عليه قلت ليس الذى اعتمد بالعطف هو الامر حتى طلب له مشاكل من امر او نهي يعطف عليه انما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين فهى معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول زيد يعاقب بالقيد والارهاق وبشّر عمرا بالعفو والاطلاق ولك ان تقول هو معطوف على قوله فاتقوا كما تقول احذروا عقوبة ما جنيتم وبشّر يا فلان بني اسد باحساني اليهم وفى قراءة زيد بن علي رضي الله عنه وبشّر على لفظ المبنى للمفعول عطفا على اعدت والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثم قال العلماء اذا قال لعبيده ايكم بشّرني بقدوم فلان فهو حر فبشّروه فرادى عتق اولهم لانه هو الذى اظهر سرور بخبره دون الباقين ولو قال مكان بشّرني اخبرني عتقوا جميعا لانهم جميعا اخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من اوائل ضوئه واما فبشّرهم بعذاب اليم فمن العكس في الكلام الذى يقصد به الاستهزاء الزايد في غيظ المستهزأ به وتألمه واغتمامه كما يقول الرجل لعدوّه ابشر بقتل ذريتك ونهب مالك ومنه قوله فاعتبوا بالصيلم والصالحة

نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لام بظهر الغيب تأتيني والصالحات كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس فان قلت اي فرق بين لام الجنس داخلة على المفرد وبينها داخلة على المجموع قلت اذا دخلت على المفرد كان صالحا لان يراد به الجنس الى ان يحاط به وان يراد به بعضه الى الواحد منه واذا دخلت على المجموع صلح ان يراد به جميع الجنس وان يراد بعضه لا الى الواحد لان وزانه في تناول الجمعية في الجنس وزان المفرد في تناول الجنسية والجمعية في جمل الجنس لا في وحدانه فان قلت فما المراد بهذا المجموع مع اللام قلت الجملة من الاعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال المؤمن في مواجب التكليف والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا والتركيب دائر على معنى الستر وكانها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة التي هي المرة من مصدر جنّه اذا ستره كانها سترة واحدة لفرط التفافها وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان فان قلت الجنة مخلوقة ام لا قلت قد اختلف في ذلك والذى يقول انها مخلوقة يستدل بسكنى آدم وحوا الجنة وبمجيئها في القرآن على نهج الاسماء الغالبة اللاحقة بالاعلام كالنبي والرسول والكتاب ونحوها فان قلت ما معنى جمع الجنة وتنكيرها قلت الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنان

كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنات من
تلك الجنان فان قلت اما يشترط في استحقاق الثواب بالايمان والعمل الصالح
ان لا يحبطها المكلف بالكفر والاقدام على الكباير وان لا يندم على ما اوجده
من فعل الطاعة وترك المعصية فهلا شرط ذلك قلت لما جعل الثواب
مستحقا بالايمان والبشارة مختصة بمن يتولاهما وركز في العقول ان الاحسان
انما يستحق فاعله المثوبة والثنا اذا لم يتعقبهما بما يفسده ويذهب بحسنه
وانه لا يبقى مع وجود مفسده احسانا واعلم بقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم وهو اكرم
الناس عليه واعزهم لئن اشركت ليحبطن عملك وقال للمؤمنين ولا تجهروا له
بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم كان اشتراط حفظهما من الاحباط والندم
كالداخل تحت الذكر فان قلت كيف صورة جري الانهار من تحتها قلت كما ترى
الاشجار النابتة على شواطي الانهار الجارية وعن مسروق ان انهار الجنة تجري في غير
اخدود وانزه البساتين واكرمها منظرا ما كانت الاشجار مظللة والانهار
في خلالها مطردة ولولا ان الماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى وان
الجنات والرياض وان كانت آنق شي واحسنه لا تروق النواظر ولا تبهج الانفس
ولا تجلب الاريحية والنشاط حتى يجري فيها الماء والا كان الانس الاعظم فايتا و
السرور الاوفر مفقودا وكانت كتماثيل لا ارواح فيها وصور لا حياة لها لما جا الله
تعالى بذكر الجنات الا مشفوعا بذكر الانهار الجارية من تحتها مسوقين على قران

والعمل الصالح

واحد كالشيئين لا بد لاحدهما من صاحبه ولما قدم على ساير نعوتها والنهر
المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال لبردى نهر دمشق وللنيل نهر
مصر واللغة العالية النهر بفتح الهاء ومدار التركيب على السعة واسناد الجري
الى الانهار من الاسناد المجازي كقولهم بنو فلان يطأهم الطريق وصيد عليه
يومان فان قلت لم نكرت الجنات وعرفت الانهار قلت اما تنكير
الجنات فقد ذكر واما تعريف الانهار فان يراد الجنس كما يقول لفلان بستان
فيه الماء الجاري والتين والعنب وانواع الفواكه تشير الى الاجناس التي
علم المخاطب او يراد انهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الاضافة كقوله
واشتعل الراس شيبا او يشار الى الانهار المذكورة في قوله فيها انهار من ماء غير آسن
وانهار من لبن لم يتغير طعمه وقوله كلما رزقوا لا يخلو من ان تكون صفة ثانية
لجنات او خبر مبتدا محذوف او جملة مستانفة لانه لما قيل ان لهم جنات لم يخل
خلد السامع ان يقع فيه اثمار تلك الجنات اشباه ثمار جنات الدنيا ام اجناس
اخر لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها اشباه ثمار جنات الدنيا اي اجناسها
اجناسها وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا الله فان قلت ما موقع من ثمرة قلت
هو كقولك كلما اكلت من بستانك من الرمان شيئا حمدتك فموقع من ثمرة موقع قولك من
الرمان كانه قيل كلما رزقوا من الجنات من اي ثمرة كانت من تفاحها او رمانها
او عنبها او غير ذلك رزقا قالوا ذلك فمن في الاولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية

لان الرزق قد ابتدا من الجنات والرزق في الجنات قد ابتدا من ثمرة وتنزيله تنزيل
ان تقول رزقني فلان فيقال لك من اين فتقول من بستانه فيقال من اي ثمرة رزقك من بستانه
فتقول من الرمان وتحرير ان رزقوا جعل مطلقا مبتدا من ضمير الجنات ثم جعل مقيدا
بالابتداء من ضمير الجنات مبتديا من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة او
الرمانة الفذة على هذا التفسير وانما المراد النوع من انواع الثمار ووجه اخر
وهو ان يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رايت اسدا تريد انت اسدا وعلى
هذا يصح ان يراد بالثمرة النوع من الثمار والجنة الواحدة فان قلت كيف قيل
هذا الذي رزقنا من قبل وكيف يكون ذات الحاضر عندهم في الجنة هي ذات
الذي رزقوه في الدنيا قلت معناه هذا مثل الذي رزقنا من قبل وشبهه
بدليل قوله واتوا به متشابها وهذا كقولك ابو يوسف ابو حنيفة تريد انه
لاستحكام الشبه كان ذاته ذاته فان قلت الام يرجع الضمير في قوله واتوا
به قلت الى المرزوق في الدنيا والاخرة جميعا لان قوله هذا الذي رزقنا من
قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا
او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير لدلالة قوله غنيا او فقيرا على الجنسين
ولو رجع الضمير الى المتكلم به لقيل اولى به على التوحيد فان قلت لاي غرض
يتشابه ثمر الدنيا وثمر الجنة وما بال ثمر الجنة لم يكن اجناسا اخر قلت لان
الانسان بالمالوف انس والى المعهود اميل واذا راى ما لم يالفه نزع عنه طبعه

وعافته نفسه ولانه اذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد وتقدم معه
الف وراى فيه مزية ظاهرة وفضيلة بينة وتفاوتا بينه وبين ما عهد
بليغا افرط ابتهاجه واغتباطه وطال استعجابه واستغرابه وتبين كنه النعمة فيه
وتحقق مقدار الغبطة به ولو كان جنسا لم يعهده وان كان فائقا حسب ان
ذلك الجنس لا يكون الا كذلك فلا يتبين موقع النعمة حق التبين فحين ابصروا الرمانة
من رمان الدنيا ومبلغها في الحجم وان الكبرى لا تفضل عن حد البطيخة الصغيرة ثم
يبصرون رمانة الجنة تشبع السكن والنبقة من نبق الدنيا في حجم الفلكة ثم يرون
نبق الجنة كقلال هجر كما راوا ظل الشجرة من شجر الدنيا وقدر امتداده ثم يرون
الشجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك ابين للفضل
واظهر للمزية واجلب للسرور وازيد في التعجب من ان يفاجئوا ذلك الرمان
وذلك النبق من غير عهد سابق بجنسهما وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل
ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الامر وتمادي الحال في ظهور المزية وتمام الفضيلة
وعلى ان ذلك التفاوت العظيم هو الذي يستملي تعجبهم ويستدعي تبجحهم في كل اوان
عن مسروق نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها وثمرها امثال القلال كلما نزعت
ثمرة عادت مكانها اخرى وانهارها تجري في غير اخدود والعنقود اثنا عشر ذراعا
ويجوز ان يرجع الضمير في واتوا به الى الرزق كما ان هذا اشارة اليه ويكون المعنى
ان ما يرزقونه من ثمرات الجنة ياتيهم متجانسا في نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى

احدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذي اتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعنه عليه السلام والذى نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فما هي بواصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فاذا ابصروها والهيئة هيئة الاولى قالوا ذلك والتفسير الاول. فان قلت كيف موقع قوله واتوا به متشابها من نظم الكلام قلت هو كقولك فلان احسن بفلان ونعم ما فعل ورأى من الرأي كذا وكان صوابا ومنه قوله تعالى وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون وما اشبه ذلك من الجمل التي تساق بالكلام معترضة للتقرير والمراد بتطهير الازواج ان طهرن مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة وما لا يختص بهن من الاقذار والادناس ويجوز لمجيئه مطلقا ان يدخل تحته الطهر من دنس الطباع وطبع الاخلاق الذي عليه نساء الدنيا بما يكتسبن بانفسهن ومما ياخذنه من اعراق السوء والمناصب الردية والمناشئ المفسدة ومن سائر عيوبهن ومثالبهن وخبثهن وكيدهن. فان قلت فهلا جاءت الصفة مجموعة كالموصوف قلت هما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلن وهن فاعلات وفواعل والنساء فعلت وهي فاعلة ومنه بيت الحماسة واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت والمعنى جماعة ازواج مطهرة وقرأ زيد بن علي مطهرات وقرأ عبيد بن عمير مطهرة بمعنى متطهرة وفي كلام بعض العرب ما احوجني

الى بيت الله فاطهر اطهرة اي فاتطهر به تطهرة. فان قلت هلا قيل طاهرة قلت في مطهرة فخامة لصفتهن ليست في طاهرة وهي الاشعار بان مطهرا طهرهن وليس ذلك الا الله جل وعز المريد بعباده الصالحين ان يخولهم كل مزية فيما اعد لهم والخلد الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع قال الله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون وقال امرؤ القيس

الا انعم صباحا ايها الطلل البالي ... وهل ينعمن من كان في العصر الخالي
وهل ينعمن الا سعيد مخلد ... قليل الهموم ما يبيت باوجال

سيقت هذه الآية لبيان ان ما استنكره الجهلة والسفهاء واهل العناد والمراء من الكفار واستغربوه من ان تكون المحقرات من الاشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع للاستنكار والاستغراب من قبل ان التمثيل انما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب وادناء المتوهم من المشاهد فان كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله وان كان حقيرا كان المتمثل به كذلك فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل اذا الا امرا تستدعيه حال المتمثل له وتستجره الى نفسها فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية الا ترى الى الحق لما كان واضحا جليا ابلج كيف تمثل له بالضياء والنور والى الباطل لما كان بضد صفته كيف تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الآلهة التي جعلها الكفار اندادا لله لا حال احقر منها واقل وكذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف والوهن

وجعلت اقل من الذباب واخس قدرًا وضربت لها البعوضة والذي دونها مثلًا لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للممثل استحي من تمثيلها بالبعوضة لانه مصيب في تمثيله محق في قوله سايق للمثل على قضية مضربة مجتذ على مثال ما يحتذيه ويستدعيه ولبيان ان المؤمنين الذين عادتهم الانصاف والعمل على العدل والسوية والنظر في الامور بناظر العقل اذا سمعوا مثل هذا التمثيل علموا انه الحق الذي لا تمر الشبهة بساحته والصواب لا يرتع الخطاء حوله وان الكفار الذي غلبهم الجهل على عقولهم وغضهم على بصايرهم فلا يتفطنون ولا يلقون اذهانهم اوعرفوا انه الحق الا ان حب الرياسة وهوى الالف والعادة لا يخليهم ان ينصفوا فاذا سمعوه عاندوا وكابروا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالانكار وان ذلك سبب زيادة هدى المؤمنين وانهماك الفاسقين في غيهم وضلالهم والعجب منهم كيف انكروا ذلك وما زال الناس يضربون الامثال بالبهايم والطيور واخناش الارض والحشرات والهوام وهذه امثال العرب بين ايديهم مسيرة في حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها باحقر الاشياء فقالوا اجمع من ذرة واجرى من الذباب واسمع من قراد واصرد من جرادة واضعف من فراشة واكل من السوس فقالوا في البعوضة اضعف من بعوضة واعز من مخ البعوض وكلفتني مخ البعوض ولقد ضربت الامثال في الانجيل بالاشياء المحقرة كالزوان والنخالة وحبة الخردل والحصاة والارضة والدود والزنابير والتمثيل بهذه الاشياء

وباحقرها لا يخفى استقامته وصحته على من به ادنى مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذي لا يبقى له متمسك بدليل ولا متشبث بامارة ولا اقناع ان يرى لفرط الحيرة والعجز عن اعمال الحيلة بدفع الواضح وانكار المستقيم والتعويل على المكابرة والمغالطة اذا لم يجد سوى ذلك معولًا وعن الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فانزل الله هذه الاية والحياء تغير وانكسار يعتري الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحيوة يقال حيي الرجل كما يقال نسي وحشي وشظي الفرس اذا اعتلت هذه الاعضاء جعل الحيي لما يعتريه من الانكسار والتغير منتكس القوة منتقص الحياة كما قالوا فلان هلك حياء من كذا ومات حياء ورايت الهلاك في وجهه من شدة الحياء وذاب حياء وجمد في مكانه خجلًا فان قلت كيف جاز وصف القديم سبحانه به ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم وذلك في حديث سلمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد يديه ان يردهما صفرًا حتى يضع فيهما خيرًا قلت هو جار على سبيل التمثيل مثل تركه تخييب العبد وانه لا يرد يديه صفرًا من عطايه لكرمه بترك من يترك رد المحتاج اليه حياء منه وكذلك معنى قوله ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل

بالبعوضة تركه يستحيي ان يتمثل بها لحقارتها وتجوز ان يقع هذه العبارة
في كلام الكفرة فقالوا اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالذباب
والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة واطباق الجواب على السؤال وهو فن من
كلامهم بديع وطراز عجيب قول ابي تمام من مبلغ افناء يعرب كلها اني
بنيت الجار قبل المنزل وشهد رجل عند شريح فقال لسبط الشهادة
فقال الرجل انها لم تجعد عني فقال لله بلادك وقبل شهادته فالذي
سوغ بناء الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة ولولا بناء الدار لم يصح
بناء الجار وسبوطة الشهادة لامتنع تجعيدها ولله در امر التنزيل واحاطته
بفنون البلاغة وشعبها لا تكاد تستغرب منها فنا الا عثرت عليه فيه على
اقوم مناهجه واسد مدارجه وقد استعير الحياء فيما لا يصح فيه
اذا ما استحين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد
وقرا ابن كثير في رواية شبل يستحي بياء واحدة وفيه لغتان التعدي بالجار
والتعدي بنفسه يقولون استحييت منه واستحييته وهما محتملان
هنا وضرب المثل اعتماله وصنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وفي
الحديث اضطرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من ذهب وما هذه ابهامية
وهي التي اذا قرنت باسم نكرة ابهمته ابهاما وزادته شياعا وعموما كقولك اعطني
كتابا ما تريد اي كتاب كان او صلة للتاكيد كالتي في قوله فبما نقضهم ميثاقهم كانه

كانه قيل لا يستحيي ان يضرب مثلا حقا او البتة هذا اذا نصبت بعوضة
فان رفعتها فهي موصولة صلتها الجملة لان التقدير هو بعوضة فحذف صدر الجملة كما
حذف في تماما على الذي احسن ووجه آخر حسن جميل وهو ان تكون التي فيها
معنى الاستفهام لما استنكفوا من تمثيل الله لاصنامهم بالمحقرات قال ان الله
لا يستحيي ان يضرب للانداد ما شاء من الاشياء المحقرة مثلا بله البعوضة
فما فوقها كما يقال فلان لا يبالي بما وهب ما دينار ودينارن والمعنى ان
الله ان يمثل للانداد وحقارة شانها بما لا شيء اصغر منه واقل كما
لو تمثل بالجزء الذي لا يتجزى وبما لا يدركه لتناهيه في صغره الا هو وحده بلطفه
او بالمعدوم كما يقول العرب فلان اقل من لا شيء في العدد ولقد الم به قوله تعالى
ان الله يعلم ما تدعون من دونه من شيء وهذه القراءة تعزى الى رؤبة بن
العجاج وهو امضغ العرب للشيح والقيصوم المنهوش لهما بالفصاحة وكانوا
يشبهونه بالحسن وما اظنه ذهب في هذه القراءة الا الى هذا الوجه وهو
المطابق لفصاحته وانتصب بعوضة بانها عطف بيان لمثلا او مفعول
ليضرب ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليه او انتصبا مفعولين بجري مجرى
جعل واشتقاق البعوض من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال بعضه
البعوض وانشد لنعم البيت بيت ابي دثار اذا ما خاف بعض القوم
بعضا ومنه بعض الشيء لانه قطعة منه والبعوض في اصله صفة على فعول

كالقطوع نغلبت وكذلك الخموش فما فوقها فيه معنيان احدهما فما تجاوزها
وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة نحو قولك لمن
يقول فلان اسفل الناس وانذلهم هو فوق ذلك تريد هو ابلغ واعرق فيما
وصف به من السفالة والنذالة والثاني فما زاد عليها في الحجم كانه قصد بذلك
رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لانهما اكبر من البعوضة
كما تقول لصاحبك وقد ذم من عرفه يشح بادنى شي فقال فلان بخيل بالدرهم
والدرهمين هو لا يبالي ان يبخل بنصف درهم فما فوقه تريد بما فوقه ما بخل به
وهو الدرهم والدرهمان كانك قلت فضلا عن الدرهم والدرهمين ونحوه في الاحتمالين
ما سمعناه في صحيح مسلم عن ابرهيم عن الاسود قال دخل شباب من قريش
على عايشة وهي بمنى وهم يضحكون فقالت ما يضحككم قالوا فلان خر على طنب فسطاط
فكادت عنقه او عينه ان تذهب فقالت لا تضحكوا اني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتب له بها درجة
ومحيت عنه بها خطيئة تحتمل فما عدا الشوكة وتجاوزها في القلة وهي نحو
نخبة النملة في قوله عليه السلم ما اصاب المومن من مكروه فهو كفارة لخطاياه
حتى نخبة النملة وهي عضتها وتحتمل ما هو اشد من الشوكة واوجع كالخرور على طنب
الفسطاط فان قلت كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهي النهاية في
الصغر قلت ليس كذلك فان جناح البعوضة اقل منها واصغر بدرجات وقد ضربه

رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا وفي خلق الله حيوان اصغر منها ومن
جناحها ربما رايت في تضاعيف الكتب العتيقة دويبة لا يكاد يجليها للبصر
الحاد الا تحركها فاذا سكنت فالسكون يواريها ثم اذا لوحت لها بيدك حادت
عنها وتجنبت مضرتها فسبحان من يدرك تلك واعضاها الظاهرة والباطنة
وتفاصيل خلقتها ويبصر بصرها ويطلع على ضميرها ولعل في خلقه ما هو اصغر منها
واصغر فسبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما
لا يعلمون وانشدت لبعضهم يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم
الاليل ويرى عروق نياطها في نحرها والمخ في تلك العظام النحل اغفر لعبد تاب
عن فرطاته ما كان منه في الزمان الاول واما حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب
بالفاء وفايدته في الكلام ان يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت
توكيد ذلك وانه لا محالة ذاهب وانه بصدد الذهاب وانه منه عزيمة
قلت اما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شي
فزيد ذاهب وهذا التفسير مدل بفايدتين بيان كونه تاكيدا وانه في معنى الشرط
ففي ايراد الجملتين مصدرتين به وان لم يقل فالذين امنوا يعلمون والذين كفروا
يقولون احماد عظيم لامر المومنين واعتداد بعلمهم انه الحق ونعي على الكافرين
اغفالهم حظهم ورميهم بالكلمة الحمقاء والحق الثابت الذي لا يسوغ
انكاره يقال حق الامر اذا ثبت ووجب وحقت كلمة ربك وثوب

يحفن بحكم النسخ وماذا فيه وجهان ان يكون ذا اسمًا موصولًا بمعني الذي فيكون كلمتين وان يكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسمًا واحدًا فيكون كلمة واحدة فهو علي الوجه الاول مرفوع المحل علي الابتداء وخبره ذا مع صلته وعلي الثاني منصوب المحل في حكم ما وحده لو قلت ما اراد الله والاصوب في جوابه ان يجيء علي الاول مرفوعًا وعلي الثاني منصوبًا ليطابق الجواب السوال وقد جوزوا عكس ذلك كما تقول في جواب من قال ما رايت خيرٌ اي المرئيّ خيرٌ وفي جواب ما الذي رايت خيرًا اي رايت خيرًا وقرئ قوله تعالي ويسالونك ماذا ينفقون قل العفوُ بالرفع والنصب علي التقديرين والارادة نقيض الكراهة وهي مصدر اردت الشيء اذا طلبته نفسك ومال اليه قلبك وفي حدود المتكلمين الارادة معني يوجب للحي حالًا لاجلها يقع منه الفعل علي وجه دون وجه وقد اختلفوا في ارادة الله فبعضهم علي ان للباري مثل صفة المريدينا التي هي القصد وهو امر زايد علي كونه عالمًا غير ساهٍ وبعضهم علي ان معني ارادته لافعاله هو انه فعلها وهو غير ساهٍ ولا مكره ومعني ارادته لافعال غيره انه امر بها والضمير في انه الحق للمثل او لان يضرب وفي قولهم ما اراد الله بهذا استرذال واستحقار كما قالت عايشة في عبد الله بن عمرو بن العاص يا عجبًا لابن عمرو هذا ومثلا نصب علي التمييز كقولك لمن اجاب بجواب غث ماذا اردت بهذا جوابًا ولمن حمل سلاحًا رديًّا كيف ينتفع بهذا سلاحًا او علي الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية وقوله يضل به كثيرا جارٍ مجرى

ويهدي به كثيرا

التفسير والبيان للجملتين المصدرتين باما وان فريق العالمين بانه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة وان العلم بكونه حقًا من باب الهدي الذي ازداد به المؤمنون نورًا الي نورهم وان الجهل الحسن مورده من باب الضلالة التي زادت الجهلة خبطًا في ظلمائهم فان قلت لم وصف المهديون بالكثرة والقلة صفتهم وقليل من عبادي الشكور وقليل ما هم الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة وجدت الناس اخبر تقله قلت اهل الهدي كثير في انفسهم وحين يوصفون بالقلة انما يوصفون بها بالقياس الي اهل الضلال وايضا فان القليل من المهديين كثير في الحقيقة وان قلوا في الصورة فسموا ذهابًا الي الحقيقة كثيرًا ونحوه

ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا

واسناد الاضلال الي الله تعالي اسناد الفعل الي السبب لانه لما ضرب به المثل فضل به قوم واهتدي قوم تسبب لضلالهم وهداهم وعن مالك بن دينار رحمه الله انه دخل علي محبوس قد اخذ بمال عليه وقيد فقال المحبوس يا ابا يحيي اما تري ما نحن فيه من القيود فرفع مالك راسه فراي سلة فقال لمن هذه السلة فقال لي فامر بها تنزل فاذا دجاج واخبصة فقال مالك هذه وضعت القيود علي رجلك وقراء زيد بن علي يضل به كثير وكذلك وما يضل به الا الفاسقون والفسق الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوايرا والفاسق في الشريعة الخارج عن امر الله بارتكاب

الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين اي بين منزلة المؤمن والكافر وقالوا ان
اول من حدّ لهذا الحد ابو حذيفة واصل بن عطاء وكونه بين بين ان حكمه حكم
المؤمن في انه يناكح ويوارث ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين وهو
كالكافر في الذم واللعن والبرأة منه واعتقاد عداوته وان لا يقبل له شهادة
ومذهب مالك بن انس والزيدية ان الصلاة لا تجزئ خلفه ويقال للخلفاء
المردة من الكفار الفسقة وقد جاء الاستعمالان في كتاب الله بئس الاسم
الفسوق بعد الايمان يريد اللمز والتنابز ان المنافقين هم الفاسقون النقض
الفسخ وفك التركيب فان قلت من اين ساغ استعمال النقض في ابطال العهد
قلت من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة
بين المتعاهدين ومنه قول ابن التيهان في بيعة العقبة يا رسول الله ان بيننا وبين
القوم حبالا ونحن قاطعوها فنخشى ان الله اعزك واظهرك ان ترجع الى قومك
وهذا من اسرار البلاغة ولطائفها ان يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا
اليه بذكر شيء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ونحوه قولك شجاع يفترس
اقرانه وعالم يغترف منه الناس واذا تزوجت امرأة فاستوثرها لم تقل هذا
الا وقد نبهت على الشجاع والعالم بانهما اسد وبحر وعلى المرأة بانها فراش
والعهد الموثق وعهد اليه في كذا اذا اوصاه به ووثقه عليه واستعهد منه اذا
اشترط عليه واستوثق منه والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله احبار اليهود

المتعنتون او منافقوهم او الكفار جميعا فان قلت فما المراد بعهد الله
قلت ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد كانه امر وصاهم به ووثقه عليهم
بانهم اذا بعث اليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره
فيما تقدم من الكتب المنزلة عليهم كقوله تعالى واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقوله
في الانجيل لعيسى سانزل عليك كتابا فيه يا بني اسرائيل فما ادتيته اياهم
الآيات وما انعمت عليهم ولم فيما قبلهم الذي واثقوا به وما ضيعوا من عهده اليهم
وحسن صنعه للذين قاموا بميثاق الله واوفوا بعهده ونقض ايامهم وكيف انزل
بأسه ونقمته بالذين غدروا ونقضوا ميثاقه ولم يوفوا بعهده لان اليهود فعلوا باسم
عيسى ما فعلوا باسم محمد صلى الله عليهما من التحريف والجحود وكفروا به كما كفروا به وقيل هو
اخذ الله العهد عليهم ان لا يسفكوا دماءهم ولا يبغي بعضهم على بعض ولا يقطعوا ارحامهم
وقيل عهد الله الى خلقه ثلاثة عهود العهد الاول الذي اخذه على جميع ذرية
ادم بالاقرار بربوبيته وهو قوله تعالى واذ اخذ ربك وعهد خص به النبيين ان
يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وهو قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم وعهد خص به العلماء وهو قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين
اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه والضمير في ميثاقه للعهد وهو ما
وثقوا به عهد الله من قبوله والزامه انفسهم ويجوز ان يكون بمعنى توثقته كما ان
الميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة ويجوز ان يرجع الضمير الى الله

ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون

كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا ثم يحييكم ثم اليه ترجعون فاحياكم ثم يميتكم

اي من بعد توثقته عليهم اومن بعد ما وثق به عهده من اياته وكتبه و انذار رسله

ومعنى قطعهم ما امر الله به ان يوصل قطعهم الارحام وموالاة المومنين وقيل قطعهم

ما بين الانبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع على الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم

ببعض فان قلت ما الامر قلت طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه

وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور لان الداعي الذي يدعوا اليه من يتولاه

شبه بامر يامره به فقيل له امر تسمية للمفعول به بالمصدر كانه مامور به كما قيل له

شان والشان الطلب والقصد يقال شانت شانه اي قصدت قصده

هم الخاسرون لانهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد

بالصلاح وعقابها بثوابها معنى الهمزة التي في كيف مثله في قولك اتكفرون

بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعوا الى الايمان وهو الانكار والتعجب

ونظيره قولك اتطير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح فان قلت قولك اتطير

بغير جناح انكار للطيران لانه مستحيل بغير جناح واما الكفر فغير مستحيل مع ما ذكرنا

من الاماتة والاحيا قلت قد اخرج في صورة المستحيل لما قوي من الصارف

عن الكفر والداعي الى الايمان فان قلت فقد تبين امر الهمزة وانها لانكار

الفعل والايذان باستحالته في نفسه او لقوة الصارف عنه فما تقول في كيف

حيث كان انكارا للحال التي يقع عليها كفرهم قلت حال الشي تابعة لذاته فاذا

امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت الحال فكان انكار حال الكفر لانها

تتبع ذات الكفر وترديفها انكارا لذات الكفر وثباتها على طريق الكناية وذلك

اقوى لانكار الكفر وابلغ وتحريره انه اذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد

عليها وقد علم ان كل موجود لا ينفك من حال وصفة عند وجوده ومحال ان

يوجد لغير صفة من الصفات كان انكارا لوجوده على الطريق البرهاني والواو

في قوله وكنتم امواتا للحال فان قلت كيف صح ان يكون حالا وهو ماض ولا

يقال جيت وقام الامير ولكن وقد قام الا ان يضمر قد قلت لم يدخل الواو

على كنتم امواتا وحده ولكن على جملة قوله كنتم امواتا الى ترجعون كانه قيل كيف

تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم انكم كنتم امواتا نطفا في اصلاب ابائكم

فجعلكم احياء ثم يميتكم بعد هذه الحيوة ثم يحييكم بعد الموت ثم يحاسبكم فان قلت

بعض القصة ماض وبعضه مستقبل والماضي والمستقبل كلاهما لا يصح ان يقع حالا

حتى يكون فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال عنه فما الحاضر الذي وقع حالا قلت هو العلم

بالقصة كانه قيل كيف تكفرون وانتم عالمون بهذه القصة باولها واخرها فان قلت

فقد آل المعنى الى قولك على اي حال تكفرون في حال علمكم بهذه القصة فما وجه صحته

قلت قد ذكرنا ان معنى الاستفهام في كيف الانكار وان انكار الحال متضمن

لانكار الذات على سبيل الكناية فكانه قيل ما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم

هذه فان قلت ان اتصل علمهم بانهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم فلم يتصل بالاحيا

الثاني والرجوع قلت قد تمكنوا من العلم بهما بالدلايل الموصلة اليه فكان ذلك

منزلة حصول العلم وكثير منهم علموا ثم عاندوا والاموات جمع ميت كالاقوال
في جمع قيل فان قلت كيف قيل لهم اموات في حال كونهم جمادا وانما يقال ميت
فيما يصح فيه الحياة من البنى قلت بل يقال ذلك لعادم الحيوة كقوله بلدة ميتا
وآية لهم الارض الميتة اموات غير احياء ويجوز ان يكون استعارة لاجتماعهما
في ان لا روح ولا احساس فان قلت ما المراد بالاحيا الثاني قلت يجوز
ان يراد به الاحياء في القبر وبالرجوع النشور وان يراد به النشور وبالرجوع
المصير الى الجزاء فان قلت فلم كان العطف الاول بالفاء والاعقاب بثم
قلت لان الاحيا الاول قد تعقب الموت بغير تراخ واما الموت فقد تراخى
عن الحياة والاحيا الثاني كذلك متراخ عن الموت ان اريد به النشور تراخيا ظاهرا
وان اريد به احيا القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع الى الجزاء ايضا متراخ
فان قلت من اين اتصل احتجاج الكفر مع القصة التي ذكرها الا انها مشتملة على آيات
بينات تصدهم عن الكفر ام على نعم جسام حقها ان تشكر ولا تكفر قلت تحتمل
الامرين جميعا لان ما عدده آيات وهي مع كونها آيات من اعظم النعم لكم لاجلكم
ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم اما الانتفاع الدنيوي فظاهر واما الانتفاع
الديني فالنظر فيه وما فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم وما فيه
من التذكير بالآخرة وبثوابها وعقابها لاشتماله على اسباب الانس واللذة من فنون
المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهية وعلى

هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم

اسباب الوحشة والمشقة من انواع المكاره كالنيران والصواعق والسباع
والاحناش والسموم والغموم والمخاوف وقد استدل بقوله خلق لكم على ان
الاشياء التي يصح ان ينتفع بها ولم تجر مجرى المحظورات في العقل خلقت في الاصل
مباحة مطلقا لكل احد ان يتناولها ويستنفع بها فان قلت هل لقول من زعم
ان المعنى خلق لكم الارض وما فيها وجه صحة قلت ان اراد بالارض الجهات
السفلية دون الغبرا كما تذكر السماء وتراد الجهات العلوية جاز ذلك فان الغبرا
وما فيها واقعة في الجهات السفلية وجميعا نصب على الحال من الموصول الثاني والاستوا
الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود وغيره اذا قام واعتدل ثم قيل استوى
اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء ومنه استعير
قوله ثم استوى الى السماء اي قصد اليها بارادته ومشيته بعد خلق ما في الارض من
غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر والمراد بالسماء جهات العلو كانه قيل ثم استوى
الى فوق والضمير في فسواهن ضمير مبهم وسبع سموات تفسيره كقولهم ربه رجلا وقيل
الضمير راجع الى السما والسما في معنى الجنس وقيل جمع سماءة والوجه العربي هو
الاول ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه واخلاوه من العوج والفطور او
اتمام خلقهن وهو بكل شيء عليم فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت
مع خلق ما في الارض على حسب حاجات اهلها ومنافعهم ومصالحهم فان قلت
ما فسرت به معنى الاستوا الى السما يناقض ثم لاعطائه معنى التراخي والمهلة

وإذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة

قلت ثم ها هنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السموات على خلق الارض لا للتراخي في الوقت لقوله ثم كان من الذين آمنوا على انه لو كان بمعنى التراخي في الوقت لم يلزم ما اعترضت به لان المعنى انه حين قصد الى السما لم يحدث فيما بين ذلك اي في تضاعيف القصد اليها خلقا اخر فان قلت اما ينافض هذا قوله والارض بعد ذلك دحيها قلت لا لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السما واما دحوها فمتاخر وعن الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعه وبسط منه الارض فذلك قوله كانتا رتقا وهو الالتزاق واذ نصب باضمار اذكر ويجوز ان ينتصب بقالوا والملائكة جمع ملأك على الاصل كالشمائل في جمع شمأل والحاق التا لتانيث الجمع وجاعل من جعل الذي له مفعولان دخل على المبتدا والخبر وهما قوله في الارض خليفة والخليفة من يخلف غيره والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا سكان الارض فخلفهم فيها ادم وذريته فان قلت اريد بالخليفة آدم واستغنى بذكره عن ذكر بنيه كما يستغنى بذكر ابي القبيلة في قولك مضر وهاشم او اريد من يخلفكم او خلقا يخلفكم فوحد لذلك وقرى خليقة بالقاف ويجوز ان يريد خليفة مني لان ادم كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي انا جعلناك خليفة في الارض فان قلت لاي غرض اخبرهم بذلك قلت ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا بما اجيبوا به فيعرفوا حكمته في استخلافهم قبل كونهم صيانة لهم عن اعتراض الشبهة في وقت استخلافهم وقيل

قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون

ليعلم عباده المشاورة في امورهم قبل ان يقدموا عليها وعرضها على ثقاتهم ونصحائهم وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة اتجعل فيها تعجب من ان يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية وهو الحكيم الذي لا يفعل الا الخير ولا يريد الا الخير فان قلت من اين عرفوا ذلك حتى تعجبوا منه وانما هو غيب قلت عرفوه باخبار من الله او من جهة اللوح او ثبت في علمهم ان الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون وكل خلق سواهم ليسوا على صفتهم او قاسوا احد الثقلين على الآخر حيث اسكنوا الارض فافسدوا فيها قبل سكنى الملائكة وقرئ ويسفك بضم الفاء ويسفك ويسفك من اسفك وسفك والواو في ونحن للحال كما تقول احسن الى فلان وانا احق منه بالاحسان والتسبيح تبعيد الله من السوء وكذلك تقديسه من سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد وبحمدك في موضع الحال اي نسبح حامدين لك وملتبسين بحمدك لانه لولا انعامك علينا بالتوفيق واللطف لم نتمكن من عبادتك اعلم ما لا تعلمون اي اعلم من المصالح في ذلك ما هو خفي عليكم فان قلت هلا بين لهم تلك المصالح قلت كفى العباد ان يعلموا ان افعال الله كلها حسنة وحكمة وان خفي عليهم وجه الحسن والحكمة على انه قد بين لهم بعض ذلك فيما اتبعه من قوله وعلم آدم الاسماء كلها واشتقاقهم آدم من الادمة ومن اديم الارض نحو اشتقاقهم يعقوب من العقب وادريس من الدرس وابليس من الابلاس وما آدم الا اسم اعجمي واقرب امره ان يكون على فاعل كآزر وعازر وعابر وشالخ وفالغ واشباه ذلك الاستمداد

وعلم ادم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم

كلها اي اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الاسماء لان الاسم لابد له من مسمى وعوض منه اللام كقوله واشتعل الرأس فان قلت هلا زعمت انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وان الاصل وعلم ادم مسميات الاسماء قلت لان التعليم وجب تعليقه بالاسماء لا بالمسميات لقوله انبئوني باسماء هؤلاء انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم فكما علق الانباء بالاسماء لا بالمسميات ولم يقل انبئوني بهؤلاء وانبئهم بهم وجب تعليق التعليم فان قلت فما معنى تعليم اسماء المسميات قلت اراه الاجناس التي خلقها وعلمه ان هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وعلمه احوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ثم عرضهم اي عرض المسميات وانما ذكر لان في المسميات العقلاء فغلبهم وانما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الانباء على سبيل التبكيت ان كنتم صادقين يعني في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين سفاكين للدماء ارادة للرد عليهم وان فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التي هي اصول الفوائد كلها ما يستأهلون لاجله ان يستخلفوا فاراهم بذلك وبين لهم بعض ما اجمل من ذكر المصالح في استخلافهم في قوله اني اعلم ما لا تعلمون وقوله الم اقل اني اعلم غيب السموات والارض استحضار لقوله لهم اني اعلم ما لا تعلمون الا انه جاء على وجه ابسط من ذلك واشرح وقرئ وعُلِّم ادم على البناء للمفعول وقرأ عبد الله عرضهن وفي قراءة أبي عرضها والمعنى عرض مسمياتهن او مسمياتها لان العرض لا يصح في الاسماء وقرئ انبيهم بقلب الهمزة

قال يا ادم انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين

يا اد وابنهم بحذفها والهاء مكسورة فيهما السجود لله تعالى على سبيل العبادة ولغيره على وجه التكرمة كما سجدت الملائكة لادم وابوا يوسف واخوته له ويجوز ان تختلف الاحوال والاوقات فيه وقرأ ابو جعفر للملائكة اسجدوا بضم التاء للاتباع ولا يجوز استهلاك الحركة الاعرابية بحركة الاتباع الا في لغة ضعيفة كقولهم الحمد لله الا ابليس استثناء متصل لانه كان جنيا واحدا بين اظهر الالوف من الملائكة مغمورا بهم فغلبوا عليه في قوله فسجدوا ثم استثني منهم استثناء واحد منهم ويجوز ان يجعل منقطعا ابى امتنع مما امر به واستكبر عنه وكان من الكافرين من جنس كفرة الجن وشياطينهم فلذلك ابى واستكبر كقوله كان من الجن ففسق عن امر ربه السكنى من السكون لانها نوع من اللبث والاستقرار وانت تاكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه ورغدا وصف للمصدر اي اكلا رغدا واسعا رافها وحيث للمكان المبهم اي اي مكان من الجنة شئتما اطلق لهما الاكل من الجنة على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلة حتى لم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع الجامعة للماكولات من الجنة حتى لا يبقى لهما عذر في التناول من شجرة واحدة من بين اشجارها الفائتة للحصر وكانت الشجرة فيما قيل الحنطة او الكرمة او التينة وقرئ ولا تقربا بكسر التاء وهذي والشجرة بكسر الشين والشيرة بالياء وعن ابي عمرو انه كرهها وقال يقرأ بها برابر مكة وسودانها من الظالمين من الذين ظلموا انفسهم بمعصية الله فتكونا جزم عطف على تقربا او نصب جواب للنهي الضمير في عنها للشجرة اي فحملهما الشيطان على الزلة

فتكونا من الظالمين فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين

بيبها وتخفيف فاصدر الشيطان زلتهما عنها وعن هذه مثلها في قوله وما فعلته عن امري وقوله ينهون عن اكل وشرب وقيل فازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما عنها وابعدهما كما تقول زل عن مرتبته وزل عني ذاك اذا ذهب عنك وزل من الشهر كذا وقرئ فازالهما مما كانا فيه من النعيم والكرامة او من الجنة ان كان الضمير للشجرة في عنها وقرأ عبد الله فوسوس لهما الشيطان عنها وهذا دليل على الضمير للشجرة لان المعنى صدرت وسوسته عنها فان قلت كيف توصل الى ازلالهما ووسوسته لهما بعدما قيل له اخرج منها فانك رجيم قلت يجوز ان يمنع دخولها على جهة التقريب والتكرمة كدخول الملائكة ولا يمنع ان يدخلها على جهة الوسوسة ابتلاء لآدم وحوا وقيل كان يدنو من السماء فيكلمهما وقيل قام عند الباب فنادى وروي انه اراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية حتى دخلت به وهم لا يشعرون قيل اهبطوا خطاب لآدم وحوا وابليس وقيل والحية والصحيح انه لآدم وحوا والمراد هما وذريتهما لانهما لما كانا اصل الانس ومتشعبهم جعلا كانهما الانس كلهم والدليل عليه قوله قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ويدل على ذلك قوله فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وما هو الا حكم يعم الناس كلهم ومعنى بعضكم لبعض عدو ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض والهبوط النزول الى الارض مستقر موضع استقرار او استقرار ومتاع تمتع بالعيش الى حين يريد الى يوم القيامة وقيل الى

فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون

الموت معنى تلقي الكلمات استقبالها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرئ بنصب آدم ورفع الكلمات على انها استقبلته بان بلغته واتصلت به فان قلت ما هن قلت قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وعن ابن مسعود ان احب الكلام الى الله ما قاله ابونا حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب وعن ابن عباس قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واكتفى بذكر توبة آدم دون توبة حوا لانها كانت تبعا له كما طوي ذكر النساء في اكثر القرآن والسنة لذلك وقد ذكرها في قوله تعالى قالا ربنا ظلمنا انفسنا فتاب عليه فرجع عليه بالرحمة والقبول فان قلت لم كرر قلنا اهبطوا قلت للتاكيد ولما نيط به من زيادة قوله فاما يأتينكم مني هدى فان قلت ما جواب الشرط الاول قلت الشرط الثاني مع جوابه كقولك ان جئتني فان قدرت احسنت اليك والمعنى فاما يأتينكم مني هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم بدليل قوله والذين كفروا وكذبوا بآياتنا في مقابلة قوله فمن تبع هداي فان قلت فلم جيء بكلمة الشك واتيان الهدى كائن لا محالة لوجوبه قلت للايذان بان الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل

والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون

وانزال الكتب وانه ان لم يبعث رسولا ولم ينزل كتابا كان الايمان به وتوحيده
واجبا لما ركب فيهم من العقول ونصب لهم من الادلة ومكنهم من النظر والاستدلال
فان قلت الخطيئة التي اهبط بها آدم ان كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على
الانبياء وان كانت صغيرة فلم جرى عليه ما جرى بسببها من نزع اللباس والاخراج
من الجنة والاهباط من السماء كما فعل بابليس ونسبته الى الغي والعصيان ونسيان
العهد وعدم العزيمة والحاجة الى التوبة قلت ما كانت الا صغيرة مغمورة باعمال
قلبه من الاخلاص والافكار الصالحة التي هي اجل الاعمال واعظم الطاعات
وانما جرى عليه ما جرى تعظيما للخطيئة وتفظيعا لشانها وتهويلا ليكون ذلك لطفا له
ولذريته في اجتناب الخطايا واتقاء المآثم والتنبيه على انه اخرج من الجنة بخطيئة
واحدة فكيف يدخلها ذو خطايا جمة وقرئ فمن تبع هدي على لغة هذيل فلا خوف
بالفتح اسرائيل هو يعقوب عليه السلام لقب له ومعناه في لسانهم صفوة الله وقيل عبد الله
وهو بزنة ابرهيم واسمعيل غير منصرف مثلها لوجود العلتين والعجمة وقرئ اسرايل واسرال
وذكرهم النعمة ان لا يخلوا بشكرها ويعتدوا بها ويستعظموها ويطيعوا مانحها واراد
بها ما انعم به على آبائهم مما عدد عليهم من الانجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق ومن العفو
عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم وغير ذلك وما انعم عليهم من ادراك زمن محمد صلى الله عليه وسلم
المبشر به في التوراة والانجيل والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعا يقال اوفيت
بعهدي اي بما عاهدت عليه كقوله ومن اوفى بعهده من الله واوفيت بعهدك اي بما عاهدتك

وآمنوا بما انزلت مصدقا لما
معكم ولا تكونوا اول كافر به

عليه ومعنى واوفوا بعهدي واوفوا بما عاهدتموني عليه من الايمان بي والطاعة
لي كقوله ومن اوفى بما عاهد عليه الله ومنهم من عاهدوا الله رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه اوف بعهدكم بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على
حسناتكم واياي فارهبون فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيدا رهبته
وهو اوكد وافادة الاختصاص من اياك نعبد وقرئ اوف بالتشديد اي
ابالغ في الوفاء بعهدكم كقوله من جاء بالحسنة فله خير منها ويجوز ان يريد بقوله
واوفوا بعهدي ما عاهدوا عليه ووعدوه من الايمان بنبي الرحمة والكتاب
المعجز والدليل عليه قوله وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم اول كافر اول من كفر به
او اول فريق او اول فوج كافر به او ولا يكن كل واحد منكم اول كافر به
كقولك كسانا حلة اي كل واحد منا وهذا تعريض بانه كان يجب ان يكونوا اول
من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته ولانهم كانوا المبشرين بزمان من اوحي اليه
القرآن والمستفتحين على الذين كفروا به وكانوا يعدون اتباعه اول
الناس كلهم فلما بعث كان امرهم على العكس كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا
من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة وما تفرق الذين
اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة
الله على الكافرين ويجوز ان يراد ولا تكونوا مثل اول كافر به يعني من اشرك
به من اهل مكة اي ولا تكونوا وانتم تعرفونه مذكورا في التوراة موصوفا مثل

من لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب له وقيل الضمير في به لما معكم لانهم اذا كفروا بما يصدقه فقد كفروا به والاشتراء استعارة للاستبدال كقوله اشتروا الضلالة بالهدى وقوله كما اشترى المسلم اذ تنصرا فاني شريت الحلم بعدك بالجهل يعني لا تستبدلوا بآياتي ثمنا قليلا والا فالثمن هو المشترى به والثمن القليل الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو اصبحوا اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاستبدلوها وهي بدل قليل ومتاع يسير بآيات الله وبالحق الذي كل كثير اليه قليل وكل كبير اليه حقير فما بال الحقير القليل وقيل كانت عامتهم يعطون احبارهم من زروعهم وثمارهم ويهدون اليهم الهدايا ويرشونهم الرشا على تحريفهم الكلم وتسهيلهم ما صعب عليهم من الشرايع وكان ملوكهم يدرون عليهم الاموال ليكتموا ويحرفوا الباء التي في الباطل ان كانت صلة مثلها في قولك لبست الشي بالشي و خلطته به كان المعنى ولا تكتبوا في التورية ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا يتميز بين حقها وباطلكم وان كانت للاستعانة كالتي في قولك كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذي تكتبونه وتكتموا جزم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا او منصوب باضمار ان والواو بمعنى الجمع اي ولا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن فان قلت لبسهم و كتمانهم ليسا بفعلين متميزين حتى ينهوا عن الجمع بينهما لانهم اذا لبسوا الحق بالباطل فقد كتموا الحق قلت بل هما متميزان لان لبس الحق بالباطل ما ذكرنا من كتبهم في

واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون

التورية ما ليس منها وكتمانهم الحق ان تقولوا لا نجد في التورية صفة محمد او حكم كذا او يمحوا ذلك او يكتبوه على خلاف ما هو عليه وفي مصحف عبد الله وتكتمون بمعنى كاتمين وانتم تعلمون في حال علمكم انكم لابسون كاتمون وهو اقبح لان الجهل بالقبيح ربما عذر راكبه واقيموا الصلاة يعني صلاة المسلمين وزكوتهم واركعوا مع الراكعين منهم لان اليهود لا ركوع في صلوتهم وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم في دين الله ويجوز ان يراد بالركوع الصلاة كما يعبر عنها بالسجود وان يكون امرا بان تصلي مع المصلين يعني في الجماعة كانه قيل واقيموا الصلوة وصلوها مع المصلين لا منفردين اتامرون الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم والبر سعة الخير والمعروف ومنه البر لسعته ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت وكان الاحبار يامرون من نصحوه في السر من اقاربهم باتباع محمد ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون واذا اتوا بصدقات ليفرقوها خانوا فيها وعن محمد بن واسع بلغني ان ناسا من اهل الجنة اطلعوا على ناس من اهل النار فقالوا لهم قد كنتم تامروننا باشيا عملناها فدخلنا الجنة قالوا كنا نامركم بها ونخالف الى غيرها وتنسون انفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات وانتم تتلون الكتاب تبكيت مثل قوله وانتم تعلمون يعني تتلون التورية وفيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم وفيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون توبيخ عظيم بمعنى افلا تفطنون لقبح ما اقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه

واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة الا على الخاشعين

فكانكم في ذلك مسلوبوا العقول لان العقول تأباه وتدفعه ونحوه افٍّ لكم ولما تعبدون
من دون الله افلا تعقلون واستعينوا على حوايجكم الى الله بالصبر والصلوة اي
بالجمع بينهما وان تصلوا صابرين على تكاليف الصلوة محتملين لمشاقها وما يجب فيها
من اخلاص القلب وحفظ النيات ودفع الوساوس ومراعات الاداب والاحتراس
من المكاره مع الخشية والخشوع واستحضار العلم بانه انتصاب بين يدي جبار السموات
ليسال فك الرقاب من سخطه ومنه قوله تعالى وامر اهلك بالصلوة واصطبر
عليها او واستعينوا على البلايا والنوايب بالصبر عليها والالتجاء الى الصلوة عند
وقوعها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وعن ابن
عباس انه نعي اليه اخوه قثم وهو في سفر فاسترجع وتنحى عن الطريق فصلى ركعتين اطال
فيهما الجلوس ثم قام يمشي الى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلوة وقيل الصبر
الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر والالتجاء
الى الدعاء والابتهال الى الله تعالى في دفعه وانها الضمير الى الصلوة والاستعانة ويجوز
ان يكون لجميع الامور التي امر بها بنو اسرائيل ونهوا عنها من قوله واذكروا نعمتي الى قوله
واستعينوا لكبيرة لشاقة ثقيلة من قولك كبر على هذا الامر كبر على المشركين
ما تدعوهم اليه فان قلت ما لها لم تثقل على الخاشعين والخشوع في نفسه مما يثقل قلت
لانهم يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم الا ترى الى قوله الذين
يظنون انهم ملاقوا ربهم اي يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون فيه و

يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا تقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون

في مصحف عبد الله يعلمون ومعناه يعلمون ان لا بد من لقاء الجزاء فيعملون على
ذلك وكذلك فسر يظنون يتيقنون واما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب
كانت عليه مشقة خالصة فثقلت عليه كالمنافقين والمرائين بالاعمال ومثاله
من وعد على بعض الاعمال والصنايع اجرة زايدة على مقدار عمله فتراه يزاوله
برغبة ونشاط وانشراح صدر ومضاحكة لحاضريه كانه يستلذ مزاولته بخلاف
حال عامل يتسخره بعض الظلمة ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه السلام وجعلت
قرة عيني في الصلوة وكان يقول يا بلال روحنا والخشوع الاخبات والتطامن
ومنه الخشعة للرملة المتطامنة واما الخضوع فاللين والانقياد ومنه خضعت
بقولها اذا لينته واني فضلتكم على العالمين عطف على نعمتي اي اذكروا نعمتي
وتفضيلي على العالمين على الجم الغفير من الناس كقوله باركنا فيها للعالمين يقال
رايت عالما من الناس يراد الكثرة يوما يوم القيامة لا تجزي لا تقضي عنها شيئا
من الحقوق ومنه الحديث في جذعة بن نيار تجزي عنك ولا تجزي عن احد بعدك
وشيئا مفعول به ويجوز ان يكون في موضع مصدر اي قليلا من الجزاء كقوله ولا
يظلمون شيئا ومن قرا لا تجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى عنه فلا يكون
في قراءته الا بمعنى شيئا من الاجزاء وقرا ابو السرار الغنوي لا تجزي نسمة عن
نسمة شيئا وهذه الجملة منصوبة المحل صفة ليوما فان قلت فاين العايد منها الى الموصوف
قلت هو محذوف تقديره لا تجزي فيه ونحوه ما انشده ابو علي تروّحي اجدر ان

تقبليّ ما اجدت ان تقبل فيه ومنهم من ينزل فيقول اتشبع فيه فاجري مجرى
المفعول به فحذف الجار ثم حذف الضمير كما حذف من قوله او كالوا
ومعنى التنكير ان نفسا من الانفس لا تجزي عن نفس منها شيئا من الاشياء
من الاقناط الكلي القطاع للمطامع وكذلك قوله ولا تقبل منها شفاعة ولا يوخذ
منها عدل اي توبة فدية لانها معادلة للمفدي ومنه الحديث لا تقبل منه
صرف ولا عدل اي توبة ولا فدية وقرا قتادة ولا يقبل منها شفاعة على
بناء الفعل للفاعل وهو الله عز وجل ونصب الشفاعة وقيل كانت اليهود
تزعم ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم فاويسوا فان قلت هل فيه دليل على ان
الشفاعة لا تقبل للعصاة قلت نعم لانه نفى ان تقضي نفس عن نفس حقا اخلت به
من فعل او ترك ثم نفى ان تقبل منها شفاعة شفيع فعلم انها لا تقبل للعصاة
فان قلت الضمير في ولا تقبل منها الى اي النفسين يرجع قلت الى الثانية
العاصية غير المجزي عنها وهي التي لا يوخذ منها عدل ومعنى لا تقبل منها شفاعة ان جاءت بشفاعة
شفيع لم تقبل منها ويجوز ان يرجع الى النفس الاولى على انها لو شفعت لها لم تقبل منها
شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئا ولو اعطت عدلا عنها لم يوخذ منها ولا هم ينصرون
يعني ما دلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد
والاناسي كما تقول ثلاثة انفس آل اصل آل اهل ولذلك يصغر باهيل فابدلت هاؤه
الفا وخص استعماله باولي الخطر والشأن كالملوك واشباههم ولا يقال آل الاسكاف

وآل الحجام

واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم ظالمون

وآل الحجام وفرعون علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم وكسرى
لملك الفرس ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا وتجبر وفي
ملح بعضهم وقد جاء موسى الكليم فزاد في اقصى تفرعنه وفرط عرامه وقرئ
انجيناكم ونجيتكم يسومونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم
اذا ما الملك سام الناس خسفا ابينا ان نقر الخسف فينا واصله من سام
السلعة اذا طلبها كانه بمعنى يبغونكم سوء العذاب ويريدونكم عليه والسوء
مصدر السيء يقال اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء
العذاب والعذاب كله سيء اشده وافظعه كانه قبحه بالاضافة الى سائره
ويذبحون بيان لقوله تعالى يسومونكم ولذلك ترك العاطف كقوله يضاعف في قول
الذين كفروا وقرا الزهري يذبحون بالتخفيف كقولك قطعت الثياب وقطعتها
وقرا عبد الله يقتلون وانما فعلوا بهم ذلك لان الكهنة انذروا فرعون
بان يولد مولود يكون على يده هلاكه كما انذر نمرود فلم يغن عنهما اجتهادهما في
التحفظ فكان ما شاء الله والبلاء المحنة ان اشير بذلكم الى صنيع فرعون
والنعمة ان اشير به الى الانجاء فرقنا فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت
فيه مسالك لكم وقرئ فرقنا بمعنى فصلنا يقال فرق بين الشيئين وفرق بين
الاشياء لان المسالك كانت اثني عشر على عدد الاسباط فان قلت
ما معنى بكم قلت فيه اوجه ان يراد انهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم

واذ واعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون

فكانما فرق بهم كما يفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما وان يراد فرقناه بسببكم وبسبب انجائكم وان يكون في موضع الحال بمعنى فرقناه ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا اي تدوسها ونحن راكبوها وروي ان بني اسرائيل قالوا لموسى اين اصحابنا لا نراهم قال سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم اعني على اخلاقهم السيئة فاوحي اليه ان قل بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم وانتم تنظرون الى ذلك وتشاهدونه لا تشكون فيه لما دخل بنوا اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله موسى ان ينزل عليه التورية وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل اربعين ليلة وانما خص الليلة بالذكر لان الشهور غررها بالليالي وقرئ واعدنا لان الله تعالى وعده الوحي ووعده موسى المجئ للميقات الى الطور من بعده من بعد مضيه الى الطور وانتم ظالمون باشراككم ثم عفونا عنكم حين تبتم من بعد ذلك من بعد ارتكابكم الامر العظيم واتخاذكم العجل لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا النعمة في العفو عنكم الكتاب والفرقان يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل يعني التورية كقولك رايت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجرأة ونحوه قوله تعالى ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا يعني الكتاب الجامع بين كونه فرقانا وضياء وذكرا او التورية والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات او الشرع

الفارق

واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم

الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفراق البحر وقيل النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله يوم الفرقان يوم التقى الجمعان يريد يوم بدر. حمل قوله فاقتلوا انفسكم على الظاهر وهو البخع وقيل معناه قتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتلوا العبدة وروي ان الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يمكنهم المضي لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها وامروا ان يحتبوا بافنية بيوتهم وياخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم وقيل لهم اصبروا فلعن الله من مد طرفه او حل حبوته او اتقى بيد او رجل فيقولون آمين فقتلوهم الى المساء حتى دعا موسى وهرون وقالا يا رب هلكت بنوا اسرائيل يا رب البقية البقية فكشفت السحابة ونزلت التوبة وسقطت الشفار من ايديهم فكانت القتلى سبعين الفا فان قلت ما الفرق بين الفاءات قلت الاولى للتسبيب لا غير لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم من قبل ان الله تعالى جعل توبتهم قتل انفسهم ويجوز ان يكون القتل تمام توبتهم فيكون معنى فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم والثالثة متعلقة بمحذوف ولا يخلو اما ان ينتظم في قول موسى لهم فيتعلق بشرط محذوف كانه قال فان فعلتم فقد تاب عليكم واما ان يكون خطابا من الله لهم على طريقة الالتفات فيكون التقدير ففعلتم ما امركم به موسى فتاب عليكم بارئكم فان قلت من اين اختص هذا الموضع بذكر البارئ قلت البارئ هو الذي خلق الخلق بريا من التفاوت

واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون

ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ومتميزا بعضه من بعض بالاشكال المختلفة والصور
المتباينة وكان فيه تقريع بما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذي بالغ بلطف
حكمته على الاشكال المختلفة ابو يأمن التفاوت والتنافر الى عبادة البقر التي هي مثل
لهم في الغباوة والبلادة وفي امثال العرب ابلد من ثور حتى عرضوا انفسهم
لسخط الله ونزول امره بان يفك ما ركبه من خلقهم وينثر ما نظم من صورهم واشكالهم
حين لم يشكروا النعمة في ذلك وغمطوها بعبادة من لم يقدر على شي منها قيل القايلون
السبعون الذين صعقوا وقيل قاله عشرة آلاف منهم جهرة عيانا وهي مصدر
من جهر بالقراءة وبالدعا كان الذي يرى بالعين جاهر بالرويه والذي يرى بالقلب
مخافت بها وانتصابها على المصدر لانها نوع من الرويه فنصبت بفعلها كما ينتصب القرفصاء
بفعل الجلوس او على الحال بمعنى ذوي جهرة وقرى جهرة بفتح الها وهي اما مصدر
كالغلبة واما جمع جاهر وفي هذا الكلام دليل على ان موسى عليه السلام راد عليهم القول
وعرفهم ان رويته ما لا يجوز عليه ان يكون في جهة محال وان من استجاز على الله رويته فقد
جعله من جملة الاجسام او الاعراض فرادوه بعد بيان الحجج ووضوح البرهان ولجوا
وكانوا في الكفر كعبدة العجل فسلط الله عليهم الصعقة كما سلط على اوليك القتل تسوية
بين الكفرين ودلالة على عظمهما بعظم المحنة والصاعقة ما صعقهم اي اماتهم قيل نار
وقعت من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء وقيل ارسل الله جنودا
سمعوا بحسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وموسى عليه السلام لم تكن صعقته موتا

ولكن

وظللنا عليكم الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين

ولكن غشية بدليل قوله فلما افاق والظاهر انه اصابهم ما ينظرون اليه لقوله تعالى
وانتم تنظرون وقراء علي رضي الله عنه فاخذتكم الصعقة لعلكم تشكرون
نعمة البعث بعد الموت او نعمة الله بعد ما كفرتموها اذا رايتم باس الله في
رميكم بالصاعقة واذاقتكم الموت وظللنا وجعلنا الغمام يظللكم وذلك في
التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظللهم من الشمس وينزل بالليل
عمود من نار يسيرون في ضوءه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وينزل عليهم المن وهو
الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع ويبعث الله
الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهي السماني ويذبح الرجل منها ما يكفيه على ارادة
القول وما ظلمونا يعني فظلموا بان كفروا هذه النعمة وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه
لدلالة وما ظلمونا عليه القرية البيت المقدس وقيل اريحا من بلد الشام امروا
بدخولها بعد التيه والباب باب القرية وقيل هو باب القبة التي كانوا
يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى امروا بالسجود عند
الانتهاء الى الباب شكرا لله وتواضعا وقيل السجود ان ينحنوا ويتطامنوا داخلين
ليكون دخولهم بخشوع واخبات وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤوسهم
فلم يخفضوها ودخلوا متزحفين على اوراكهم حطة فعلة من الحط كالجلسة و
الركبة وهي خبر مبتدا محذوف اي مسالتنا حطة او امرك حطة والاصل
النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وانما رفعت لتعطي معنى الثبات كقوله

فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون

صبرٌ جميلٌ فعلنا ما سبق والاصل صبرا على اصبر صبرا وقرا ابن ابي عبلة بالنصب على الاصل
وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونستقر فيها فان قلت هل يجوز
ان تنصب حطة في قراءة من نصبها بقولوا على معنى قولوا هذه الكلمة
لا يبعد والاجود ان تنصب باضمار فعلها وينتصب محل ذلك المضمر بقولوا و
قرئ يغفر لكم خطاياكم على البناء للمفعول بالتاء والياء وسنزيد المحسنين اي من
كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا في زيادة ثوابه ومن كان مسيئا كانت له
توبة ومغفرة فبدل الذين ظلموا اي وضعوا مكان حطة قولا غير الذي يعني انهم امروا
بلفظ معناه التوبة والاستغفار الى لفظ ليس معناه معنى ما امروا به ولم يمتثلوا فائدة
امر الله وليس الغرض انهم امروا بلفظ بعينه وهو لفظ الحطة فجاؤا بلفظ آخر لانهم
لو جاؤا بلفظ آخر مستقل بمعنى ما امروا به لم يؤاخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك
ونتوب اليك او اللهم اعف عنا وما اشبه ذلك وقيل قالوا مكان حطة حنطة
وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا اي حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا
عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون من اغراض الدنيا وفي تكرير الذين
ظلموا زيادة في تقبيح امرهم وايذان بان انزال الرجز لظلمهم وقد جاء في سورة
الاعراف فارسلنا عليهم على الاضمار والرجز العذاب وقرئ بضم الراء و
روي انه مات منهم في ساعة واحدة بالطاعون اربعة وعشرون الفا وقيل سبعون الفا
عطشوا في التيه فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر اللام

واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين

اما للعهد والاشارة الى حجر معلوم فقد روي انه حجر طوري حمله معه وكان حجرا مربعا
له اربعة اوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاث اعين لكل سبط عين تسيل في جدول
الى السبط الذي امر ان يسقيهم فكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر
ميلا وقيل اهبطه آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع الى شعيب فدفعه اليه مع العصا
وهو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل اذ رموه بالادرة ففر به فقال له جبريل
يقول الله تعالى ارفع هذا الحجر فان فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته واما للجنس اي
اضرب الشيء الذي يقال له الحجر وعن الحسن لم يامره ان يضرب حجرا بعينه قال وهذا
ابين في الحجة واظهر في القدرة وروي انهم قالوا له كيف بنا لو افضينا الى ارض ليست
فيها حجارة فحمل حجرا في مخلاته فحيث ما نزلوا القاه وقيل كان يضربه بعصاه
فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله
اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان من رخام وكان
ذراعا في ذراع وقيل مثل راس الانسان وقيل كان من آس الجنة طوله عشرة
اذرع على طول موسى وله شعبتان تتقدان في الظلمة وكان يحمل على حمار فانفجرت
الفاء متعلقة بمحذوف اي فضرب فانفجرت او فان ضربت فقد انفجرت
كما ذكرنا في قوله فتاب عليكم وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع الا في كلام بليغ وقرئ عشرة
بكسر الشين وبفتحها وهما لغتان كل اناس كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون
منها كلوا على ارادة القول من رزق الله مما رزقكم الله من الطعام وهو المن والسلوى

وادقلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير

ومن ماء العيون وقيل ينبت من الزروع والثمار وهو ذرخو يوكل منه ويشرب والعثي اشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم لانهم كانوا متمادين فيه كانوا فلاحين

فنزعوا الى عكرهم فاجتووا ما كانوا فيه من النعمة وطلبت انفسهم الشقا على طعام واحد

ارادوا ما رزقوا في التيه من المن والسلوى فان قلت كيف قالوا لن نصبر على طعام واحد

وكان طعامهم المن والسلوى قلت ارادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان

على مائدة الرجل الوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها قيل لا ياكل فلان الا طعاما

واحدا يراد بالواحد نفي التبدل والاختلاف ويجوز ان يريدوا انهما ضرب واحد لانهما

معا من طعام اهل التلذذ والترف ونحن قوم فلاحة اهل زراعات فما نريد الا ما الفناه

وضرينا به من الاشياء المتفاوتة كالبقول والحبوب ونحو ذلك ومعنى يخرج لنا يظهر لنا

ويوجد البقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايب البقول التي ياكلها

الناس كالنعناع والكرفس والكراث واشباه ذلك وقرئ وقثائها بالضم

والفوم الحنطة ومنه فوموا لنا اي اخبزوا له وقيل الثوم ويدل عليه قراءة ابن مسعود

وثومها وهو للعدس والبصل اوفق الذي هو ادنى هو اقرب منزلة وادون

مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار فيقال هو داني المحل وقريب المنزلة

كما يعبر بالبعد عن عكس ذلك فيقال بعيد المحل وبعيد الهمة يريدون الرفعة والعلو

وقرأ زهير الفرقبي ادنأ من الدناءة اهبطوا اي انزلوا مصرا وقرئ

اهبطوا بالضم اي انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط

اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون

منه اذا خرج عنه وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين وهي اثنا عشر فرسخا في

ثمانية فراسخ ويحتمل ان يريد العلم وانما صرفه مع اجتماع السببين فيه وهما التعريف

والتانيث لسكون وسطه كقوله ونوحا ولوطا وفيهما العجمة والتعريف وان

اريد به البلد فما فيه الا سبب واحد وان يريد مصرا من الامصار وفي

مصحف عبد الله وقرأ به الاعمش اهبطوا مصر بغير تنوين كقوله ادخلوا مصر و

قيل هو مصراييم فعرب وضربت عليهم الذلة جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة

عليهم فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه او الصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب

كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه فاليهود صاغرون اذلاء اهل مسكنة ومدقعة

اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة ان تضاعف عليهم الجزية وباءوا بغضب

من الله من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته له ومكافاته

اي صاروا احقاء بغضبه ذلك اشارة الى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والخلاقة

بالغضب اي ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الانبياء وقد قتلت اليهود شعيا وزكريا

ويحيى وغيرهم فان قلت قتل الانبياء لا يكون الا بغير الحق فما فائدة ذكره قلت

معناه انهم قتلوهم بغير الحق عندهم لانهم لم يقتلوا ولا افسدوا في الارض فيقتلوا وانما

نصحوهم ودعوهم الى ما ينفعهم فقتلوهم فلو سئلوا وانصفوا من انفسهم لم يذكروا وجها

يستحقون به القتل عندهم وقرأ علي رضي الله عنه يقتلون بالتشديد ذلك تكرار

للاشارة بما عصوا بسبب ارتكابهم انواع المعاصي واعتدائهم حدود الله في كل شيء مع

ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى والصابيين من آمن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور

كفرهم بايات الله وقتلهم الانبياء وقيل هو اعتداؤهم في السبت ويجوز
ان يشار بذلك الى الكفر وقتل الانبياء على معنى ان ذلك بسبب عصيانهم
واعتدائهم لانهم انهمكوا فيها وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحد
الايات وقتل الانبياء وذلك الكفر والقتل مع ما عصوا ان الذين
امنوا بالسنتهم من غير مواطاة القلوب وهم المنافقون والذين هادوا والذين
تهودوا يقال هاد يهود اذا دخل في اليهودية ويهود والجمع هود والنصارى
وهو جمع نصران يقال رجل نصران وامراة نصرانة قال نصرانة لم تحنف
والياء في نصراني للمبالغة كما في احمري سموا بذلك لانهم نصروا المسيح والصابئين
وهو من صبأ اذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا
الملائكة من امن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل في ملة الاسلام دخولا اصليا
وعمل صالحا فلهم اجرهم الذي يستوجبونه بايمانهم وعملهم فان قلت ما محل من امن
قلت الرفع ان جعلته مبتدأ خبره فلهم اجرهم والنصب ان جعلته بدلا
من اسم ان والمعطوف عليه فخبر ان في الوجه الاول الجملة كما هي وفي الثاني فلهم والفاء
لتضمن من معنى الشرط وقرأ علي رضي الله عنه ويقتلون بالتشديد واذ اخذنا
ميثاقكم بالعمل على ما في التوراة ورفعنا فوقكم الطور حتى قبلتم واعطيتم الميثاق
وذلك ان موسى عليه السلام جاءهم بالالواح فرأوا ما فيها من الاصار والتكاليف
الشاقة فكبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبريل فقلع الطور من اصله ورفعه

فظلله

٧٧

خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين

فظلله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا القي عليكم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول
ما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه واحفظوا ما في الكتاب وادرسوه
ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه لعلكم تتقون رجاء منكم ان تكونوا متقين او قلنا خذوا
واذكروا ارادة ان تتقوا ثم توليتم اعرضتم عن الميثاق والوفاء به فلولا فضل الله
عليكم بتوفيقكم للتوبة لكنتم وقرئ خذوا ما اتيتكم وتذكروا واذكروا والسبت
مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت وان ناسا منهم اعتدوا فيه اي جاوزوا
ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة و[illegible] وتعظيمه واشتغلوا بالصيد وذلك ان الله
ابتلاهم فما كان يبقى حوت في البحر الا اخرج خرطومه يوم السبت فاذا مضى تفرقت
قال الله تعالى تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك
نبلوهم فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان
تدخلها فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم فقلنا لهم كونوا قردة
خاسئين صاغرين اي كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد
فجعلناها يعني المسخة نكالا عبرة تنكل من اعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل
القيد لما بين يديها لما قبلها وما خلفها وما بعدها من الامم والقرون لان مسختهم
ذكرت في كتب الاولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغته من الاخرين او لما بين
بين يديها ما بحضرتها من القرى والامم وقيل نكالا عقوبة منكلة لما بين يديها
لاجل ما تقدمها من ذنوبهم وما تاخر منها وموعظة للمتقين للذين نهوا عن الاعتداء

من صالحي قومهم اولقتل متنقّ شيخها كان في بني اسرائيل شيخ موسر فقتل ابنه
بنو اخيه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاؤا يطالبون بديته وامرهم الله
ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبرهم بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا
اتجعلنا مكان هزؤا ومهزوءا بنا او الهزؤ نفسه لفرط الاستهزاء
من الجاهلين لان الهزؤ في مثل هذا من باب الجهل والسفه وقرئ هزُؤا بالضمتين و
هُزْءا بسكون الزاء نحو كُفؤا وكُفْؤا والعياذ واللياذ من باب واحد في
قراءة عبد الله سل لنا ربك ما هي سوال عن حالها وصفتها وذلك انهم تعجبوا من
بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيا فسالوا عن صفة تلك البقرة العجيبة
الشان الخارجة عما عليه البقر والفارض المسنة وقد فرضت فروضا قال
خفاف بن ندبة لعمري لقد اعطيت ضيفك فارضا تساق اليه ما تقوم على رجل وكانها
سميت فارضا لانها فرضت سنها اي قطعتها وبلغت آخرها والفتية والعوان
النصف قال نواعم بين ابكار وعون وقد عونت فان قلت بين يقتضي
شيئين فصاعدا فمن اين جاز دخوله على ذلك قلت لانه في معنى شيئين حيث
وقع مشارا به الى ما ذكر من الفارض والبكر فان قلت كيف جاز ان يشار به
الى مونثين وانما هو للاشارة الى واحد مذكر قلت جاز ذلك على تاويل ما
ذكر وما تقدم للاختصار في الكلام كما جعلوا فعل نائبا عن افعال جمة تذكر قبله تقول
للرجل نعم ما فعلت وقد ذكر لك افعالا كثيرة وقصة طويلة كما تقول له ما احسن ذلك

وقد تجري الضمير مجرى اسم الاشارة في هذا قال ابو عبيدة قلت في قوله فيها خطوط
من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق ان اردت الخطوط فقل كانها
وان اردت السواد والبلق فقل كانهما فقال اردت كان ذاك ويلك والذي
حسن منه ان اسماء الاشارة تثنيتها وتانيثها وجمعها ليست على الحقيقة وكذلك
الموصولات ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع ما تؤمرون اي ما تؤمرونه بمعنى
تؤمرون به من قوله امرتك الخير او امركم بمعنى مامورکم تسمية للمفعول بالمصدر
كضرب الامير الفقوع اشد ما يكون من الصفرة وانصعه يقال في التوكيد اصفر
فاقع ووارس كما يقال اسود حالك وحانك وابيض يقق ولهق واحمر قانئ
وذريحي واخضر ناضر ومدهام واورق خطباني وارمك رداني
فان قلت فاقع هنا واقع خبرا عن اللون فلم يقع توكيدا للصفراء قلت
لم يقع خبرا عن اللون انما وقع توكيدا لصفراء الا انه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل
واللون من سببها وملتبس بها فلم يكن فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع
لونها فان قلت فهلا قيل صفراء فاقعة واي فائدة في ذكر اللون قلت الفائدة
فيه التوكيد لان اللون اسم للهيئة وهي الصفرة فكانه قيل شديدة الصفرة صفرتها
فهو من قولك جد جده وجنونك مجنون وعن وهب اذا نظرت اليها خيل
اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها والسرور لذة في القلب عند حصول
نفع او توقعه وعن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تعالى تسر

قوله اذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين

وقد كان

قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون

الناظرين وعن الحسن البصري صفراء فاقع لونها سوداء شديدة السواد لعله يستعار من صفة الابل لان سوادها تعلوه صفرة وبه فسر قوله جمالات صفر وقال الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب ما هي مرة ثانية تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زايد ليزدادوا بيانا لوصفها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء شوم وعن بعض الخلفاء انه كتب الى عامله بان يذهب الى قوم فيقطع اشجارهم ويهدم ديارهم فكتب اليه بايهما ابدا فقال ان قلت لك بقطع الشجر سالتني باي نوع منها ابدا وعن عمر بن عبد العزيز اذا امرتك ان تعطي فلانا شاة سالتني اضان ام ماعز فان بينت لك قلت اذكر ام انثى فان اخبرتك قلت سوداء ام بيضاء فاذا امرتك بشيء فلا تراجعني وفي الحديث اعظم الناس جرما من سال عن شيء لم يحرم فحرم لاجل مسالته ان البقر تشابه علينا اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا ايها نذبح وقرئ تشابه بمعنى تتشابه بطرح التاء وبادغامها في الشين وتشابهت ومتشابهة ومتشابه وقرا محمد ذو الشامة ان الباقر يشابه بالياء والتشديد جاء في الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد اي لو لم يقولوا ان شاء الله والمعنى انا لمهتدون الى البقرة المراد ذبحها او الى ما خفي علينا من امر القاتل لا ذلول صفة لبقرة

قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون

بقرة غير ذلول يعني لم تذلل للكراب واثارة الارض ولا هي من النواضح التي يسنى عليها لسقي الحروث ولا الاولى للنفي والثانية مزيدة لتوكيد الاولى لان المعنى لا ذلول تثير الارض وتسقي على ان الفعلين صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرا ابو عبد الرحمن السلمي لا ذلول بمعنى لا ذلول هناك اي حيث هي وهو نفي لذلها ولان توصف به فيقال هي ذلول ونحوه قولك مررت بقوم لا بخيل ولا جبان اي فيهم او حيثهم وقرئ تسقي بضم التاء من اسقى مسلمة سلمها الله تعالى من العيوب او معفاة من العمل سلمها اهلها منه ومنه قوله او معبر الظهر ينبي عن وليته ما حج ربه في الدنيا ولا اعتمرا او مخلصة اللون من سلم له كذا اذا خلص له لم يشب صفرتها شيء من الالوان لا شية فيها لا لمعة في نقبتها من لون اخر سوى الصفرة فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا اخر ومنه ثور موشي القوايم الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وما بقي اشكال في امرها فذبحوها اي فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها فذبحوها وقوله وما كادوا يفعلون استثقال لاستقصائهم واستبطاء لهم وانهم

لتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم ما كادوا يذبحونها وما كادت
سؤالاتهم تنتهي وما كاد ينقطع خيط إسهابهم فيها وتعمقهم وقيل
وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة لظهور القاتل
وروي أنه كان في بني إسرائيل شيخ صالح له عجلة فأتى بها الغيضة
وقال اللهم إني استودعتكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت
وكانت من أحسن البقر وأسمنه فساوموها اليتيم وأمه حتى اشتروها
بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة إذ ذاك بثلاثة دنانير وكانوا طلبوا
البقرة الموصوفة أربعين سنة فإن قلت كانت البقرة التي تناولها
الأمر بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بلون
وصفات فذبحوا المخصوصة فما فعل الأمر الأول قلت رجع
منسوخا لانتقال الحكم إلى البقرة المخصوصة والنسخ قبل الفعل
جائز على أن الخطاب كان لإبهامه متناولا لهذه البقرة الموصوفة
كما تناول غيرها ولو وقع الذبح عليها بحكم الخطاب قبل التخصيص كان
امتثالا له وكذلك إذا وقع عليها بعد التخصيص وإذ قتلتم نفسا خوطبت
الجماعة لوجود القتل فيهم فادارأتم فاختلفتم واختصمتم في شأنها
لأن المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا أي يدفعه ويزاحمه أو تدافعتم
بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فدفع المطروح عليه الطارح أو لأن

الطرح في نفسه دفع أو دفع بعضكم بعضا عن البراءة والتهمة والله مخرج
ما كنتم تكتمون مظهر لا محالة ما كتمتم من أمر القتل لا يتركه مكتوما
فإن قلت كيف أعمل مخرج وهو في معنى المضي قلت
قد حكي ما كان مستقبلا في وقت التدارؤ كما حكي الحاضر
في قوله باسط ذراعيه وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف
عليه وهما ادارأتم فقلنا والضمير في اضربوه إما أن يرجع إلى النفس
والتذكير على تأويل الشخص والإنسان وإما إلى القتيل لما دل عليه
من قوله ما كنتم تكتمون ببعضها ببعض البقرة واختلف في البعض
الذي ضرب به فقيل لسانها وقيل فخذها اليمنى وقيل عجبها وقيل
العظم الذي يلي الغضروف وهو أصل الأذن وقيل الأذن
وقيل البضعة بين الكتفين والمعنى فضربوه فحيي فحذف ذلك
لدلالة كذلك يحيي الله الموتى وروي أنه لما ضربوه قام بإذن
الله وأوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه
ثم سقط ميتا فأخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك وكذلك
يحيي الله الموتى إما أن يكون خطابا للذين حضروا حياة القتيل
بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة ويريكم آياته
ودلائله على أنه قادر على كل شيء لعلكم تعقلون تعملون

علي قضية عقو لكم وانّ من قدر علي احيا نفس واحدة قدر علي احياء الانفس كلها لعدم الاختصاص حتي لا تنكروا البعث واما ان يكون خطابا للمنكرين في زمن رسول الله صلي الله عليه وسلم

فان قلت هلا احياه ابتداء ولم شرط في احيائه ذبح البقرة وضربه ببعضها قلت في الاسباب والشروط حكم وفوايد وانما شرط ذلك لما في ذبح البقرة من التقرب واداء التكليف واكتساب الثواب والاشعار بحسن تقديم القربة علي الطلب وما في التشديد عليهم لتشديدهم من اللطف لهم والاخرين في ترك التشديد والمسارعة في امتثال اوامر الله تعالي وارتسامها علي الفور من غير تفتيش وتكثير سوال ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة علي بركة البر بالوالدين والشفقة علي الاولاد وتجهيل الهازئ بما لا يعلم كنهه ولا يطلع علي حقيقته من كلام الحكماء وبيان ان من حق المتقرب الي ربه ان يتنوق في اختيار ما يتقرب به وان يختار فتي السن غير قحم ولا ضرع حسن اللون بريا من العيوب يونق من ان ينظر اليه وان يغالي بثمنه كما يروي عن عمر رضي الله عنه انه ضحي بنجيبة بثلاث مائة دينار وان الزيادة في الخطاب نسخ له وان النسخ قبل الفعل جايز وان لم يجز قبل وقت الفعل

وامكانه لادائه الي البداء وليعلم بما امرون مس الميت وحصول الحياة عقيبه ان المؤثر هو المسبب لا السبب لان الموتين الحاصلين في الجسمين لا يعقل ان يتولد منهما حياة فان قلت فما للقصة لا تقص علي ترتيبها وكان حقها ان يتقدم ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة علي الامر بذبحها وان يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها قلت كلما قص من قصص بني اسرائيل انما قص تعديدا لما وجد منهم من الجنايات وتقريعا لهم عليها ولما جدد فيهم من الآيات العظام وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين فالاولي لتقريعهم علي الاستهزاء وترك المسارعة الي الامتثال وما يتبع ذلك والثانية للتقريع علي قتل النفس المحرمة وما تبعه من الآية العظيمة وانما قدمت قصة الامر بالذبح للبقرة علي ذكر القتيل لانه لو عمل علي عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض في تثنية التقريع ولقد رعيت نكتة بعدما استونفت الثانية استيناف قصة برأسها ان وصلت بالاولي دلالة علي اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله اضربوه ببعضها حتي يتبين انهما قصتان فيما يرجع الي التقريع وتثنيته باخراج الثانية مخرج الاستيناف

ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون

مع تأخرها وانها قصة واحدة بالضمير الراجع الى البقرة معنى
ثم قست استبعاد القسوة والغلظ مثل ليبس عن الاعتبار وان المواعظ
لا تؤثر فيها وذلك اشارة الى احياء القتيل او الى جميع ما تقدم من الايات
المعدودة فهي كالحجارة فهي في قسوتها مثل الحجارة او اشد قسوة
منها او اشد معطوف على الكاف اما على معنى او مثل اشد قسوة
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الاعمش
بنصب الدال عطفا على الحجارة واما على معنى او هي في انفسها اشد
قسوة والمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بجوهر اقسى منها
وهو الحديد مثلا او من عرف شبهها بالحجارة وقال هي اقسى من
الحجارة فان قلت لم قيل اشد قسوة وفعل القسوة
مما يخرج منه افعل التفضيل وفعل التعجب قلت لكونه ابين
وادل على فرط القسوة ووجه آخر وهو ان لا يقصد معنى
الاقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة كأنه قيل اشتدت
قسوة الحجارة وقلوبهم اشد قسوة وقرئ قساوة وترك ضمير
المفضل عليه لعدم الالتباس كقولك زيد كريم وعمرو اكرم وقوله تعالى
وان من الحجارة بيان لتفضيل قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة
وتقرير لقوله او اشد قسوة وقرئ وان بالتخفيف وهي ان

افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض

المخففة من الثقيلة التي يلزمها اللام الفارقة ومنه قوله تعالى
وان كل لما جميع والتفجر التفتح بالسعة والكثرة وقرأ مالك بن
دينار ينفجر ويشقق يتشقق وبه قرأ الاعمش والمعنى ان من الحجارة
ما يتشقق انشقاقا بالطول او بالعرض فينبع منه الماء ايضا يهبط يتردى
من اعلى الجبل وقرئ بضم الباء والخشية مجاز عن انقيادها لامر الله
وانها لا تمتنع على ما يريد فيها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل
ما امرت به وقرئ تعملون بالتاء والياء وهو وعيد افتطمعون
الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان يؤمنوا لكم
ان يحدثوا لكم الايمان لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله فآمن له
لوط يعني اليهود وقد كان فريق منهم طايفة منهم
يسمعون كلام الله وهو ما يتلونه من التوراة ثم يحرفونه
كما حرفوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وقيل
كان قوم من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى
بالطور وما امر به ونهى عنه ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره
ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم
ان لا تفعلوا فلا بأس وقرئ كلم الله من بعد ما عقلوه اي من
بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم ولم يبق لهم شبهة في صحته

قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم افلا تعقلون اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني

وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون والمعنى ان كفر هؤلاء وحرّفوا
فلهم سابقة في ذلك واذا لقوا يعني اليهود قالوا قال منافقوهم
آمنّا بانكم على الحق وان محمدا هو الرسول المبشر به واذا خلا بعضهم
الذين لم ينافقوا الى بعض الذين نافقوا عاتبين عليهم اتحدثونهم
بما فتح الله عليكم بما بيّن الله لكم في التوراة من صفة محمد او قال
المنافقون لاعقابهم يرونهم التصلب في دينهم اتحدثونهم انكارا
عليهم ان يفتحوا عليهم شيئا في كتابهم فينافقون المؤمنين وينافقون
اليهود ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه
جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هكذا محاجة عند الله الا
تراك تقول هو في كتاب الله هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد
يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم
الايمان ومنهم اميون لا يحسنون الكتب فيطالعوا التوراة
ويتحققوا ما فيها لا يعلمون الكتاب التوراة الا اماني الا
ما هم عليه من امانيهم وان الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم
بخطاياهم وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم وما يمنيهم احبارهم
من ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة وقيل الاكاذيب
مختلقة سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد وقال اعرابي

وان هم الا يظنون فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون

وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ام تقولون على الله ما لا تعلمون بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته

لابن دأب في شيء حدث به اهذا شيء رويته ام تمنيته اي
اختلقته وقيل الا ما يقرؤون من قوله تمنى كتاب الله اول ليلة و
الاشتقاق من منّى اذا قدّر لان المتمني يقدّر في نفسه و
يحزر ما يتمناه وكذلك المختلق والقارئ يقدّر ان كلمة كذا بكذا والا
اماني من الاستثناء المنقطع وقرئ اماني بالتخفيف ذكر العلماء الذين
عاندوا بالتحريف مع العلم والاستيقان ثم العوام الذين قلدوهم
ونبّه على انهم في الضلال سواء لان العالم عليه ان يعمل بعلمه
وعلى العامي ان لا يرضى بالتقليد والظن وهو متمكن من العلم
يكتبون الكتاب المحرف بايديهم تاكيد وهو من مجاز التاكيد كما تقول
لمن ينكر معرفة ما كتبه يا هذا كتبته بيمينك هذه مما يكسبون من
الرشى اياما معدودة اربعين يوما عدد ايام عبادة العجل وعن
مجاهد كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما
نعذب مكان كل الف سنة يوما فلن يخلف الله متعلق بمحذوف
تقديره ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وام اما
ان تكون معادلة بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير
لان العلم واقع بكون احدهما ويجوز ان يكون منقطعة بلى
اثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا النار اي بلى تمسكم

فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا

وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا واقيموا الصلوة واتوا الزكوة ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم

ابدا بدليل قوله هم فيها خالدون ومن كسب سيئة من السيات يعني
لينه من الكباير واحاطت به خطيئته تلك واستولت عليه كما يحيط العدو
ولم ينفصل عنها بالتوبة وقرئ خطاياه وخطياته وقيل في الاحاطة
كان ذنبه اغلب من طاعته وسال رجل الحسن فقال سبحان الله الا
اراك ذا لحية وما تدري ما الخطيئة انظر في المصحف فكل
اية نهى فيها الله عنها واخبرك انه من عملها ادخله النار وهي الخطيئة
المحيطة لا تعبدون اخبار بمعنى النهي كما تقول تذهب الى فلان تقول له كذا
تريد الامر وهو ابلغ من صريح الامر والنهي لانه كانه سورع الى الا
متثال والانتهاء فهو يخبر عنه وتنصره قراءة عبد الله وابي لا تعبدوا
ولا بد من ارادة القول ويدل عليه ايضا قوله وقولوا وقوله وبالوالدين
احسانا اما ان يقدر وتحسنون بالوالدين او احسنوا وقيل هو جواب
قوله اخذنا ميثاق بني اسرائيل اجراء له مجرى القسم كانه قيل
واذ اقسمنا عليهم لا تعبدون وقيل معناه ان لا تعبدوا فلما حذفت ان
رفع كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويدل عليه قراءة عبد الله
ان لا تعبدوا ويحتمل ان لا تعبدوا ان تكون ان فيه مفسرة وان
تكون ان مع الفعل بدلا عن الميثاق وكانه قيل اخذنا ميثاق
بني اسرائيل توحيدهم وقرئ بالتاء حكاية لما خوطبوا به وبالياء

ولا تخرجون انفسكم من دياركم ثم اقررتم وانتم تشهدون ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان ياتوكم اسارى تفادوهم

وان ياتوكم اسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي

لانه غيب حسنا قولا هو حسن في نفسه لافراط حسنه وقرئ حسنا
وحسنى على المصدر كبشرى ثم توليتم على طريقة الالتفات اي
توليتم عن الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم قيل هم الذين اسلموا منهم
وانتم معرضون وانتم قوم عادتكم الاعراض عن المواثيق والتولية لا
تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم لا يفعل ذلك بعضكم ببعض
جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا ودينا وقيل اذا قتل غيره
فكانما قتل لانه يقتص منه ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم على انفسكم بلزومه
وانتم تشهدون عليها كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها
وقيل وانتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على اقرار اسلافكم بهذا
الميثاق ثم انتم هؤلاء استبعاد لما اسند اليهم من القتل والاجلاء
والعدوان بعد اخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم والمعنى ثم
انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون يعني انكم قوم اخرون غير اولئك
المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول رجعت بغير
الوجه الذي خرجت به وقوله تقتلون بيان لقوله ثم انتم هؤلاء
وقيل هؤلاء موصول بمعنى الذين وقرئ تظاهرون بحذف التاء و
ادغامها وتتظاهرون باثباتها وتظهرون بمعنى تتظهرون اي
تتعاونون عليهم وقرئ تفدوهم وتفادوهم واسرى واسارى وهو

في الحيوة الدنيا ويوم القيامة يُرَدُّون الى اشدّ العذاب وما الله بغافل عما تعملون

اعلم ان اطلاقه على جبريل و الانجيل و الاسم الاعظم مجاز لان الروح بتردد في مجاري الانسان ومنشاء الحياة ومن الملائكة بعثت كذلك وهو شبه وكما ان الروح سبب حيوة الشخص مجرد سبب حيوة القلب بالعلوم والاخير سبب ظهور الشرايع وحلولها والاسم الاعظم يتوسل به الى الاغراض الا ان مشابهته صرف اسم قام مخلوق نوراني وهذا التسمية فيها اظهر من تخصيص السعد الكبير

ضمير الشان ويجوز ان يكون مبهما تفسيره اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب

اي بالفداء والاجلاء وذلك ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء

الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه واذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم

واذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى تفدوه فعيرتهم العرب وقالت

كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم

ولكنا نستحيي ان نذل حلفاءنا والخزي قتل بني قريظة واسرهم

واجلاء بني النضير وقيل الجزية وانما رد من فعل منهم ذلك الى اشد

العذاب لان عصيانه اشد وقرئ تردون وتعملون بالياء والتاء

فلا يخفف عنهم عذاب الدنيا بنقصان الجزية ولا ينصرهم احد بالدفع

عنهم وكذلك عذاب الآخرة الكتاب التوراة آتاه اياها جملة واحدة ويقال

قفاه اذا اتبعه من القفاء نحو ذنبه من الذنب وقفاه به اتبعه اياه يعني

فارسلنا على اثره الكثير من الرسل كقوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترى

وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير

وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وقيل

عيسى بالسريانية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل المريم بالعربية من النساء

كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة بن العجاج قلت لزير لم تصله

مريمه ووزن مريم عند النحويين مفعل لان فعيلا بفتح الفاء لم يثبت

أي تزوم الرجال

وايدنا. بروح القدس افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وقالوا قلوبنا غلف

في الابنية كما يثبت نحو عثير وعليب البينات المعجزات الواضحة والحجج كاحياء

الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات وايدناه قويناه وقرئ

وآيدناه ومنه آجده بالجيم اذا قواه يقال الحمد لله الذي آجدني بعد

ضعف واوجدني بعد فقر بروح القدس بالروح المقدسة كما يقول

حاتم الجود ورجل صدق وصفها بالقدس كما قال وروح منه فوصفه بالا

ختصاص والتقريب للكرامة وقيل لانه لم يضمه الاصلاب والارحام

الطوامث وقيل بجبرئيل وقيل بالانجيل كما قال تعالى في القران وروحا

من امرنا وقيل باسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره و

المعنى ولقد آتينا يا بني اسرائيل انبياءكم ما آتيناهم وكلما جاءكم رسول منهم

بالحق استكبرتم عن الايمان به فوسط بين الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ

والتعجيب من شانهم ويجوز ان يريد ولقد آتيناهم ما آتيناهم ففعلتم ما فعلتم

ثم وبخهم على ذلك ودخول الفاء لعطفه على المقدر فان قلت

هلا قيل وفريقا قتلتم قلت هو على وجهين ان يراد الحال الماضية

لان الامر فظيع فاريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب

وان يراد وفريقا تقتلونهم بعد لانكم درتم حول قتل محمد لولا اني

اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقال عليه السلام

عند موته ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري غلف

بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا

جمع اغلف اي هي خلقة وجبلة مغشاة باغطية لا يتوصل اليها ما جاء به
محمد ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن كقولهم قلوبنا في اكنة مما
تدعونا اليه ثم رد الله ان يكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة
والتمكن من قبول الحق بل لعنهم الله ابعدهم واخذلهم بسبب كفرهم فهم
الذين غلفوا قلوبهم بما احدثوا من الكفر الزائغ عن الفطرة وتسببوا بذلك
لمنع الالطاف التي تكون للمتوقع ايمانهم وللمؤمنين فقليلا ما يؤمنون فايمانا
قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب ويجوز ان يكون القلة
بمعنى العدم وقيل غلف تخفيف غلف جمع غلاف اي قلوبنا اوعية للعلم فنحن
مستغنون بما عندنا عن غيره وروي عن ابي عمرو قلوبنا غلف بضمتين كتاب من
عند الله هو القرآن مصدق لما معهم من كتابهم لا يخالفه وقرئ مصدقا
على الحال فان قلت كيف جاز نصبها عن النكرة قلت
اذا وصف النكرة تخصص فصح انتصاب الحال عنه وقد وصف كتاب
بقوله من عند الله وجواب لما محذوف وهو نحو كذبوا به واستهانوا
بمجيئه وما اشبه ذلك يستفتحون على الذين كفروا يستنصرون على
المشركين اذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان
الذي نجد نعته وصفته في التوراة ويقولون لاعدائهم من المشركين
قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم

فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين

وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم قد قرب
اوانه والسين للمبالغة اي يسألون انفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب
واستسخر ويسأل بعضهم بعضا ان يفتح عليهم فلما جاءهم ما عرفوا من الحق
كفروا به بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة على الكافرين اي عليهم وضعا
للظاهر موضع المضمر للدلالة على ان اللعنة لحقتهم لكفرهم واللام للعهد
ويجوز ان تكون للجنس ويدخلون فيه دخولا اوليا ما نكرة منصوبة مفسرة
لفاعل بئس بمعنى بئس شيئا اشتروا به انفسهم والمخصوص بالذم ان
يكفروا واشتروا بمعنى باعوا بغيا حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة اشتروا
ان ينزل لان ينزل او على ان ينزل اي حسدوه على ان ينزل الله من فضله
الذي هو الوحي على من يشاء وتقتضي حكمته ارساله فباؤوا بغضب على
غضب اي صاروا احقاء بغضب مترادف لانهم كفروا بنبي الحق و
بغوا عليه وقيل كفروا بمحمد بعد عيسى وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم
يد الله مغلولة وغير ذلك من انواع كفرهم بما انزل الله مطلق فيما انزل
الله من كل كتاب قالوا نؤمن بما انزل علينا مقيد بالتوراة ويكفرون
بما وراءه اي قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراء التوراة وهو الحق
مصدقا لما معهم منها غير مخالف له وفيه رد لمقالتهم لانهم اذا كفروا بما يوافق
التوراة فقد كفروا بها ثم اعترض عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان

ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين

بالتوراة والتوراة لا تسوغ قتل الانبياء وانتم ظالمون يجوز ان يكون حالا اي عبدتم العجل وانتم واضعوا العبادة غير موضعها وان يكون اعتراضا بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم وكرر رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الاولى مع ما فيه من التوكيد واسمعوا ما امرتم به من التوراة قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك فان قلت فكيف طابق قوله وجوابهم قلت طابقه من حيث انه قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة واشربوا في قلوبهم العجل اي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون في بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم بئس ما يأمركم به ايمانكم بالتوراة لانه ليس في التوراة عبادة العجل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم كما قال قوم شعيب اصلواتك تأمرك وكذلك اضافة الايمان اليهم قوله ان كنتم مؤمنين تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة دعواهم له خالصة نصب على الحال من الدار الآخرة والمراد الجنة اي سالمة لكم خاصة بكم ليس لاحد فيها حق سواكم يعني ان صح قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى من دون الناس قيل للعهد وهم المسلمون فتمنوا الموت لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاق

ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين ولتجدنهم احرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة

اليها وتمنى سرعة الوصول الى النعيم والتخلص من الدار ذات الشوائب كما روي عن المبشرين بالجنة ما روي عن علي رضي الله عنه انه كان يطوف بين الصفين في غلالة فقال له ابنه الحسن ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي ابوك على الموت سقط ام سقط عليه الموت وعن حذيفة انه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم يعني على التمني وقال عمار بصفين الآن الاقي الاحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة يحب الموت ويحن اليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي بما قدمت ايديهم بما اسلفوا من موجبات النار من الكفر بمحمد وما جاء به وتحريف كتاب الله اخبار بالغيب وكان كما اخبر به كقوله ولن تفعلوا فان قلت ما ادراك انهم لن يتمنوا قلت لانهم لو تمنوا لنقل الينا ذلك كما نقل سائر الحوادث وكان ناقلوه من اهل الكتاب وغيرهم من اولي المطاعن في الاسلام اكثر من الذر وليس منهم احد نقل ذلك فان قلت التمني من اعمال القلوب وهو سر لا يطلع عليه احد فمن اين علمت انهم لم يتمنوا قلت ليس التمني من اعمال القلوب انما هو قول الانسان بلسانه ليت لي كذا اذا قاله قالوا تمنى وليت كلمة التمني

وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمّر والله بصير بما يعملون قل من كان عدوًّا لجبريل فإنه نزّله على قلبك بإذن الله

ومحالٌ أن يقع التحدّي بما في الضماير والقلوب ولو كان التمني بالقلوب وتمنّوا لقالوا تمنّينا الموت في قلوبنا فلم ينقل أنهم قالوا ذلك فإن قلت لِمَ لم يقولوه لأنهم علموا أنهم لا يصدَّقون قلت كم حُكي عنهم من أشياء قاولوا المسلمين من الافتراء على الله وتحريف كتابه وغير ذلك مما علموا أنهم غير مصدَّقين فيه وما محمل له إلا الكذب البحت ولم يبالوا فكيف يمتنعون من أن يقولوا إنّ التمني من أفعال القلوب وقد فعلناه مع احتمال أن يكونوا صادقين في قولهم وإخبارهم عن ضمايرهم وكان الرجل يخبر عن نفسه بالإيمان فيُصدَّق مع احتمال أن يكون كاذبًا لأنه أمر خافٍ لا سبيل إلى الاطلاع عليه والله عليم بالظالمين تهديد لهم ولتجدنهم هو من وجد بمعنى علم المتعدي إلى مفعولين في قولهم وجدت زيدًا ذا الحفاظ ومفعولاه هم أحرص فإن قلت لِمَ قال على حياة بالتنكير قلت لأنه أراد حياة مخصوصة وهي الحياة المتطاولة ولذلك كانت القراءة بها أوقع من قراءة أبيّ على الحياة ومن الذين أشركوا محمول على المعنى لأن معنى أحرص الناس أحرص من الناس فإن قلت ألم يدخل الذين أشركوا تحت الناس قلت بلى ولكنهم أفردوا بالذكر لأن حرصهم شديد ويجوز أن يراد وأحرص من الذين أشركوا فحُذف لدلالة أحرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لأن الذين

أشركوا لا يؤمنون بعاقبة ولا يعرفون إلا الحياة الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لأنها جنّتهم فإذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقرّ بالجزاء كان حقيقًا بأعظم التوبيخ فإن قلت لِمَ زاد حرصهم على حرص المشركين قلت لأنهم علموا لعلمهم بحالهم أنهم صايرون إلى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك وقيل أراد بالذين أشركوا المجوس لأنهم كانوا يقولون لملوكهم عش ألف نيروز وألف مهرجان وعن ابن عباس هو قول الأعاجم زي هزار سال وقيل ومن الذين أشركوا كلام مبتدأ أي ومنهم ناس يودّ أحدهم على حذف الموصوف كقوله وما منا إلا له مقام معلوم والذين أشركوا على هذا مشار به إلى اليهود لأنهم قالوا عزير ابن الله والضمير في وما هو لأحدهم وأن يعمّر فاعل بمزحزحه أي وما أحدهم بمن يزحزحه من النار تعميره وقيل الضمير لما دلّ عليه يعمّر من مصدره وأن يعمّر بدل منه ويجوز أن يكون هو مبهمًا وأن يعمّر موضحه والزحزحة التبعيد والإنجاء فإن قلت يودّ أحدهم ما موقعه قلت هو بيان لزيادة حرصهم على طريقة الاستيناف فإن قلت كيف اتصل لو يعمّر بيودّ أحدهم قلت هو حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وكان القياس لو أعمّر إلا أنه جرى على لفظ الغيبة لقوله يودّ أحدهم كقولك حلف بالله ليفعلنّ ويحتمل

اشركوا لا يؤمنون بعاقبة وما يعرفون الا الحيوة الدنيا فحرصهم عليها
لا يستبعد لانها جنتهم فاذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر
بالجزاء كان حقيقا باعظم التوبيخ فان قلت لم زاد حرصهم على حرص
المشركين قلت لانهم علموا لعلمهم بحالهم انهم صائرون الى
النار لا محاله والمشركون لا يعلمون ذلك وقيل اراد بالذين اشركوا
المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم عش الف نيروز والف مهرجان
وعن ابن عباس هو قول الاعاجم زي هزار سال وقيل ومن
الذين اشركوا كلام مبتدأ اي ومنهم ناس يود احدهم على حذف
الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم والذين اشركوا على هذا
مشار به الى اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله والضمير في وما هو
وان يعمر فاعل بمزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه من النار
تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر مصدره وان يعمر بدل منه ويجوز
ان يكون مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة التبعيد والانجاء فان قلت
يود احدهم ما موقعه قلت هو بيان لزيادة حرصهم على طريق
الاستيناف فان قلت كيف اتصل لو يود احدهم قلت
هي حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وكان القياس لو اعمر
الا انه جرى على لفظ الغيبة كقوله يود احدهم كقولك حلف بالله

لو يعمر

مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين

عبد الله بن صوريا من احبار فدك حاج رسول الله وسأله عمن يهبط
عليه بالوحي فقال جبريل فقال ذاك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك
وقد عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه
بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل
وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه وان لم يكن اياه
فعلى اي حق تقتلونه وقيل امره الله ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا
وروي انه كان لعمر رضي الله عنه ارض باعلى المدينة وكان ممره على مدراس اليهود
فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك وانا لنطمع فيك
فقال والله ما اجيئكم لحبكم ولا اسأل لكم لاني شاك في ديني وانما ادخل
عليكم لازداد بصيرة في امر محمد وارى اثاره في كتابكم ثم سالهم عن جبريل
فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب كل خسف و
عذاب وان ميكائيل يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما من الله
قالوا اقرب منزلة جبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله وميكائيل عدو
لجبريل فقال عمر لئن كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم اكفر من
الحمير ومن كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما
كان عدوا لله ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر رضي الله عنه

ليفعلن روى ان عبد الله بن صوريا من احبار فدك حاج رسول الله
صلعم وساله عمن يهبط عليه بالوحي فقال جبريل فقال ذاك عدونا
ولو كان غيره لامنا بك وقد عادانا مرارا واشدها انه انزل على
نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من نقتله فلقيه
ببابل غلاما مسكينا فرفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم
فانه لا يسلطكم عليه وان لم يكن اياه فعلى اي حق تقتلونه وقيل امره
الله ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروي انه كان لعمر رضي
باعلى المدينة وكان ممره على مدراس اليهود وكان يجلس اليهم ويسمع
كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك وانا لنطمع فيك فقال والله ما اجيئكم
لحبكم ولا اسالكم لاني شاك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة
في امر محمد واري آثاره في كتابكم ثم سالهم عن جبريل فقالوا ذاك
عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وان
ميكائيل يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما من الله قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر لئن كانا كما
تقولون فما هما بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا
لاحدهما كان عدوا للاخر ومن كان عدوا لهما كان عدو الله ثم رجع
عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال النبي صلعم لقد وافقك
ربك يا عمر فقال عمر لقد رايتني في دين الله بعد ذلك اصلب

من الحجر وقرئ جبريل بوزن جبراعيل وجبرائيل بوزن جبراعل
ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله الضمير في نزله
للقرآن ونحو هذا الاضمار اعني اضمار ما لم يسبق ذكره فيه فخامة لشان
صاحبه حيث يجعل لفرط شهرته كانه يدل على نفسه ويكتفى عن اسمه
الصريح بذكر شيء من صفاته على قلبك اي حفظك وفهمك باذن الله
بتيسيره وتسهيله فان قلت كان حق الكلام ان يقال على قلبي قلت
جاءت على حكاية كلام الله كما تكلم كانه قيل قل ما تكلمت به من قولي من
كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك فان قلت كيف استقام قوله
فانه جزاء للشرط قلت فيه وجهان احدهما ان عادى جبريل احد
من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب
بين يديه فلو انصفوا لاحبوه وشكروا له صنيعه في انزاله ما ينفعهم
ويصحح المنزل والثاني ان عاداه احد فالسبب في عداوته انه
نزل عليك القرآن مصدقا لكتابهم وموافقا له وهم كارهون للقرآن
ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته له كقولك
ان عاداك فلان فقد آذيته واسات اليه افرد الملكان بالذكر لفضلهما
كانهما من جنس آخر وهو مما ذكر ان التغاير في الوصف ينزل منزلة
التغاير في الذات وقرئ ميكال بوزن قنطار وميكائيل لميكاعيل

ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل اكثرهم لا يؤمنون

وميكائيل كميكاعل وميكئل كميكعل وميكئيل كميكعيل قال ابن جني
العرب اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه عدو للكافرين اراد عدو لهم
فجاء بالظاهر ليدل على ان الله انما عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة
كفر واذا كانت عداوة الانبياء كفرا فما بال الملائكة وهم اشرف و
المعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه اشد العقاب الا الفاسقون
الا المتمردون من الكفرة وعن الحسن اذا استعمل الفسق في نوع
من المعاصي وقع على اعظم ذلك النوع من كفر وغيره وعن ابن عباس
رضي قال ابن صوريا لرسول الله صلعم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل
عليك من آية فنتبعك لها فنزلت واللام في الفاسقون للجنس والاحسن
ان يكون اشارة الى اهل الكتاب اوكلما الواو للعطف على محذوف معناه
اكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا وقرأ ابو السمال بسكون
الواو على ان الفاسقون بمعنى الذين فسقوا فكانه قيل وما يكفر بها
الا الذين فسقوا او نقضوا عهد الله مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا
وعهدوا واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود وكم
اخذ الله الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا وكم عاهدهم رسول
الله صلعم فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في
كل مرة والنبذ الرمي بالذمام ورفضه وقرئ عبد الله نقضه

ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان

فريق منهم وقال فريق لان منهم من لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون
بالتورية وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق
ذنبا ولا يبالون به كتاب الله يعني التوراة لانهم بكفرهم برسول الله
صلعم المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها وقيل كتاب الله القرآن
نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول كانهم لا يعلمون انه كتاب الله
لا يداخلهم فيه شك يعني ان علمهم بذلك رصين ولكنهم كابروا وعاندوا
ونبذوه وراء ظهورهم مثل لتركهم واعراضهم عنه مثل ما يرمى به وراء
الظهر استغناء عنه وقلة التفات اليه وعن الشعبي هو بين ايديهم
يقرؤونه ولكن نبذوا العمل وعن سفيان ادرجوه في الديباج والحرير
وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه واتبعوا اي
نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين يعني كتب السحر
والشعوذة التي كانت تقرؤها على ملك سليمان اي على عهد
ملكه وفي زمانه وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم
يضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وقد
دونوها في كتب يقرؤونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمن
سليمان حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم
سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وبه سخر الانس والجن

وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت
وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة
فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به
بين المرء وزوجه

والريح التي تجري بامره وما كفر سليمان تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر والعمل به وسماه كفرا ولكن الشياطين هم الذين كفروا باستعمال السحر وتدوينه ويعلمون الناس السحر يقصدون به اغوائهم واضلالهم وما انزل على الملكين عطف على السحر اي ويعلمونهم ما انزل على الملكين وقيل عطف على ما تتلوا اي واتبعوا ما انزل هاروت وماروت بيان للملكين علمان لهما والذي انزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله للناس من تعلمه وعمل به كان كافرا ومن تجنبه وتعلمه لئلا يعمل به ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر به كان مومنا عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه كما ابتلى قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني وقرا الحسن على الملكين بكسر اللام على ان المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل وما يعلم الملكان احدا حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة اي ابتلاء واختبار من الله فلا تكفر فلا تتعلم معتقدا انه حق فتكفر فيتعلمون الضمير لما دل عليه واحد اي فيتعلم الناس من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين من حيلة وتمويه كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك والنشوز والخلاف ابتلاء منه لان السحر اثر في

نفسه بدليل قوله وما هم بضارين من احد الا باذن الله لانه ربما احدث الله عنده فعلا من افعاله وربما لم يحدث ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم يقصدون به الشر وفيه ان اجتنابه اصلح كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن ان تجر الى الغواية ولقد علموا هولاء اليهود ان من اشتراه اي استبدل ما تتلوا الشياطين على كتاب الله ماله في الآخرة من خلاق من نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم اي ما باعوها وقرا الحسن الشياطون وعن بعض العرب بستان فلان حوله بساتون وقد ذكر وجهه فيما بعد وقرا الزهري هاروت وماروت بالرفع على هما هاروت وماروت وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف ولو كانا من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا وقرا طلحة وما يعلمان من اعلم وقرى بين المرء بضم الميم وكسرها مع الهمزة والمر بالتشديد على تقدير التخفيف والوقف كقولهم فرج واجراء الوصل مجرى الوقف وقرا الاعمش وما هم بضاري بطرح النون والاضافة الى احد والفصل بينهما بالظرف فان قلت كيف يضاف الى احد وهو مجرور بمن قلت جعل الجار جزءا من المجرور فان قلت كيف اثبت لهم العلم اولا في قوله ولقد علموا لمن اشتراه على سبيل التوكيد

وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به
انفسهم لو كانوا يعلمون

ولو انهم امنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا

العتيق ثم نفاه عنهم بقوله لو كانوا يعلمون معناه لو كان يعلمون
بعلمهم جعلهم حين لم يعملوا به كانهم منسلخون عنه ولو انهم امنوا برسول
الله والقرآن واتقوا الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع
كتب الشياطين لمثوبة من عند الله خير وقرئ لمثوبة كمشورة
ومشوبة لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير مما هم عليه وقد علموا
لكنه جهلهم لترك العمل بالعلم فان قلت كيف اوثرت الجملة الاسمية
على الفعلية في جواب لو قلت لما في ذلك من الدلالة على ثبات
المثوبة واستقرارها كما عدل عن النصب الى الرفع في سلام عليكم
لذلك فان قلت فهلا قيل لمثوبة الله خير قلت لان المعنى
لشيء من الثواب خير لهم ويجوز ان يكون قوله ولو انهم امنوا
تمنيا لايمانهم على سبيل المجاز عن ارادة الله ايمانهم واختيارهم له كانه
قيل وليتهم امنوا ثم ابتدئ لمثوبة من عند الله خير كان المسلمون
يقولون لرسول الله صلعم اذا القى عليهم شيئا من العلم راعنا يا
رسول الله اي راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهمه ونحفظه وكانت
لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية او سريانية وهي راعينا فلما
سمعوا بقول المؤمنين راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول وهم
يعنون به تلك المسبة فنهي المؤمنون عنها وامروا بما هو في معناها

وللكافرين عذاب اليم ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء

وهو انظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من النظرة
اي امهلنا حتى نحفظ وقرأ عبد الله بن مسعود راعونا على انهم كانوا
يخاطبونه بلفظ الجمع للتوقير وقرأ الحسن راعنا بالتنوين من الرعن
وهو الهوج اي لا تقولوا قولا راعنا منسوبا الى الرعن بمعنى رعنيا
كدارع ولابن لانه لما اشبه قولهم راعينا وكان سببا في السب
اتصف بالرعن واسمعوا واحسنوا سماع ما يكلمكم به رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويلقي عليكم من المسائل باذان واعية واذهان حاضرة حتى لا
تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة او اسمعوا سماع قبول و
طاعة ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا او
اسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه تأكيدا
عليهم ترك تلك الكلمة وروي ان سعد بن معاذ سمعها منهم فقال
يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من
رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه
اولستم تقولونها فنزلت وللكافرين يعني اليهود الذين تهاونوا
برسول الله صلعم وسبوه عذاب اليم من التبيين لان
الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون
كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين

والله ذو الفضل العظيم ما ننسخ من آية او ننسها نات بخير منها او مثلها الم تعلم ان الله على كل شي قدير

والثانية مزيدة لاستغراق الخير والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي وكذلك الرحمة كقوله اهم يقسمون رحمة ربك والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون ان ينزل عليكم شي من الوحي والله يختص من النبوة من يشاء ولا يشاء الا ما تقتضيه الحكمة والله ذو الفضل العظيم اشعار بان ايتاء النبوة من الفضل العظيم كقوله ان فضله كان عليك كبيرا روي انهم لما طعنوا في النسخ فقالوا الا ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا فنزلت وقري ما ننسخ بضم النون من انسخ او ننساها وقري ننسها وننسها بالتشديد وتنسها وتنسها على خطاب الرسول وقرا عبد الله ما ننسك من اية او ننسخها وقرا حذيفة ما ننسخ من اية او ننسكها ونسخ الاية ازالتها بابدال اخرى مكانها وانساخها الامر بنسخها وهو ان يامر جبريل بان يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها ونسوها تاخيرها واذهابها لا الى بدل وانساؤها ان يذهب بحفظها عن القلوب والمعنى ان كل اية نذهب بها على ما توجبه المصلحة من ازالة لفظها وحكمها معا او من ازالة احدهما الى بدل او غير بدل نات باية خير منها للعباد اي باية العمل بها اكثر للثواب او مثلها في ذلك على كل شي

الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ام تريدون ان تسالوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل

قدير فهو يقدر على الخير وما هو خير منه وعلى مثله في الخير له ملك السموات والارض فهو يملك اموركم ويدبرها ويجريها على حسب ما يصلحكم وهو اعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ لما بين لهم انه مالك امورهم ومدبرها على حسب مصالحهم من نسخ الايات وغيره وقررهم على ذلك بقوله الم تعلم اراد ان يوصيهم بالثقة به فيما هو اصلح لهم مما يتعبدهم به وينزل عليهم وان لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحته اباء اليهود على موسى من الاشياء التي كانت عاقبتها وبالا عليهم كقولهم اجعل لنا الها ارنا الله جهرة وغير ذلك ومن يتبدل الكفر بالايمان ومن ترك الثقة بالايات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل روي ان فنحاص بن عازورا وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني قد عاهدت الله ان لا اكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة واما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقران اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت

ودّ كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ان الله على كل شيء قدير واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير

فان قلت بم تعلق قوله من عند انفسهم قلت فيه وجهان احدهما
ان يتعلق بودّ على معنى انهم تمنوا ان ترتدوا عن دينكم وتمنيهم ذلك
من عند انفسهم ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم
ودّوا ذلك من بعد ما تبين لهم انكم على الحق فكيف يكون تمنيهم من
الحق واما ان يتعلق بحسدا اي حسدا متبالغا منبعثا من اصل نفوسهم فاعفوا
واصفحوا فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة
حتى يأتي الله بأمره الذي هو قتل بني قريظة واجلاء بني النضير واذ
لالهم بضرب الجزية عليهم ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الانتقام
منهم من خير من حسنة صلوة او صدقة او غيرهما تجدوه عند الله تجدوا ثوابه
عنده ان الله بما تعملون بصير عالم لا يضيع عنده عمل عامل والضمير في
وقالوا لاهل الكتاب من اليهود والنصارى والمعنى وقالت اليهود
لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان
نصارى فلفّ بين القولين ثقة بان السامع يرد الى كل فريق قوله
وأمنا من الالباس لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد
منهما لصاحبه ونحوه وقالوا كونوا هودا او نصارى والهود جمع هائد
كعائذ وعوذ وبازل وبزل فان قلت كيف قيل كان هودا على
توحيد الاسم وجمع الخبر قلت حمل الاسم على لفظ من والخبر على معناه

وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين

بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود

كقراءة الحسن الا من هو صالوا الجحيم وقوله فان له نار جهنم خالدين
فيها وقراءة ابي بن كعب الا من كان يهوديا او نصرانيا
تلك امانيهم وقوله لن يدخل الجنة غيرهم اي تلك الاماني
الباطلة امانيهم وقوله قل هاتوا برهانكم متصل بقولهم لن يدخل
الجنة الا من كان هودا او نصارى وتلك امانيهم اعتراض او اريد امثال
تلك الامنية امانيهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه يريد
ان امانيهم جميعا في البطلان مثل امنيتهم هذه والامنية افعولة من
التمني مثل الاضحوكة والاعجوبة هاتوا برهانكم هلموا حجتكم
على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم
وهذا اهدم شيء لمذهب المقلدين وان كل قول لا دليل عليه
فهو باطل غير ثابت وهات صوت بمنزلة هاء بمعنى احضر
بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله
من اخلص نفسه له لا يشرك به غيره وهو محسن في عمله فله
اجره الذي يستوجبه فان قلت من اسلم كيف موقعه قلت
يجوز ان يكون بلى ردا لقولهم ثم يقع من اسلم كلاما مبتدأ
ويكون من متضمنا لمعنى الشرط وجوابه فله اجره وان يكون
من اسلم فاعلا لفعل محذوف اي بلى يدخلها من اسلم ويكون

وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون
ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه

قوله فله اجره كلاماً معطوفاً على يدخلها من اسلم على شيء يصح ويعتد به وهذه مبالغة عظيمة لان المحال والمعدوم يقع عليها اسم الشيء فاذا نفى اطلاق اسم الشيء عليه فقد بولغ في ترك الاعتداد به الى ما ليس بعده وهذا كقولهم اقل من لا شيء وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وحالهم انهم من اهل العلم والتلاوة وحق من حمل التورية او الانجيل او غيرهما من كتب الله وآمن به ان لا يكفر بالباقي لان كل واحد من الكتابين مصدق للثاني شاهد بصحته وكذلك كتب الله جميعاً متواردة في تصديق بعضها بعضاً كذلك اي الذي سمعت به على ذلك المنهاج قال الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم قالوا لكل اهل دين ليسوا على شيء وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم وروي ان وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقال اليهود ما انتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى والتورية فالله يحكم بين اليهود والنصارى يوم القيمة بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب لستحقه وعن الحسن حكم الله بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ان يذكر ثاني مفعولي منع لانك

تقول منعته كذا ومثله وما منعنا ان نرسل الآيات وما منع الناس ان يؤمنوا ويجوز ان يحذف حرف الجر مع أن ولك ان تنصبه مفعولاً له بمعنى منعها كراهة ان يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله وان مانعها من ذكر الله مفرط في الظلم والسبب فيه ان النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان الروم غزوا اهله فخربوه واحرقوا التورية وقتلوا وسبوا وقيل منع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية فان قلت فكيف قيل مساجد وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت المقدس او المسجد الحرام قلت لا بأس ان يجيء الحكم عاماً وان كان السبب خاصاً كما تقول لمن آذى صالحاً واحداً ومن اظلم ممن آذى الصالحين وكما قال الله عز وعلا ويل لكل همزة لمزة والمنزول فيه الاخنس بن شريق وسعى في خرابها بانقطاع الذكر وبتخريب البنيان وينبغي ان يراد بمن منع العموم كما اريد بمساجد الله ولا يراد الذين منعوا باعيانهم من اولئك النصارى او المشركين اولئك المانعون ما كان لهم ان يدخلوها اي ما كان ينبغي لهم ان يدخلوا مساجد الله الا خائفين على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلاً عن ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين والمعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم

لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم

وقيل ما كان لهم في حكم الله يعني ان الله قد حكم وكتب في اللوح انه ينصر المؤمنين ويقويهم حتى لا يدخلوها الا خائفين وروي انه لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا مسارقة وقال قتادة ولا يوجد نصراني في بيت المقدس احد الا انهك ضربا وابلغ اليه في العقوبة وقيل نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يحجن بعد هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان وقرأ عبد الله الا خيفا وهو مثل صيما وقد اختلف الفقهاء في دخول الكافر المسجد فجوزه ابو حنيفة ولم يجوزه مالك وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه لقوله ما كان لكم ان تؤذوا رسول الله خزي قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية وقيل فتح مدائنهم قسطنطينية ورومية الكبرى وعمورية ولله المشرق والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها لله هو مالكها ومتوليها فاينما تولوا ففي اي مكان فعلتم التولية يعني تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره فثم وجه الله اي جهته التي امر بها ورضيها والمعنى انكم اذا منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او في بيت المقدس فقد جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا في اي بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فان التولية ممكنة في كل مكان لا يختص

امكانها في مسجد دون مسجد ولا في مكان دون مكان ان الله واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده والتيسير عليهم عليم بمصالحهم وعن ابن عمر نزلت في صلاة المسافر على الراحلة اينما توجهت وعن عطاء عميت القبلة على قوم فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطأهم فعذروا وقيل معناه فاينما تولوا للدعاء والذكر ولم يرد الصلوة وقرأ الحسن فاينما تولوا بفتح التاء من التولي يريد فاينما توجهوا القبلة وقالوا وقرئ بغير واو يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله والملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك وتبعيد بل له ما في السموات والارض هو خالقه ومالكه ومن جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنع شيء منهم على تكوينه وتقديره ومشيئته ومن كان بهذه الصفة لم يجانس ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد والتنوين في كل عوض من المضاف اليه اي كل ما في السموات والارض ويجوز ان يراد كل من جعلوه لله ولدا له قانتون مطيعون عابدون مقرون بالربوبية منكرون لما اضافوا اليه فان قلت كيف جاء بما الذي لغير اولي العلم مع قوله قانتون قلت هو كقوله سبحان ما سخركن لنا وكانه جاء بما دون من تحقيرا لهم وتصغيرا لشانهم كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا

بديع السموات والارض واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تاتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الايات لقوم يوقنون

بَدُعَ الشئُ فهو بديعٌ كقولك بزُعَ فهو بزيعٌ وبديع السموات والارض من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اى بديعٌ سمواته وارضه وقيل البديعُ بمعنى المبدع كما انّ السميع في قول عمرو امن ريحانة الداعي السميعُ بمعنى المسمع وفيه نظرٌ كن فيكون من كان التامة اى احدث فيحدث وهذا مجازٌ من الكلام وتمثيلٌ ولا قول ثَمَّ كما لا قولَ في قوله اذ قالت الانساع للبطن الحق وانما المعنى انّ ما قضاه من الامور و اراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كالماموز المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه الاباء اكد بهذا استبعاد الولادة لانّ من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينةً لاحوال الاجسام في توالدها وقرئ بديعَ السموات بالجرّ على انه بدلٌ من الضمير في له وقرا المنصور بالنصب على المدح وقال الذين لا يعلمون وقال الجهلة من المشركين وقيل من اهل الكتاب ونفى عنهم العلم لانهم لا يعملون به لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة وكلّم موسى استكبارا منهم وعتوا او تاتينا آية جحودا لان يكون ما اتاهم من آيات الله آيات واستهانة بها تشابهت قلوبهم اي قلوب هولا ومن قبلهم في العمى كقوله اتواصوا به قد بينا الايات لقوم يوقنون اى لقوم ينصفون فيوقنون انها آيات يجب الاعتراف بها والاذعان لها والاكتفاء بها عن غيرها انا ارسلناك لان تبشر وتنذر لا لتجبر على الايمان

ولا تسال عن اصحاب الجحيم ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير

وهذه تسليةٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتسريةٌ عنه لانه كان يغتمّ ويضيق صدره لاصرارهم وتصميمهم على الكفر ولا نسألك عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلّغت وبلغت جهدك في دعوتهم كقوله فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقرئ ولا تسأل على النهي روي انه قال ليت شعري ما فعل ابواي فنهي عن السؤال عن احوال الكفرة والاهتمام باعداء الله وقيل معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول كيف فلان سائلا عن الواقع في بلية فيقال لك لا تسأل عنه ووجه التعظيم ان المستخبر يجزع ان يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته فلا تسأله ولا تكلفه ما يضجره او انت يا مستخبر لا تقدر على سماع خبره لايحاشه السامع واضجاره فلا تسأل وتعضد قراءة الاولى قراءة عبد الله ولن تسأل وقراءة أبي وما تسأل كانهم قالوا لن نرضى عنك وان ابلغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا اقناطا منهم لرسول الله عن دخولهم في الاسلام فحكى الله عز وجل كلامهم ولذلك قال قل ان هدى الله هو الهدى على طريقة اجابتهم عن قولهم يعني ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى بالحق والذي يصح ان يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما

الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يومنون به ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا تقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن

تدعون الي اتباعه ما هو بهدى انما هو هوى الا ترى الي قوله و
لئن اتبعت اهواءهم اي اقوالهم التي هي اهواء وبدع بعد الذي
جاءك من العلم اى من الدين المعلوم صحته بالبراهين الصحيحة
الذين اتيناهم الكتاب هم مومنوا اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته
لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله عليه وسلم
اولئك يومنون بكتابهم دون المحرفين فاولئك هم الخاسرون حيث
اشتروا الضلالة بالهدى ابتلى ابرهيم ربه بكلمات اختبره باوامر
ونواه واختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار احد الامرين
ما يريد الله وما يشتهيه العبد كانه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه
علي حسب ذلك وقرا ابو حنيفة وهي قراءة ابن عباس ابرهيم ربه
رفع ابرهيم ونصب ربه والمعنى انه دعاه بكلمات من الدعاء فعل
المختبر هل يجيبه اليهن ام لا فان قلت الفاعل في القراءة المشهورة يلي
الفعل في التقدير فتعلق الضمير به اضمار قبل الذكر قلت الاضمار
قبل الذكر ان يقال ابتلى ربه ابرهيم فاما ابتلى ابرهيم ربه او ابتلى
ربه ابرهيم فليس واحد منهما باضمار قبل الذكر اما الاول فقد ذكر
فيه صاحب الضمير قبل الضمير ذكرا ظاهرا واما الثاني فابراهيم فيه
مقدم في المعنى وليس كذلك ابتلى ربه ابرهيم فان الضمير فيه تقدم لفظا ومعنى فلا سبيل الى صحته والمستكن في فاتمهن
لابرهيم بمعنى فقام بهن حق القيام واداهن احسن التادية من غير تفريط وتوان ونحوه وابرهيم الذي
وفى وفي الاخرى لله تعالى بمعنى فاعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئا ويعضده ما روي عن مقاتل انه فسر الكلمات
بما سال ابرهيم ربه في قوله رب اجعل هذا بلدا امنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا ربنا تقبل منا

قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين

قلت ما العامل في اذ قلت اما مضمر نحو واذكر اذ ابتلي او اذ ابتلاه كان كيت
وكيت واما قال اني جاعلك فان قلت فما موقع قال قلت هو علي الاول استيناف
كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتم الكلمات فقيل قال اني جاعلك للناس اماما وعلي
الثاني جملة معطوفة علي ما قبلها ويجوز ان يكون بيانا لقوله ابتلي وتفسيرا له فيراد
من الكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام قبل
ذلك في قوله اذ قال له ربه اسلم وقيل في الكلمات هي خمس في الراس الفرق
وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس في البدن
الختان والاستحداد والاستنجاء وتقليم الاظفار ونتف الابط وقيل ابتلاه
من شرائع الاسلام بثلثين سهما عشر في براءة التائبون العابدون وعشر في
الاحزاب ان المسلمين والمسلمات وعشر في المومنون وسال سائل الي
قوله والذين هم علي صلوتهم يحافظون وقيل هي مناسك الحج كالطواف
والسعي والرمي والاحرام والتعريف وغيرهن وقيل ابتلاه بالكواكب والشمس
والقمر والختان وذبح ابنه والنار والهجرة والامام اسم من يؤتم به علي زنة
الاله كالازار لما يوتزر به اي ياتمون بك في دينهم ومن ذريتي عطف
علي الكاف كانه قال وجاعل بعض ذريتي كما يقال لك سأكرمك فتقول وزيدا
لا ينال عهدي الظالمين وقرئ الظالمون اي من كان ظالما من ذريتك
لا يناله استخلافي وعهدي اليه بالامامة انما ينال من كان عادلا بريا من الظلم

فاو جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى

قالوا في هذا دليل على ان الفاسق لا يصلح للامامة وكيف يصلح لها من لا يجوز
حكمه وشهادته ولا تجب طاعته ولا يقبل خبره ولا يقدم للصلاة وكان ابو حنيفة
يفتي سرا بوجوب نصرة زيد بن علي رضوان الله عليهما وحمل الاموال اليه
والخروج معه على اللص المتغلب المتسمي بالامامة والخليفة كالدوانيقي واشباهه
وقالت له امراة اشرت على ابني بالخروج مع ابرهيم ومحمد ابني عبد الله بن
الحسن حتى قتل قال ليتني مكان ابنك وكان يقول في المنصور واشياعه
لو ارادوا بناء مسجد وارادوني على عد اجره لما فعلت ولو امرني بعد
ابواب المسجد لما فعلت وعن ابن عيينة لا يكون الظالم اماما قط وكيف
يجوز نصب الظالم للامامة والامام انما هو لكف الظلمة فاذا نصب من
كان ظالما في نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى الذيب ظلم والبيت
اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا مثابة للناس مباءة ومرجعا للحجاج
والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون اليه اي يثوب اليه اعيان الذين يزورونه
او امثالهم وامنا وموضع امن كقوله حرما امنا ويتخطف من حولهم ولان
الجاني ياوي اليه فلا يتعرض له حتى يخرج وقرئ مثابات لانه مثابة
لكل من الناس لا يختص به واحد منهم سواء العاكف فيه والباد واتخذوا
على ارادة القول اي وقلنا اتخذوا منه موضع صلاة تصلون فيه وهو
على وجه الاختيار دون الوجوب وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه اخذ

وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل ان طهرا بيتي للطايفين والعاكفين والركع السجود

بيد عمر فقال هذا مقام ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى يريد افلا
نوثره لفضله بالصلاة فيه تبركا به وتيمنا بموطئ قدم ابرهيم فقال
النبي لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وعن جابر بن عبد الله
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استلم الحجر ورمل ثلثة اشواط ومشى
اربعة حتى اذا فرغ عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين وقرا واتخذوا
من مقام ابرهيم مصلى وقيل مصلى مدعى ومقام ابرهيم الحجر الذي فيه
اثر قدميه والموضع الذي يسمى مقام ابرهيم وعن عمر رضي الله عنه انه
سال المطلب بن ابي وداعة هل تدري اين كان موضعه الاول قال
نعم واراه موضعه اليوم وعن عطاء مقام ابرهيم عرفة والمزدلفة والجمار
لانه قام في هذه المواضع ودعا فيها وعن النخعي الحرم كله مقام ابرهيم وقرئ
واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس من مكان
ابرهيم الذي وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها
عهدنا اليهما امرناهما ان طهرا بيتي بان طهراه او اي طهرا والمعنى طهراه
من الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحايض والخبايث كلها او اخلصاه
لهولاء لا يغشه غيرهم والعاكفين المجاورين الذين عكفوا عنده اي
اقاموا لا يبرحون او المعتكفين ويجوز ان يريد بالعاكفين الواقفين
يعني القايمين في الصلاة كما قال الله تعالى للطايفين والقايمين والركع

وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدًا آمنًا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر
قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير

السجود والمعنى للطائفين والمصلّين لأن القيام والركوع والسجود هيئات المصلي أي اجعل هذا البلد أو هذا المكان بلدًا آمنًا ذا أمن كقوله عيشة راضية أو آمنًا من فيه كقولك ليلٌ نائم ومن آمن منهم بدل من أهله يعني وارزق المؤمنين من أهله خاصة ومن كفر عطف على من آمن كما عطف ومن ذريتي على الكاف في جاعلك فإن قلت لم خص إبراهيم صلوات الله عليه المؤمنين حتى رُدّ عليه قلت قاس الرزق على الإمامة فعرّف الفرق بينهما لأن الاستخلاف استرعاء يختص بمن ينصح للمرعي وأبعد الناس عن النصيحة الظالم بخلاف الرزق فإنه قد يكون استدراجًا للمرزوق وإلزامًا للحجة له والمعنى وارزق من كفر فأمتعه ويجوز أن يكون ومن كفر مبتدأ متضمنًا معنى الشرط وقوله فأمتعه جوابًا للشرط أي ومن كفر فأنا أمتعه وقرئ فأمتعه فأضطره فألزُّه إلى عذاب النار لزّ المضطر الذي لا يملك الامتناع مما اضطُرّ إليه وقرأ أُبيّ فنمتعه قليلا ثم نضطره وقرأ يحيى بن وثاب فإضطره بكسر الهمزة وقرأ ابن عباس فأمتعه قليلا ثم اضطرّه على لفظ الأمر والمراد الدعاء من إبراهيم دعا ربه بذلك فإن قلت فكيف تقدير الكلام على هذه القراءة قلت في قال ضمير إبراهيم أي قال إبراهيم بعد مسألته اختصاص المؤمنين بالرزق ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره وقرأ ابن محيصن فاطّره بإدغام

وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ربنا

الضاد في الطاء كما قالوا اطّجع وهي لغة مرذولة لأن الضاد من الحروف الستة التي يُدغم فيها ما يجاورها ولا تُدغم هي فيما يجاورها وهي حروف ضُمّ شَفْر يرفع حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الأساس والأصل لما فوقه وهي صفة غالبة ومعناها الثابتة ومنه قعّدك الله أي أسأل الله أن يقعدك أي يثبتك ورفع الأساس البناء عليها لأنها إذا بُني عليها نُقلت عن هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر ويجوز أن يكون المراد بها سافات البناء لأن كل ساف قاعدة للذي يُبنى عليه ويوضع فوقه ومعنى رفع القواعد رفعها بالبناء لأنه إذا وضع سافًا فوق ساف فقد رفع السافات ويجوز أن يكون المعنى وإذ يرفع إبراهيم ما قعد من البيت أي استوطأ يعني جعل هيئة القاعدة المستوطئة مرتفعة عالية بالبناء وروي أنه كان مؤسسًا قبل إبراهيم فبنى على الأساس وروي أن الله تعالى أنزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد أخضر شرقي وغربي وقال لآدم أهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه آدم من أرض الهند إليه ماشيًا فتلقته الملائكة فقالوا برّ حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام وحج آدم أربعين حجة من أرض الهند إلى مكة على رجليه فكان على ذلك إلى أن رفعه الله أيام الطوفان إلى السماء الرابعة فهو البيت المعمور ثم إن الله تعالى أمر إبراهيم

ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك

ببنائه وعرّفه جبريل مكانه وقيل بعث الله سحابة اظلّته ونودي ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة اجبل طور سيناء وطور زيتا ولبنان والجودي واسسه من حرا وجاءه جبريل بالحجر الاسود من السماء وقيل تمخض ابو قبيس فانشق عنه وقد خبي فيه ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من الجنة فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسود وقيل كان ابرهيم يبني واسمعيل يناوله الحجارة ربنا اى يقولان ربنا وهذا الفعل في محل النصب على الحال وقد اظهره عبد الله في قراءته ومعناه يرفعانها قايلين ربنا انك انت السميع لدعائنا العليم بضمايرنا ونياتنا فان قلت هلا قيل قواعد البيت واي فرق بين العبارتين قلت في ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام ما ليس في اضافتها لما في الايضاح بعد الابهام من تفخيم لشان المبين مسلمين لك مخلصين لك اوجهنا من قوله اسلم وجهه لله او مستسلمين يقال اسلم له وسلم واستسلم اذا خضع واذعن والمعنى زدنا اخلاصا واذعانا لك وقرا مسلمين على الجمع كانهما ارادا انفسهما وهاجر او اجريا التثنية على حكم الجمع لانها منه ومن ذريتنا اى واجعل من ذريتنا امة مسلمة لك ومن للتبعيض او للتبيين كقوله وعد الله الذين امنوا منكم فان قلت لم خصا ذريتهما بالدعاء قلت لانهم احق بالشفقة والنصيحة قوا انفسكم واهليكم نارا ولان اولاد

وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه

١١٢

الانبياء اذا صلحوا صلح بهم غيرهم وشايعوهم على الخير الا ترى ان المتقدمين من العلماء والكبراء اذا كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم وارنا منقول من راي بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين اي وبصرنا متعبداتنا في الحج وعرفناها وقيل مذابحنا وقرئ ارنا بسكون الراء قياسا على فخذ في فخذ وقد استرذلت لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها فاسقاطها اجحاف وقرا ابو عمرو باشمام الكسرة وقرا عبد الله وارهم مناسكهم وتب علينا ما فرط منا من الصغاير او استتبنا للذريتها وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم من انفسهم روي انه قيل له قد استجيب لك وهو في اخر الزمان فبعث الله فيهم محمدا صلى الله عليه وسلم قال انا دعوة ابي ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلوا عليهم اياتك يقرا عليهم ويبلغهم ما توحي اليه من دلايل وحدانيتك وصدق انبيايك ويعلمهم الكتاب القران والحكمة الشريعة وبيان الاحكام ويزكيهم يطهرهم من الشرك وساير الارجاس كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبايث ومن يرغب انكار واستبعاد لان يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملة ابرهيم ومن سفه في محل الرفع على البدل لان من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك احد الا زيد

ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين

سفه نفسه امتهنها واستخف بها واصل السفه الخفة ومنه زمام سفيه وقيل
انتصاب النفس على التمييز نحو غبن رايه والم راسه ويجوز ان يكون في
شذوذ المميز نحو قوله فلا بفزارة الشعر الرقابا اجب الظهر ليس له
سنام وقيل معناه سفه في نفسه فحذف الجار كقولهم زيد ظني مقيم اي
في ظني والوجه هو الاول وكفى شاهدا له بما جاء في الحديث الكبر ان
تسفه الحق وتغمص الناس وذلك انه اذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل
قط فقد بالغ في اذلال نفسه وتعجيزها حيث خالف بها كل نفس عاقلة ولقد
اصطفيناه بيان لخطأ راي من رغب عن ملته لان من جمع الكرامة عند الله
في الدارين بان كان صفوته وخيرته في الدنيا وكان مشهودا له بالاستقامة
على الخير في الآخرة لم يكن احد اولى بالرغبة في طريقته منه اذ قال ظرف
لاصطفيناه اي اخترناه في ذلك الوقت او انتصب باضمار اذكر استشهادا
على ما ذكر من حاله كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذي
لا يرغب عن ملة مثله ومعنى قال له اسلم اخطر ببالك النظر في الدلائل المؤدية
الى المعرفة والاسلام فقال اسلمت اي فنظر وعرف وقيل اسلم اي اذعن
واطع وروي ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى
الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التوراة اني باعث من ولد
اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به

فهو ملعون

ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون

فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر ان يسلم فنزلت قرئ واوصى وهو في
مصاحف اهل الحجاز والشام والضمير في بها لقوله اسلمت لرب العالمين
على تاويل الكلمة والجملة ونحوه رجوع الضمير في قوله وجعلها كلمة باقية الى قوله
على ان التانيث على تاويل الكلمة ويعقوب معطوف على ابرهيم
داخل في حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه ايضا وقرئ ويعقوب
بالنصب عطفا على بنيه ومعناه ووصى بها ابراهيم بنيه ونافلته يعقوب
يا بني على اضمار القول عند البصريين وعند الكوفيين يتعلق بوصى
لانه في معنى القول ونحوه قول القائل رجلان من ضبة اخبرانا انا
رايتا رجلا عريانا بالكسر الهمزة فهو بتقدير القول عندنا وعندهم يتعلق
بفعل الاخبار وفي قراءة ابي وابن مسعود ان يا بني ان الله اصطفى لكم الدين
اعطاكم الدين الذي هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام ووفقكم
للاخذ به فلا تموتن معناه فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على
الاسلام فالنهي في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الاسلام اذا ماتوا
كقولك لا تصل الا وانت خاشع فلا تنهاه عن الصلاة ولكن عن
ترك الخشوع في حال صلاته فان قلت فاي نكتة في ادخال حرف النهي
على الصلاة وليس بمنهي عنها قلت النكتة فيه اظهار ان الصلاة
التي لا خشوع فيها كلا صلاة كانه قال انهاك عنها اذا لم تصلها على هذه

أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي

الحاله الا ترى إلى قوله عليه السلام لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد فإنه كالتصريح بقولك لجار المسجد لا تصلي إلا في المسجد وكذلك المعنى في الآية إظهار أن موتهم لا على حال الثبات على الإسلام موت لا خير فيه وأنه ليس بموت السعداء وأن من حق هذا الموت أن لا يحل فيهم وتقول في الأمر أيضا مت وأنت شهيد وليس مرادك الأمر بالموت ولكن بالكون على صفة الشهداء إذا مات وإنما أمرته بالموت اعتدادا منك بميتته وإظهارا لفضلها على غيرها وأما حقيقة باب تحت عليها أم كنتم شهداء هي أم المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر أي ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلام إذ حضره الموت أي حين احتضر والخطاب للمؤمنين بمعنى ما شاهدتم ذلك وإنما حصل العلم به من طريق الوحي وقيل الخطاب لليهود لأنهم كانوا يقولون ما مات نبي إلا على اليهودية إلا أنهم لو شهدوه وسمعوا ما قاله لبنيه وما قالوه لظهر لهم حرصه على ملة الإسلام ولما ادعوا عليه اليهودية فالآية منافية لقولهم فكيف يقال لهم أم كنتم شهداء ولكن الوجه أن يكون متصلة على أن يقدر قبلها محذوف كأنه قيل أتدعون على الأنبياء اليهودية أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت يعني أن أوائلكم من بني إسرائيل كانوا مشاهدين له إذ أراد بنيه على التوحيد وملة الإسلام وقد علمتم ذلك فما لكم تدعون على الأنبياء ما هم منه براء وقرئ

قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسمعيل وإسحق إلها واحدا ونحن له مسلمون

حضر بكسر الضاد وهي لغة ما تعبدون أي أي شيء تعبدون وما عام في كل شيء فإذا علم فرق بما للفرق بين ما ومن وكفاك دليلا قول العلماء من لما يعقل ولو قيل من تعبدون لم يعم إلا أولي العلم وحدهم ويجوز أن يقال ما تعبدون سؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد أفقيه أم طبيب أم غير ذلك من الصفات وإبراهيم وإسمعيل وإسحاق عطف بيان لآبائك وجعل إسمعيل وهو عمه من جملة آبائه لأن العم أب والخالة أم لانخراطهما في سلك واحد وهو الأخوة لا تفاوت بينهم ومنه قوله عليه السلام عم الرجل صنو أبيه أي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة وقال في العباس هو بقية آبائي وقال ردوا علي أبي فإني أخشى أن تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود وقرأ أبي وإله إبراهيم بطرح آبائك وقرأ أبيك وفيه وجهان أن يكون واحدا وإبراهيم وحده عطف بيان له وأن يكون جمعا بالواو والنون وقال وقد بكينا بالأبينا إلها واحدا بدل من إله آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة أو على الاختصاص أي نريد بإله آبائك إلها واحدا ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد أو من مفعوله لرجوع الهاء إليه في له ويجوز أن يكون جملة معطوفة على نعبد وأن يكون جملة اعتراضية مؤكدة أي ومن حالنا أنا له مسلمون مخلصون التوحيد أو مذعنون لك

تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط

اشارة الى الامة المذكورة التي هي ابرهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون والمعنى ان احدا لا ينفعه كسب غيره متقدما كان او متأخرا فكما ان اولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا فكذلك انتم لا ينفعكم الا ما اكتسبتم وذلك انهم افتخروا بأوائلهم ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني هاشم لا يأتيني الناس باعمالهم وتأتوني بانسابكم ولا تسألون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا ينفعكم حسناتهم بل ملة ابرهيم بل نكون ملة ابرهيم اي اهل ملته كقول عدي بن حاتم اني من دين يريد من اهل دين وقيل بل نتبع ملة ابرهيم وقرئ ملة ابرهيم بالرفع اي ملته ملتنا او امرنا ملته او نحن ملته بمعنى اهل ملته وحنيفا حال من المضاف اليه كقولك رأيت وجه هند قائمة والحنيف المائل عن دين باطل الى الحق والحنف الميل في القدمين وتحنف اذا مال وانشد ولكنا خلقنا اذ خلقنا حنيفا ديننا عن كل دين وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم لان كلا منهم يدعي اتباع ابرهيم وهو على الشرك قولوا خطاب للمؤمنين ويجوز ان يكون خطابا للكافرين اي قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل وكذلك قوله بل ملة ابرهيم يجوز ان يكون على بل اتبعوا انتم ملة ابرهيم او كونوا اهل ملته والسبط الحافد وكان الحسن والحسين رضي الله عنهما سبطي رسول الله صلى الله عليه وسلم

وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم

والاسباط حفدة يعقوب ذراري ابنائه الاثني عشر لا نفرق بين احد منهم اي لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى واحد في معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه فان آمنوا بمثل ما آمنتم به من باب التبكيت لان دين الحق واحد لا مثل له وهو دين الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فلا يوجد اذا دين آخر يماثل دين الاسلام في كونه حقا حتى ان آمنوا بذلك الدين المماثل له كانوا مهتدين فقيل فان آمنوا بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير اي فان حصلوا دينا آخر مثل دينكم مساويا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا وفيه ان دينهم الذي هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل لانه حق وهدى وما سواه باطل ونحو هذا قولك للرجل الذي تشير عليه هذا هو الرأي الصواب فان كان عندك رأي اصوب منه فاعمل به وقد علمت ان لا اصوب من رأيك وانما تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على ان ما رأيت لا رأي بعده ويجوز ان لا تكون الباء صلة وتكون باء الاستعانة كقولك كتبت بالقلم وعملت بالقدوم اي فان دخلوا بالايمان بشهادة مثل شهادتكم التي آمنتم بها وقرئ

ابن عباس وابن مسعود بما آمنتم به وقراءة ابي بالذي آمنتم به وان تولوا عما تقولون لهم ولم ينصفوا فما هم الا في شقاق اي في مناواة ومعاندة لا غير وليسوا من طلب الحق في شيء وان يقولوا عن الشهادة والدخول في الايمان بها فسيكفيكهم الله ضمان من الله لاظهار رسول الله عليه وقد انجز وعده بقتل قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير ومعنى السين ان ذلك كائن لا محالة وان تاخر الى حين وهو السميع العليم وعيد لهم اي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه او وعد لرسول الله بمعنى يسمع ما تدعو ويعلم نيتك وما تريد من اظهار دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك الى مرادك صبغة الله مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله كما انتصب وعد الله عما تقدمه وهي فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع الصبغ عليها والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس والاصل فيه ان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم واذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانيا حقا فامر المسلمون بان يقولوا لهم قولوا آمنا بالله وصبغنا الله بالايمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا او يقول المسلمون صبغنا الله بالايمان صبغة ولم نصبغ صبغتكم

وانما جيء بلفظة الصبغة على طريق المشاكلة كما يقولون لمن يغرس الاشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام ومن احسن من الله صبغة يعني انه يصبغ عباده بالايمان ويطهرهم به من اوضار الكفر فلا صبغة احسن من صبغته وقوله ونحن له عابدون عطف على آمنا بالله وهذا العطف يرد قول من زعم ان صبغة الله بدل من ملة ابراهيم او نصب على الاغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من فك النظم واخراج الكلام عن التئامه واتساقه وانتصابها على انه مصدر مؤكد هو الذي ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام قرأ زيد بن ثابت اتحاجونا بادغام النون والمعنى اتجادلوننا في شأن الله واصطفائه النبي من العرب دونكم وتقولون لو انزل الله على احد لانزل علينا وترونكم احق بالنبوة منا وهو ربنا وربكم نشترك جميعا في اننا عباده وهو ربنا وهو يصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده هم فوضى في ذلك لا يختص به عجمي دون عربي اذا كان اهلا للكرامة ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم يعني ان العمل هو اساس الامر وبه العبرة وكما ان لكم اعمالا يعتبرها الله في اعطاء الكرامة ومنعها نحن كذلك ثم قال ونحن له مخلصون فجاء بما هو سبب للكرامة اي ونحن له موحدون نخلصه بالايمان فلا تستبعدوا ان

ام تقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قل ءانتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسالون عما كانوا يعملون سيقول السفهاء من الناس ما ولىهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا

تورهل اهل اخلاصهم لكراهتهم بالنبوة وكانوا يقولون نحن احق بان
تكون النبوة فينا لانا اهل الكتاب والعرب عبدة اوثان ام تقولون
يحتمل فيمن قرا بالتاء ان تكون ام معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي
الامرين تاتون المحاجة في حكمة الله ام ادعاء اليهودية والنصرانية
على الانبياء والمراد بالاستفهام عنهما انكارهما معا وان تكون منقطعة
بمعنى بل اتقولون والهمزة للانكار ايضا وفيمن قرا بالياء لا تكون
الا منقطعة قل ءانتم اعلم ام الله يعني ان الله شهد لهم بملة الاسلام
في قوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ومن
اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله اي كتم شهادة الله التي عنده
انه شهد بها وهي شهادته لابرهيم بالحنيفية ويحتمل معنيين احدهما
ان اهل الكتاب لا احد اظلم منهم لانهم كتموا هذه الشهادة لم يكن احد
اظلم منا فلا نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة
في كتبهم وساير شهاداته ومن في قوله ومثله براءة من الله ورسوله
سيقول السفهاء الخفاف الاحلام وهم اليهود لكراهتهم التوجه
الى الكعبة وانهم لا يرون النسخ وقيل المنافقون لحرصهم على الطعن و
الاستهزاء وقيل المشركون قالوا رغب عن قبلة ابائه ثم رجع اليها والله
ليرجعن الى دينهم فان قلت اي فايدة في الاخبار بقولهم قبل وقوعه

قلت فايدته ان مفاجاة المكروه اشد والعلم به قبل وقوعه ابعد من
الاضطراب اذا وقع لما يتقدمه من توطين النفس وان الجواب العتيد
قبل الحاجة اليه اقطع للخصم وارد لشغبه وقبل الرمي يراش السهم ما ولاهم
ما صرفهم عن قبلتهم وهي بيت المقدس لله المشرق والمغرب والارض كلها
يهدي من يشاء من اهلها الى صراط مستقيم وهو ما توجبه الحكمة والمصلحة من
توجيههم تارة الى بيت المقدس واخرى الى الكعبة وكذلك جعلناكم ومثل
ذلك الجعل العجيب جعلناكم امة وسطا خيارا وهي صفة بالاسم الذي هو
وسط الشيء ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
ونحوه قوله عليه السلام انطوا الثبجة يريد الوسطة بين السمينة و
العجاف وصفا بالثبج وهو وسط الظهر الا انه الحق تا التانيث مراعاة
لحق الوصف وقيل للخيار وسط لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والعوار
والاوساط محمية محوطة ومنه قول الطائي كانت هي الوسط المحمي
فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا وقد اكتريت عكة حمل اعرابي
للحج فقال اعطني من سطاتهنه اراد من خيار الدنانير او عدولا لان
الوسط عدل بين الاطراف ليس الى بعضها اقرب من بعض لتكونوا
شهداء على الناس روي ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء
فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى

وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه

بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون
علمنا ذلك باخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد
صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك
قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء
شهيدا فان قلت هلا قيل لكم شهيدا وشهادته لهم لا عليهم قلت لما كان
الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود له جيء بكلمة الاستعلاء ومنه قوله تعالى
والله على كل شيء شهيد كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد
وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدول
الاخيار ويكون الرسول شهيدا عليكم يزكيكم ويعلم بعدالتكم فان قلت
لم اخرت صلة الشهادة اولا وقدمت آخرا قلت لان الغرض في الاول
اثبات شهادتهم على الامم وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا
عليهم التي كنت عليها ليس بصفة للقبلة انما هي ثاني مفعولي جعل يريد وما جعلنا
القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة لان الرسول صلى الله عليه وسلم
كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلاة الى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة
تألفا لليهود ثم حول الى الكعبة فيقول وما جعلنا القبلة التي تحب ان
تستقبلها الجهة التي كنت عليها اولا بمكة يعني وما رددناك اليها الا امتحانا
للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الاسلام الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص

وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم

على عقبيه لقلقه فيرتد كقوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الآية
ويجوز ان يكون بيانا للحكمة في جعل بيت المقدس قبلة يعني ان اصل
امرك ان تستقبل الكعبة وان استقبالك بيت المقدس كان امرا عارضا
لغرض وانما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها قبل وقتك هذا وهي بيت
المقدس لنمتحن الناس وننظر من يتبع الرسول منهم ومن لا يتبعه وينفر
عنه وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان
يجعل الكعبة بينه وبينه فان قلت كيف قال لنعلم ولم يزل عالما بذلك
قلت معناه لنعلمه علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمه موجودا حاصلا ونحوه ولما يعلم الله
الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقيل ليعلم رسول الله والمؤمنون
وانما اسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه واهل الزلفى عنده وقيل معناه
لنميز التابع من الناكص كما قال ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع
العلم موضع التمييز لان العلم به يقع التمييز وان كانت لكبيرة هي ان المخففة
التي تلزمها اللام الفارقة والضمير في كانت لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة
التي كنت عليها من الردة او التحويلة او الجعلة ويجوز ان يكون للقبلة لكبيرة
لثقيلة شاقة الا على الذين هدى الله الا على الثابتين الصادقين في اتباع
الرسول الذين لطف الله بهم وكانوا اهلا للطفه وما كان الله ليضيع
ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وانكم لم تزلوا ولم ترتابوا بل شكر صنيعكم واعد لكم

الثواب العظيم ويجوز ان يراد وما كان الله ليترك تحويلكم لعلم ان تركه
مفسدة وإضاعة لإيمانكم وقيل من كان صلى الى البيت المقدس قبل التحويل
فصلاته غير ضائعة عن ابن عباس لما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
الكعبة قالوا كيف بمن مات قبل التحويل من اخواننا فنزلت لرؤف رحيم لا يضيع
اجورهم ولا يترك ما يصلحهم ويحكى عن الحجاج انه قال للحسن ما رأيك في ابي
تراب فقرأ الا على الذين هدى الله ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول
صلى الله عليه وسلم وختنه على ابنته واقرب الناس اليه واحبهم وقرئ الا
ليعلم على البناء للمفعول ومعنى العلم المعرفة ويجوز ان يكون متضمنا لمعنى
الاستفهام معلقا عنها العلم كقولك علمت ازيد في الدار ام عمرو وقرأ ابن
ابي اسحاق على عقبيه بسكون القاف وقرأ اليزيدي لكبيرة بالرفع
ووجهها ان تكون كان مزيدة كما في قوله وجيران لنا كانوا كرام اصله
وان هي لكبيرة كقولك ان زيد لمنطلق ثم وان كانت لكبيرة ومعنى لنضيع
بالتشديد قد نرى ربما نرى ومعناه كثرة الرؤية كقوله قد اترك القرن
مصفرا انامله تقلب وجهك تردد وجهك وتصرف نظرك في وجه
السماء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوقع من ربه ان يحوله
الى الكعبة لانها قبلة ابراهيم وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم
ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعي نزول جبريل

والوحي بالتحويل فلنولينك فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها
من قولك وليته كذا اذا جعلته واليا له او فلنجعلنك تلي
سمتها دون سمت بيت المقدس ترضاها تحبها وتميل اليها لاغراضك
الصحيحة التي اضمرتها ووافقت مشيئة الله وحكمته شطر
المسجد الحرام نحوه قال وأظعن بالقوم شطر الملوك وقرأ
ابي تلقاء المسجد الحرام عن البراء بن عازب قدم النبي عليه السلام
المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه
الى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس
قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله صلى الله عليه وسلم في
بني مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلوة
الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وحول الرجال
مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي المسجد مسجد
القبلتين وشطر المسجد نصب على الظرف اي اجعل توليه
الوجه تلقاء المسجد اي في جهته وسمته لان استقبال عين
القبلة فيه حرج عظيم على البعيد وذكر المسجد الحرام دون
الكعبة دليل على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين
ليعلمون انه لحق ان التحويل الى الكعبة هو الحق لانه كان
في بشارة انبيائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم انه يصلي الى القبلتين

ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه

تعملون قرئ بالتاء والياء ما تبعوا جواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط بكل آية بكل برهان قاطع ان التوجه الى الكعبة هو الحق ما تبعوا قبلتك لان تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بايراد الحجة انما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم بما في كتابهم من نعتك انك على الحق وما انت بتابع قبلتهم حسم لاطماعهم اذ كانوا ماجوا في ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه الى قبلتهم وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة وما بعضهم بتابع قبلة بعض يعني انهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شان القبلة لا يرجى اتفاقهم كما لا يرجى موافقتهم لك وذلك ان اليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس اخبر الله عز وجل عن تصلب كل حزب فيما هو فيه وثباته عليه فالمحق منهم لا يزول عن مذهبه لتمسكه بالبرهان والمبطل لا يقلع عن باطله لشدة شكيمته في عناده وقوله ولئن اتبعت اهواءهم بعد الافصاح عن حقيقة حاله المعلومة عنده في قوله وما انت بتابع قبلتهم كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير بمعنى ولئن اتبعتهم مثلا بعد وضوح البرهان والاحاطة بحقيقة الامر انك اذا لمن المرتكبين الظلم الفاحش وفي ذلك لطف للسامعين وزيادة تحذير واستفظاع لحال من يترك الدليل بعد انارته ويتبع الهوى وتهييج والهاب للثبات على الحق فان قلت كيف قال وما انت بتابع قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبلة وللنصارى قبلة قلت كلتا القبلتين باطلة مخالفة لقبلة الحق فكانتا بحكم الاتحاد في البطلان قبلة واحدة يعرفونه يعرفون رسول الله علما معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص

كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين

المشخص كما يعرفون ابناءهم لا يشتبه عليهم ابناؤهم وابناء غيرهم وعن عمر رضي الله عنه انه سال عبد الله بن سلام عن رسول الله عليه السلام فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي واما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر راسه وجاز الاضمار وان لم يسبق له ذكر لان الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع ومثل هذا الاضمار فيه تفخيم واشعار بانه لشهرته وكونه علما معلوما بغير اعلام وقيل الضمير للعلم او القرآن او تحويل القبلة وقوله كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول وينصره الحديث عن عبد الله بن سلام لم اختص الابناء قلت لان الذكور اشهر واعرف وهم لصحبة الآباء الزم وبقلوبهم الصق وقال فريقا منهم استثناء لمن آمن منهم او لجهالهم الذين قال فيهم ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الحق من ربك يحتمل ان يكون الحق خبر مبتدا محذوف اي هو الحق او مبتدا خبره من ربك وفيه وجهان ان يكون اللام للعهد والاشارة الى الحق الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم او الى الحق الذي في قوله ليكتمون الحق اي هذا الذي يكتمونه هو الحق من ربك وان يكون للجنس على معنى الحق من الله لا من غيره يعني ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه وما لم يثبت انه من الله كالذي عليه اهل الكتاب هو باطل واما اذا جعلت الحق خبر مبتدا فاما محل من ربك فجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون حالا وقرا علي رضي الله عنه الحق من ربك على الابدال من الاول اي يكتمون الحق من ربك

كما يعرفون

ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا ان الله على كل شيء قدير ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون

فلا تكونن من الممترين الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم او في انه من ربك ولكل من
اهل الاديان المختلفة وجهة قبلة وفي قراءة ابي ولكل قبلة هو موليها وجهه
فحذف احد المفعولين وقيل هو لله تعالى اي الله موليها اياه وقرئ ولكل وجهة على الاضافة
والمعنى وكل وجهة الله موليها فزيدت اللام لتقدم المفعول كقولك لزيد ضربت
ولزيد ابو ضاربه وقرا ابن عامر هو مولاها اي هو مولى تلك الجهة وقد وليها
والمعنى ولكل امة قبلة يتوجه اليها منكم ومن غيركم فاستبقوا انتم الخيرات
واستبقوا اليها غيركم من امر القبلة وغيره ومعنى آخر وهو ان يراد ولكل
منكم يا امة محمد وجهة اي جهة يصلي اليها جنوبية او شمالية او شرقية او غربية
واستبقوا الخيرات اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا للجزاء من موافق
ومخالف لا تعجزونه ويجوز ان يكون المعنى فاستبقوا الفاضلات من الجهات
وهي الجهات المسامتة للكعبة وان اختلفت اينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت
بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة وكانكم تصلون حاضري المسجد
الحرام اذا صليت وانه وان هذا المامور به وقرئ يعملون بالياء والتاء وهذا التكرير
لتاكيد امر القبلة وتشديده لان النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان
والحاجة الى الفصل بينه وبين البداء فكرر عليهم ليثبتوا ويعزموا ويجدوا
لانه نيط بكل واحد ما لم ينط بالآخر فاختلفت فوائدها الا الذين ظلموا استثناء
من الناس ومعناه لئلا يكون حجة لاحد من اليهود والمعاندين منهم

فلا تخشوهم واخشوني ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون

القائلين ما تركن قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان
على الحق للزم قبلة الانبياء اي حجة كانت تكون للمنصفين منهم لو لم تحول حتى احترز من
تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين كانوا يقولون ما له لا يحول الى قبلة ابيه
ابرهيم كما هو مذكور في نعته في التورية كيف اطلق اسم الحجة على قول المعاندين
لانهم يسوقونه سياق الحجة ويجوز ان يكون المعنى لئلا يكون للعرب عليكم حجة
واعتراض في ترككم التوجه الى الكعبة التي هي قبلة ابرهيم واسمعيل ابي العرب الا الذين
ظلموا منهم وهم اهل مكة حين يقولون بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى
دينهم وقرا زيد بن علي رضي الله عنه الا الذين ظلموا على ان الا للتنبيه ووقف على حجة
ثم استأنف منبها فلا تخشوهم فلا تخافوا مطاعنهم في قبلتكم فانهم لا يضرونكم واخشوني
فلا تخالفوا امري وما رايته مصلحة لكم ومتعلق اللام محذوف معناه ولاتمامي
النعمة عليكم وارادتي اهتداءكم امرتكم بذلك او يعطف على علة مقدرة كانه قيل
واخشوني لاوفقكم ولاتم نعمتي عليكم وقيل هو معطوف على لئلا يكون وفي الحديث
تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا اما ان
يتعلق بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في الآخرة بالثواب كما اتممتها عليكم في الدنيا
بارسال الرسول او بما بعده اي كما ذكرتكم بارسال الرسول فاذكروني بالطاعة اذكركم
بالثواب واشكروا لي ما انعمت به عليكم ولا تكفرون ولا تجحدوا نعمائي اموات
بل احياء هم اموات بل هم احياء ولكن لا تشعرون كيف حالهم في حياتهم وعن

ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون

الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوة وعشيا فيصل اليهم الوجع وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها وقالوا يجوز ان يجمع الله من اجزاء الشهداء فيحييها ويوصل اليها النعيم وان كانت في حجم الذرة وقيل نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر ولنبلونكم ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما انتم عليه من الطاعة وتسلمون لامر الله وحكمه ام لا بشيء بقليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه وبشر الصابرين المسترجعين عند البلاء لان الاسترجاع تسليم واذعان وعن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وروي انه طفي سراج رسول الله فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هي قال نعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وانما قلله في قوله بشيء ليؤذن ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل ففوقه ما يقل اليه وليخفف عليهم ويريهم ان رحمته معهم في كل حال لا تزايلهم وانما وعدهم ذلك قبل كونه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص عطف على شيء او على الخوف بمعنى وشيء من نقص الاموال والخطاب في وبشر لرسول الله او لكل من يتاتى منه البشارة وعن الشافعي رحمه الله عليه الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الاموال الزكوة والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات الاولاد وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات

ولد

اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم

ولد العبد قال الله تعالى اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد والصلوة الحنو والتعطف فوضعت موضع الرافة وجمع بينها وبين الرحمة كقوله تعالى رافة ورحمة رؤف رحيم والمعنى عليهم رافة ورحمة اي رحمة واولئك هم المهتدون لطريق الصواب حيث استرجعوا وسلموا لامر الله الصفا والمروة علمان للجبلين كالصمان والمقطم والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة اي من اعلام مناسكه ومتعبداته والحج القصد والاعتمار الزيارة فغلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما في المعاني كالنجم والبيت في الاعيان واصل يطوف يتطوف فادغم وقرئ ان يطوف من طاف فان قلت كيف قيل انهما من شعائر الله ثم قيل لا جناح عليه ان يطوف بهما قلت كان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان روي انهما كانا رجلا وامرأة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله فكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية وان لا يكون عليهم جناح في ذلك فرفع عنهم الجناح واختلف في السعي فمن قائل هو تطوع بدليل رفع الجناح وما فيه من التخيير بين الفعل والترك كقوله فلا جناح عليهما ان يتراجعا وغير ذلك ولقوله ومن تطوع خيرا كقوله خيرا هو خير له ويروى ذلك عن انس وابن عباس وابن الزبير وينصره قراءة ابن

ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم اللاعنون

مسعى فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما وهي اي السعي انه واجب وليس بركن وعلى تركه
دم عند الاولين لا شيء عليه وعند مالك والشافعي هو ركن لقوله عليه اسعوا فان الله
كتب عليكم السعي وقرئ ومن تطوع بمعنى ومن يتطوع فادغم وفي قراءة عبد الله
ومن يتطوع بخير ان الذين يكتمون من احبار اليهود ما انزلنا في التورية هؤلاء شفعاؤنا
عند الله ويعبدون زمانا ثم يرفضونه الى غيره او ياكلونه كالحلت يا هذه الهها من حيس
عام المجاعة الذين ظلموا اشارة الى متخذي الانداد اي ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا
الظلم العظيم بشركهم ان القوة كلها لله على كل شيء من العقاب والثواب دون
اندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين اذا عاينوا العذاب يوم القيمة لكان منهم ما
لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم فحذف الجواب
كما في قوله ولو ترى اذ وقفوا وقولهم لو رايت فلانا والسياط تاخذه وقرئ على خطاب
الرسول او كل مخاطب اي ولو ترى ذلك لرايت امرا عظيما وقرئ اذ يرون
على البناء للمفعول واذ في المستقبل كقوله ونادى اصحاب الجنة اذ تبرا بدل من اذ يرون
العذاب اي تبرا المتبوعون وهم الرؤساء من الاتباع وقرا مجاهد الاول على البناء
للفاعل والثاني على البناء للمفعول اي تبرا الاتباع من الرؤساء ورأوا العذاب
الواو للحال اي تبرؤا في حال رؤيتهم العذاب وتقطعت عطف على تبرا والاسباب
الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب والمحاب
والاتباع والاستتباع كقوله لقد تقطع بينكم ولو في معنى التمني ولذلك احسب بالفا الذي

يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين
انما يامركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا اولو كان آباؤهم لا يعقلون
ولا يهتدون

تجاب به التمني كانه قيل ليت لنا كرة فنتبرا منهم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله
اعمالهم حسرات عليهم اي ندامات وحسرات ثالث مفاعيل اري ومعناه ان اعمالهم
تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات مكان اعمالهم وما هم بخارجين بمنزلة في قوله
هم يفرشون اللبد كل طمرة في دلالته على قوة امرهم فيما اسند اليهم لا على الاختصاص
حلالا مفعول كلوا او حال مما في الارض طيبا طاهرا من كل شبهة ولا تتبعوا خطوات
الشيطان فتدخلوا في حرام او شبهة او تحريم حلال او تحليل حرام ومن للتبعيض لان
كل ما في الارض ليس بما كول وقرئ خطوات بضمتين وخطوات بضمة وسكون وخطوات
بضمتين وهمزة جعلت الضمة على الطا كانها على الواو وخطوات بفتحتين وخطوات
بفتحة وسكون والخطوة المرة من الخطو والخطوة ما بين قدمي الخاطي وهما كالغرفة والغرفة
والقبضة والقبضة يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبه اذا اقتدى به واستن بسنته
مبين ظاهر العداوة لا خفاء به انما يامركم بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور
عداوته اي لا يامركم بخير قط انما يامركم بالسوء بالقبيح والفحشاء وما يتجاوز الحد في
القبح من العظايم وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا
تعلمون وهو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله مما لا يجوز
عليه — كيف كان الشيطان آمرا مع قوله ليس لك عليهم سلطان — شبهة
تزيينه وبعثه على الشر بالامر كما تقول امرتني نفسي بكذا وتحته رمز الى انكم فيه بمنزلة
المامورين لطاعتكم له وقبولكم وساوسه ولذلك قال ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام

الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين

ولآمرنهم فليغيرن خلق الله وقال الله تعالى ان النفس لامارة بالسوء لما كان الانسان يطيعها ما اشتهت لهم الضمير للناس عدل عن الخطاب عنهم على طريقة الالتفات للنداء على ضلالهم لانه لا احد اضل من المقلد كانه يقول للعقلاء انظروا الى هولاء الحمقى ما يقولون قيل هم المشركون وقيل هم طايفة من اليهود دعاهم رسول الله الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا فانهم كانوا خيرا منا واعلم الفينا بمعنى وجدنا بدليل قوله بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا اولو كان اباوهم الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجب معناه ايتبعونهم ولو كان اباوهم لا يعقلون شيا من الدين ولا يهتدون للصواب لا بد من مضاف محذوف تقديره ومثل داعي الذين من الآيات الشاهدة على امر محمد صلى الله عليه وسلم والهدى والهداية بوصفه للاتباع والايمان به من بعدما بيناه وخصصناه للناس في الكتاب في التورية لم ندع فيه موضع اشكال ولا اشتباه على احد منهم فعمدوا الى ذلك المبين الملخص فكتموه ولبسوه على الناس اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الذين يتاتى منهم اللعن عليهم وهم الملائكة والمومنون من الثقلين واصلحوا ما افسدوا من احوالهم وتداركوا ما فرط منهم وبينوا ما بينه الله في كتابهم فكتموه وبينوا للناس ما احدثوه من توبتهم ليمحوا سمة الكفر عنهم ويعرفوا بضده ما كانوا يعرفون به ويقتدي بهم غيرهم من المفسدين ان الذين كفروا يعني الذين ماتوا من هولاء الكاتمين ولم يتوبوا ذكر لعنتهم احياء ثم لعنتهم امواتا وقرا الحسن والملائكة والناس اجمعون بالرفع عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في التقدير كقولك عجبت

خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم

من ضرب زيد وعمرو وتريد من ان ضرب زيد وعمرو وكانه قيل اولئك عليهم ان لعنهم الله والملائكة ما معنى قوله والناس اجمعين وفي الناس المسلم والكافر اراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المومنون وقيل يوم القيمة يلعن بعضهم بعضا خالدين فيها في اللعنة وقيل في النار الا انها اضمرت تفخيما لشانها وتهويلا ولا هم ينظرون من الانظار اي لا يمهلون ولا يوجلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة اله واحد فرد في الالهية لا شريك له فيها ولا يصح ان يسمى غيره الها ولا اله الا هو تقرير للوحدانية بنفي غيره واثباته الرحمن الرحيم المولي لجميع النعم اصولها وفروعها ولا شي سواه بهذه الصفة فان كل ما سواه اما نعمة واما منعم عليه وقيل كان للمشركين حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فلما سمعوا هذه الآية تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فائت باية نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار واعتقابهما لان كل واحد منهما يعقب الاخر كقوله جعل الليل والنهار خلفة بما ينفع الناس بالذي ينفعهم مما يحمل فيها او بنفع الناس فان قلت قوله وبث فيها عطف على انزل ام احيا قلت الظاهر انه عطف على انزل لانه داخل تحت حكم الصلة لان قوله فاحيا به الارض عطف على انزل فاتصل به وصار جميعا كالشي الواحد فكانه قيل وما انزل في الارض من ماء وبث فيها من كل دابة ويجوز عطفه على قوله احيا على معنى فاحيا بالمطر الارض وبث فيها من كل دابة لانهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحياة وتصريف

ومن يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا اشد حبا لله

ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء

أي مثل الداعي

كمثل البهايم الذي ينعق

الرياح في مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفي احوالها حارة وباردة وعاصفة وليّنة وعقما ولواقح وقيل تارة بالرحمة وتارة بالعذاب والسحاب المسخر بتسخير الرياح تقلّبه في الجو بمشية الله يمطر حيث يشاء لآيات لقوم يعقلون ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون لانها دلايل على عظيم القدرة وباهر الحكمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرا هذه الاية فمجّ بها اي لم يتفكر فيها فلم يعتبر بها وقرئ والفلك بضمتين وتصريف الريح على الافراد انداداً امثالا من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يتبعونهم ويطيعونهم وينزلون على اوامرهم ونواهيهم واستدل بقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ومعنى يحبونهم يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب كحب الله والخضوع له اي كما يحب الله على انه مصدر من المبني للمفعول وانما استغنى عن ذكر من يحبه لانه غير ملتبس وقيل كحبهم الله اي يسوّون بينه وبينهم في محبتهم لانهم كانوا يقرّون بالله ويتقربون اليه فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين اشد حبا لله لانهم لا يعدلون عنه الى غيره بخلاف المشركين فانهم يعدلون عن اندادهم الى الله عند الشدايد فيفزعون اليه ويخضعون له ويجعلونهم وسايط بينهم وبينه فيقولون الذين كفروا كمثل الذي ينعق او ومثل الذين كفروا كبهائم الذي ينعق والمعنى ومثل داعيهم الى الايمان في انهم لا يسمعون من الدعاء الا جرس النغمة ودوي الصوت من غير القاء اذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع الا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجر لها ولا تفقه شيئا آخر ولا تعي كما يفهم العقلاء ويعون ويجوز ان يراد بما لا يسمع الاصم الاصلخ

يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون
انما حرم عليكم الميتة ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم

الذي لا يسمع من كلام الرافع صوته بكلامه الا النداء والتصويت لا غير من غير فهم للحروف وقيل معناه ومثلهم في اتباعهم آباءهم وتقليدهم لهم كمثل البهايم التي لا يسمع الا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته فكذلك هولاء يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يفقهون امهم على حق ام على باطل وقيل معناه ومثلهم في دعائهم الاصنام كمثل الناعق بما لا يسمع الا ان قوله الا دعاء ونداء لا يساعد عليه لان الاصنام لا تسمع شيئا والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعي بالضان قال الاخطل فانعق بضانك يا جرير فانما منتك نفسك في الخلاء ضلالا واما نغق الغراب فبالغين المعجمة صم هم صم وهو رفع على الذم من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته لان كل ما رزقه الله لا يكون الا حلالا واشكروا لله الذي رزقكموها ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اني والجن والانس لفي نبا عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري فرئ حُرِّم على البناء للفاعل وحُرِّم على البناء للمفعول وحَرُم بوزن كرم اهل به لغير الله اي رفع به الصوت للصنم وذلك قول الجاهلية باسم اللات والعزى غير باغ على مضطر آخر بالاستيثار عليه ولا عاد سد الجوعة في الميتات ما يحل وهو السمك والجراد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احلت لنا ميتتان ودمان قصد ما يتفاهمه الناس ويتعارفونه في العادة الا ترى ان القايل اذا قال اكل فلان ميتة لم يسبق الوهم الى السمك والجراد كما لو قال اكل دما لم يسبق الى الكبد والطحال ولاعتبار العادة والتعارف قالوا فيمن حلف لا ياكل لحما فاكل سمكا

ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك ما ياكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم فما اصبرهم على النار ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق

لم يحنث وان اكل لحما في الحقيقة قال الله تعالى لتاكلوا منه لحما طريا وشبهه بمن حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وان سماه الله دابة في قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا قال ذكر لحم الخنزير دون شحمه لان الشحم داخل في ذكر اللحم لكونه تابعا له وصفة فيه بدليل قولهم لحم سمين يريدون انه شحيم في بطونهم ملء بطونهم يقول اكل فلان في بطنه واكل في بعض بطنه الا النار لانه اذا اكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار ومنه قولهم اكل فلان الدم اذا اكل الدية التي هي بدل منه قال

اكلت دما ان لم أرعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر

وقال يأكلن كل ليلة اكافا اراد ثمن الاكاف فسماه اكافا لتلبسه به لكونه ثمنا له فلا يكلمهم الله تعريض بحرمانهم حال اهل الجنة في تكرمة الله اياهم بكلامه وتزكيتهم بالثناء عليهم وقيل نفي الكلام عبارة عن غضبه عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع كلامه وقيل لا يكلمهم بما يحبون ولكن بنحو قوله اخسئوا فيها ولا تكلمون فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما اصبرك على القيد والسجن تريد انه لا يتعرض لذلك الا من هو شديد الصبر على العذاب وقيل فما اصبرهم فاي شيء صبرهم يقال اصبره على كذا وصبره بمعنى وهو على الاول مستعار معنى فعل التعجب والذي روي عن الكسائي انه قال قال لي قاضي اليمن بمكة اختصم الي رجلان من العرب فحلف احدهما على حق صاحبه فقال له ما اصبرك على الله فمعناه ما اصبرك على عذاب الله ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل ما نزل من الكتب بالحق وان الذين اختلفوا في كتب الله فقالوا في بعضها حق وفي بعضها باطل وهم اهل الكتاب لفي شقاق بعيد عن الحق والكتاب للجنس او كونهم ذلك بسبب ان الله نزل القران

ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين واتى المال على حبه

القران بالحق كما يعلمون وان الذين اختلفوا فيه من المشركين فقال بعضهم سحر وبعضهم شعر وبعضهم اساطير لفي شقاق بعيد يعني وان اوليك لو لم يختلفوا ولم يشاقوا لما حملوا ان يكفروا البر اسم للخير ولكل فعل مرضي ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الخطاب لاهل الكتاب لان اليهود تصلي قبل المغرب الى بيت المقدس والنصارى قبل المشرق وذلك انهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين ان البر التوجه الى قبلته فرد عليهم وقيل ليس البر فيما انتم عليه فانه منسوخ خارج من البر ولكن البر ما نبينه وقيل كثر خوض المسلمين واهل الكتاب في امر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي يحسب ان تذهلوا بشانه عن ساير صنوف البر امر القبلة ولكن البر الذي يجب الاهتمام به وصرف الهمة اليه بر من امن وقام بهذه الاعمال وقرى ليس البر بالنصب على انه خبر مقدم وقرا عبد الله بان تولوا على ادخال الباء على الخبر للتاكيد كقولك ليس المنطلق بزيد ولكن البر من امن على تاويل حذف المضاف اي بر من امن او بتاول البر بمعنى ذي البر او كما قالت الخنساء فانما هي اقبال وادبار وعن المبرد لو كنت ممن يقرا القران لقرات ولكن البر بفتح الباء وقرى ولكن البار وقرا ابن عامر ونافع ولكن البر بالتخفيف والكتاب جنس كتب الله او القران على حبه مع حب المال والشح به كما قال ابن مسعود رضي الله عنه ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل

ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلوة وآتى الزكوة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين
في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون

على حب الإيتاء يريد أن يعطيه وهو طيب النفس بإعطائه وقدّم ذوي القربى لأنهم
أحق قال عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان لأنها صدقة
وصلة وقال عليه السلام أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح وأطلق ذوي القربى واليتامى والمراد
الفقراء منهم لعدم الالتباس والمسكين الدائم السكون إلى الناس لأنه لا شيء له كالمسكير
الدائم السكر وابن السبيل المسافر المنقطع وجعل ابناً للسبيل لملازمته له كما يقال
للص القاطع ابن الطريق وقيل هو الضيف لأن السبيل يرعف به والسائلين المستطعمين
قال رسول الله عليه السلام للسائل حق وإن جاء على ظهر فرسه وفي الرقاب وفي فك الرقاب
وهو معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب وإعتاقها وقيل في فك
الأسارى وقد ذكر إيتاء المال في هذا الوجه ثم قفاه بإيتاء الزكوة فهل دل
ذلك على أن في المال حقاً سوى الزكوة يحتمل ذلك وعن الشعبي أن في المال حقاً
سوى الزكوة وتلا هذه الآية ويحتمل أن يكون ذلك بيان مصارف الزكوة أو يكون حثاً على نوافل
الصدقات والمبار وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة يعني وجوبها وروي ليس في المال
حق سوى الزكوة والموفون عطف على من آمن وأخرج الصابرين منصوباً على الاختصاص
والمدح إظهاراً لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الأعمال وقرئ والصابرون
وقرئ والموفين والصابرين والبأساء الفقر والشدة والضراء المرض والزمانة صدقوا
كانوا صادقين جادين في الدين عن عمر بن عبد العزيز والحسن البصري وعطاء وعكرمة وهو
مذهب مالك والشافعي أن الحر لا يقتل بالعبد والذكر لا يقتل بالأنثى أخذاً بهذه الآية

يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع

ويقولون هي مفسرة لما أبهم في قوله النفس بالنفس ولأن تلك واردة لحكاية
ما كتب في التوراة على أهلها وهذه خوطب بها المسلمون وكتب عليهم
ما فيها وعن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة والثوري
ومذهب أبي حنيفة وأصحابه أنها منسوخة بقوله النفس بالنفس والقصاص
ثابت بين العبد والحر والذكر والأنثى ويستدلون بقوله عليه السلام
المسلمون تتكافأ دماؤهم وبأن التفاضل غير معتبر في الأنفس بدليل أن جماعة
لو قتلوا واحداً قتلوا به وروي أنه كان بين حيين من أحياء العرب دماء
في الجاهلية وكان لأحدهما طول على الآخر فأقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد
والذكر بالأنثى والاثنين بالواحد فتحاكموا إلى رسول الله حين جاء الله
بالإسلام فنزلت وأمرهم أن يتباوؤوا فمن عفي له من أخيه شيء معناه
فمن عفي له من جهة أخيه شيء من العفو على أنه كقولك سير بزيد بعض السير وطائفة
من السير ولا يصح أن يكون شيء في معنى المفعول به لأن عفا لا يتعدى إلى المفعول به
إلا بواسطة وأخوه هو ولي المقتول وقيل له أخوه لأنه لابسه من قبل أنه
ولي الدم ومطالبه به كما تقول للرجل قل لصاحبك كذا لمن بينه وبينه أدنى ملابسة
أو ذكره بلفظ الأخوة ليعطف أحدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية
والإسلام إن عفا يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عفي له
يتعدى بعن إلى الجاني وإلى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال

فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم

الله تعالى عفا الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى
كما تقول عفوت له ذنبه وتجاوزت له عنه وعلى هذا ما في الآية كانه قيل فمن عفي له
عن جنايته واستغنى عن ذكر الجناية هلا فسرت عفي بترك حتى يكون
شيء في معنى المفعول به لان عفا الشيء بمعنى تركه ليس بثبت ولكن اعفاه
ومنه قوله عليه السلام واعفوا اللحى فقد ثبت قولهم عفا اثره اذا محاه وازاله
فهلا جعلت معناه فمن محي له من اخيه شيء عبارة قلقة في مكانها والعفو
في باب الجنايات عبارة متداولة مشهورة في الكتاب والسنة واستعمال الناس
فلا يعدلون عنها الى اخرى قلقة نابية عن مكانها وترى كثيرا ممن يتعاطى هذا العلم
يجترئ اذا اعضل عليه تخريج وجه للمشكل من كلام الله على اختراع لغة وادعاء على العرب
ما لا تعرفه وهذه جراة يستعاذ بالله منها لم قيل شيء من العفو قلت
للاشعار بانه اذا عفي له طرف من العفو وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم او عفا
عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم تجب الا الدية فاتباع بالمعروف
فليكن اتباع او فالامر اتباع وهذه توصية للمعفو عنه والعافي جميعا يعني فليتبع
الولي القاتل بالمعروف بان لا يعنف به ولا يطالبه الا مطالبة جميلة وليؤد
اليه القاتل بدل الدم اداء باحسان بان لا يمطله ولا يبخسه ذلك الحكم المذكور من
العفو واخذ الدية تخفيف من ربكم ورحمة لان اهل التوراة كتب عليهم القصاص البتة
والدية وخيرت هذه الامة بين الثلث القصاص والدية والعفو توسعة
عليهم وتيسيرا فمن اعتدى بعد ذلك التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل او
القتل بعد اخذ الدية فقد كان الولي في الجاهلية يؤمن القاتل بقبوله الدية ثم يظفر به
فيقتله

وحرم العفو واخذ الدية وعلى اهل الانجيل العفو وحرم القصاص والدية

فله عذاب اليم ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب لعلكم تتقون كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين

فيقتله فله عذاب اليم نوع من العذاب شديد الالم في الآخرة وعن قتادة العذاب
الاليم ان يقتل لا محالة ولا يقبل منه دية لقوله عليه السلام لا اعافي احدا قتل بعد
اخذ الدية ولكم في القصاص حيوة كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو ان القصاص قتل
وتفويت للحياة وقد جعل مكانا وظرفا للحياة ومن اصابة محز البلاغة بتعريف
القصاص وتنكير الحياة لان المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياة
عظيمة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل باخيه كليب حتى
كاد يفني بكر بن وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم التناحر
فلما جاء الاسلام بشرع القصاص كانت فيه حيوة اي حياة او نوع من الحياة وهي الحياة
الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل لانه اذا هم بالقتل فعلم انه
يقتص منه فارتدع سلم صاحبه من القتل وسلم هو من القود فكان القصاص سبب حياة
نفسين وقرا ابو الجوزاء ولكم في القصص حياة اي فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص
وقيل القصص القرآن اي لكم في القرآن حياة للقلوب كقوله روحا من امرنا ويحيى من حي
عن بينة لعلكم تتقون اي اريتكم ما في القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس
لعلكم تتقون تعملون عمل اهل التقوى في المحافظة على القصاص والحكم به وهو خطاب له
فضل اختصاص بالائمة اذا حضر احدكم الموت اذا دنا منه وظهرت اماراته خيرا
مالا كثيرا عن عائشة رضي الله عنها ان رجلا اراد الوصية وله عيال واربعمائة دينار
فقالت ما ارى فيه فضلا واراد آخر ان يوصي فسالته كم مالك فقال ثلثة الاف قالت كم عيالك

فمن بدّله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدّلونه ان الله سميع عليم فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم

قال ادبعه قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك وعن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وذكر فعلها للفاصل ولانها بمعنى ان يوصي ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدّله بعد ما سمعه والوصية للوارث كانت في بدء الاسلام فنسخت باية المواريث وبقوله عليه السلام ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث ويتلقي الامة بالقبول حتى تلحق بالمتواتر وان كان من الاحاد لانهم لا يتلقون بالقبول الا الثبت الذي صحت روايته وقيل لم تنسخ والوارث يجمع له بين الوصية والميراث بحكم الايتين وقيل نهي مخالفة لاية المواريث ومعناها كتب عليكم ما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين في قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم او كتب على المحتضر ان يوصي للوالدين والاقربين بتوفير ما اوصى به الله لهم عليهم وان لا ينقص من انصبائهم بالمعروف بالعدل وهو ان لا يوصي للغني ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث حقا مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا من بدّله فمن غيّره الايصاء عن وجهه ان كان موافقا للشرع من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه وتحققه فانما اثمه على الذين يبدّلونه فما اثم الايصاء المغيّر او التبديل الا على مبدّليه دون غيرهم من الموصي والموصى له لانهما بريئان من الحيف ان الله سميع عليم وعيد للمبدّل فمن خاف فمن توقع وعلم وهذا في كلامهم شائع يقولون اخاف ان ترسل السماء يريدون التوقع والظن الغالب الجاري مجرى العلم جنفا ميلا عن الحق في الوصية او اثما او تعمدا للحيف فاصلح بينهم بين الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون باجرائهم على طريق الشرع فلا اثم عليه حينئذ لان تبديله تبديل باطل الى حق ذكر

يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اياما معدودات فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر

من يبدّل بالباطل ثم يبدّل بالحق ليعلم ان كل تبديل لا يؤثم كما كتب على الذين من قبلكم على الانبياء والامم من لدن آدم الى عهدكم قال علي رضي الله عنه اولهم آدم يعني ان الصوم عبادة قديمة اصلية ما اخلى الله امة من افتراضها عليكم وحدكم لعلكم تتقون بالمحافظة عليها وتعظيمها لاصالتها وقدمها او لعلكم تتقون المعاصي لان الصائم اظلف لنفسه واردع لها من مواقعة السوء قال عليه السلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين لان الصوم شعارهم وقيل معناه انه كصومهم في عدد الايام وهو شهر رمضان كتب على اهل الانجيل فاصابهم موتان فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده فجعلوه خمسين يوما وقيل كان وقوعه في البرد الشديد والحر الشديد فشق عليهم في اسفارهم ومعايشهم فجعلوه بين الشتاء والربيع وزادوا عشرين يوما كفارة لتحويله عن وقته وقيل الايام المعدودات عاشوراء وثلاثة ايام من كل شهر كتب على رسول الله صيامها حين هاجر ثم نسخت بشهر رمضان وقيل كتب عليهم ان يتقوا المفطر بعد ان يصلّوا العشاء وبعد ان يناموا ثم نسخ ذلك بقوله احلّ لكم ليلة الصيام الاية ومعنى معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل كقوله دراهم معدودة واصله ان المال القليل يقدّر بالعدد ويتحكّر فيه والكثير يهال هيلا ويحثى حثيا وانتصاب اياما بالصيام كقولك نويت الخروج يوم الجمعة او على سفر او راكب سفر فعدة فعليه عدة وقرئ بالنصب بمعنى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل مكتوب عليهما ان يفطرا ويصوما عدة من ايام اخر واختلف في المرض المبيح للافطار فمن قائل كل مرض لان الله تعالى لم يخص مرضا دون مرض كما لم يخص سفرا دون سفر فكما

وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون

فكان الكل مسافرا ان يفطر فلكل مريض وعن ابن سيرين انه دخل عليه في رمضان وهو ياكل
فاعتل بوجع اصبعه وسئل مالك عن الرجل يصيبه الرمد الشديد او الصداع المضر وليس به
مرض يضجعه فقال انه في سعة من الافطار وقائل هو المرض الذي يعسر معه الصوم ويزيد فيه لقوله
تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وعن الشافعي لا يفطر حتى يجهده الجهد غير المحتمل واختلف
في اتباع القضاء فعامة العلماء على التخيير وعن ابي عبيدة بن الجراح ان الله لم يرخص لكم في فطره
وهو يريد ان يشق عليكم في قضائه ان شئت فواتر وان شئت ففرق وعن علي وابن عمر
والشعبي وغيرهم انه يقضي كما فات متتابعا وفي قراءة ابي فعدة من ايام اخر متتابعات
فان قيل فعدة على التنكير ولم يقل فعدتها اي فعدة الايام المعدودات
قلت لما قيل فعدة والعدة بمعنى المعدود فامر بان يصوم اياما معدودة مكانها علم انه لا يؤثر عدد
على عددها فاغنى ذلك عن التعريف بالاضافة وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام
الذين لا عذر بهم ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند اهل
العراق وعند اهل الحجاز مد وكان ذلك في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد
عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية وقرا ابن عباس يطوقونه تفعيل من الطوق اما بمعنى الطاقة
او القلادة اي يكلفونه او يقلدونه ويقال لهم صوموا عنه وقرئ يتطوقونه بمعنى يتكلفونه او يتقلدونه
ويطوقونه بادغام التاء في الطاء ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطيقونه واصلهما يطيوقونه
ويتطيوقونه على انهما من فيعل وتفعيل من الطوق فادغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء
كقولهم على حذف منهم وعشر ومم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء الافطار والفدية وهو على
هذا الوجه

شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر

الوجه ثابت غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى يطيقونه اي يصومونه جهدهم وطاقتهم
ومبلغ وسعهم فمن تطوع خيرا فزاد على مقدار الفدية فهو خير له فالتطوع اخير له او الخير
وقرئ من يطوع بمعنى يتطوع وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وجهدتم على انفسكم
وجهدتم طاقتكم خير لكم من الفدية وتطوع الخير ويجوز ان ينتظم في الخطاب المريض
والمسافر ايضا وفي قراءة ابي والصيام خير لكم والرمضان مصدر رمض اذا احترق
من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون كما قيل
ابن داية للغراب باضافة الابن الى داية البعير لكثرة وقوعه عليها اذا دبرت
لم يسمى شهر رمضان الصوم فيه عبادة قديمة وكانهم سموه بذلك لارتماضهم فيه من حر
الجوع ومقاساة شدته كما سموه ناتقا لانه كان ينتقهم اي يزعجهم اضجارا بشدته عليهم وقيل
لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر
ايام رمض الحر فاذا كانت التسمية واقعة مع المضاف والمضاف اليه جميعا
فما وجه ما جاء في الاحاديث من صام رمضان ايمانا واحتسابا من ادرك رمضان
فلم يغفر له هو من باب الحذف لامن الالباس كما قال بما اعيا النطاسي حذيما اراد ابن حذيم
وارتفاعه على انه مبتدا خبره الذي انزل فيه القرآن او على انه بدل من الصيام في قوله كتب عليكم
الصيام او على انه خبر مبتدا محذوف وقرئ بالنصب على صوموا شهر رمضان او على الابدال
من اياما معدودات او على انه مفعول وان تصوموا ومعنى انزل فيه القرآن ابتدئ فيه انزاله
وكان ذلك في ليلة القدر وقيل انزل جملة الى سماء الدنيا ثم نزل الى الارض نجوما وقيل انزل في شانه القرآن

يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم لعلكم تشكرون

وهو اول كتب عليكم الصيام كما تقول انزل في عمر كذا وفي علي كذا وعن النبي عليه السلام نزلت صحف ابرهيم
اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلث عشرة والقرآن لاربع وعشرين
هدى للناس وبينات نصب على الحال اي انزل وهو هداية للناس الى الحق وهو آيات واضحات
مكشوفات مما يهدي الى الحق ويفرق بين الحق والباطل ما معنى قوله وبينات
من الهدى بعد قوله هدى للناس ذكر اولا انه هدى ثم ذكر انه بينات من جملة ما
هدى به الله وفرق به بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى
والضلال فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن كان شاهدا اي حاضرا مقيما غير مسافر في الشهر فليصم فيه ولا يفطر
والشهر منصوب على الظرف وكذلك الهاء في فليصمه ولا يكون مفعولا به كقولك شهدت الجمعة لان المقيم
والمسافر كلاهما شاهدان للشهر يريد الله ان ييسر عليكم ولا يعسر وقد نفى الحرج عنكم في الدين وامركم
بالحنيفية السمحة التي لا اصر فيها ومن جملة ذلك ما رخص لكم فيه من اباحة الفطر في السفر والمرض
ومن الناس من فرض الفطر على المريض والمسافر حتى زعم ان من صام منهما فعليه الاعادة
وقرئ العسر واليسر بضمتين الفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره ولتكملوا
العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من امر الشاهد
بصوم الشهر وامر المرخص له بمراعاة عدة ما افطر فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر فقوله لتكملوا
علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا الله علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم
تشكرون علة الترخيص والتيسير وهذا نوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد يهتدي الى تبينه
الا النقاب المحدث من علماء البيان وانما عدي فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه

فاذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن

مضمنا معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ومعنى ولعلكم تشكرون وارادة ان
تشكروا وقرئ ولتكملوا بالتشديد هل يصح ان يكون ولتكملوا معطوفا على علة مقدرة
كانه قيل لتعلموا ما تعملون ولتكملوا العدة او على اليسر كانه قيل يريد الله بكم اليسر و
يريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا لا يبعد ذلك والاول اوضح والتكبير
تعظيم الله والثناء عليه وقيل هو تكبير يوم الفطر وقيل هو التكبير عند الاهلال فاني
قريب تمثيل لحاله في سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه حاجة من سأله بحال من قرب
مكانه فاذا دعي اسرعت تلبيته ونحوه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقوله عليه
السلام هو بينكم وبين اعناق رواحلكم وروي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب
ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت فليستجيبوا لي اذا دعوتهم الى الايمان و
الطاعة كما اني اجيبهم اذا دعوني لحوائجهم وقرئ يرشدون بفتح الشين وكسرها كان
الرجل اذا امسى حل له الاكل والشرب والجماع الى ان يصلي العشاء الآخرة او يرقد فاذا
صلاها او رقد فلم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى القابلة ثم ان عمر رضي
الله عنه واقع اهله بعد صلوة العشاء الآخرة فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى
النبي عليه السلام وقال يا رسول الله اني اعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة و
اخبره بما فعل فقال عليه السلام ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا
صنعوا بعد العشاء فنزلت وقرئ احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم وقرأ
عبد الله الرفوث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه كلفظ النيك وقد ارفث الرجل

وعن ابن عباس انه انشد وهو محرم وهن يمشين بنا هميسا ان تصدق الطير ننك لميسا
فقيل له ارفثت فقال انما الرفث ما كان عند النساء وقال تعالى فلا رفث ولا فسوق
فكنى به عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من شيء من ذلك لم كنى عنه ههنا بلفظ الرفث الدال
على معنى القبح بخلاف قوله وقد افضى بعضكم الى بعض فلما تغشاها باشروهن او لامستم النساء
دخلتم بهن فأتوا حرثكم من قبل ان تمسوهن فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن
استهجانا لما وجد منهم قبل الاباحة كما سماه اختيانا لانفسهم لم عدى الرفث بالى
لتضمنه معنى الافضاء لما كان الرجل والمراة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه
في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه قال الجعدي اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت
عليه لباسا ما موقع قوله هن لباس لكم هو استيناف كالبيان لسبب الاحلال وهو
انه اذا كان بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن
فلذلك رخص لكم في مباشرتهن تختانون انفسكم تظلمونها وتنقصونها حظها من الخير والاختيان
من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة فتاب عليكم حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور
وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قسم الله لكم واثبت في اللوح من الولد بالمباشرة اي لا
تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل وقيل هو نهي
عن العزل لانه في الحراير وقيل ابتغوا المحل الذي كتب الله لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من
المحل المحرم وعن قتادة وابتغوا ما كتب الله لكم من الاباحة بعد الحظر وقرا ابن عباس واتبعوا
وقرا الاعمش وأتوا وقيل معناه واطلبوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب

ان اصبحتموها وقمتوها وهو قريب من بدع التفاسير الخيط الابيض اول ما يبدو من الفجر المعترض
في الافق كالخيط الممدود والخيط الاسود ما يمتد معه من غبش الليل شبها بخيطين ابيض واسود
قال ابو دواد فلما اضاءت لنا سدفة ولاح من الصبح خيط انارا ومن الفجر
بيان للخيط الابيض واكتفى به عن بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما بيان للثاني ويجوز
ان يكون من للتبعيض لانه بعض الفجر واوله اهذا من باب الاستعارة ام من باب
التشبيه قوله من الفجر اخرجه من باب الاستعارة كما ان قولك رايت اسدا مجاز
فاذا زدت من فلان رجع تشبيها فلم زيد من الفجر حتى كان تشبيها وهلا اقتصر به على
الاستعارة التي هي ابلغ من التشبيه وادخل في الفصاحة لان من شرط المستعار
ان يدل عليه الحال او الكلام ولو لم يذكر من الفجر لم يعلم ان الخيطين مستعاران فزيد من الفجر فكان
تشبيها بليغا وخرج من ان يكون استعارة فكيف التبس على عدي بن حاتم مع هذا
البيان حتى قال عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادي فكنت اقوم من الليل
فانظر اليهما فلا يتبين لي الاسود من الابيض فلما اصبحت غدوت الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاخبرته فضحك وقال ان كان وسادك لعريضا ويروى انك لعريض القفا انما ذاك بياض
النهار وسواد الليل غفل عن البيان ولذلك عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قفاه لما
يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته وانشدتني بعض البدويات لبدوي عريض القفا
ميزانه في شماله قد انحص من صب الغوادي شاربه فما تقول فيما روي عن سهل بن سعد
الساعدي انها نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجله الخيط

في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها

الابيض والخيط الاسود فلا يزال ياكل ويشرب حتى يتبين له فنزل بعد ذلك من الفجر فعلموا
انه انما يعني بذلك الليل والنهار وكيف جاز تاخير البيان وهو يشبه العبث حيث لا يفهم
منه المراد اذ ليس باستعمال لعقد الدلالة ولا بتشبيه قبل ذكر الفجر فلا يفهم منه اذن الا
الحقيقة وهي غير مرادة اما من لا يجوز تاخير البيان وهم اكثر الفقهاء والمتكلمين
وهو مذهب ابو علي وابي هاشم فلم يصح عندهم هذا الحديث واما من يجوزه فيقول ليس بعبث
لان المخاطب يستفيد منه وجوب الخطاب ويعزم على فعله اذا استوضح المراد به ثم اتموا
الصيام الى الليل قالوا فيه دليل على جواز النية بالنهار في صوم رمضان وعلى جواز تاخير
الغسل الى الفجر وعلى نفي صوم الوصال عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف ان يحبس
نفسه في المسجد يتعبد فيه والمراد بالمباشرة الجماع لما تقدم من قوله احل لكم ليلة الصيام الرفث
الى نسائكم فالآن باشروهن وقيل معناه ولا تلامسوهن لشهوة والجماع يفسد الاعتكاف
وكذلك اذا لمس او قبل فانزل وعن قتادة كان الرجل اذا اعتكف خرج فباشر امراته ثم
رجع الى المسجد فنهاهم الله عن ذلك وقالوا فيه دليل على ان الاعتكاف لا يكون الا في المسجد وانه لا يختص
بمسجد دون مسجد وقيل لا يجوز الا في مسجد نبي وهو احد المساجد الثلاثة وقيل مسجد جامع
والعامة على انه في مسجد جماعة وقرئ مجاهد في المسجد تلك الاحكام التي ذكرت حدود الله فلا
تقربوها ولا تغشوها كيف قيل فلا تقربوها مع قوله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود
الله من كان في طاعة الله والعمل بشرايعه فهو متصرف في حيز الحق فنهي ان يتعداه
لان من يتعداه وقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي ان يقرب الحد الذي هو الحاجز بين

كذلك يبين الله اياته للناس لعلهم يتقون ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتاكلوا فريقا من اموال
الناس بالاثم وانتم تعلمون يسئلونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج ١٢٧

حيزي الحق والباطل لئلا يداني الباطل وان يكون في الواسطة متباعدا عن الطرف فضلا
ان يتخطاه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه
فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه فالرتع حول الحمى وقربان حيزه واحد ويجوز ان يريد
بحدود الله محارمه ومناهيه خصوصا لقوله فلا تباشروهن وهي حدود لا تقرب ولا ياكل
بعضكم مال بعض بالباطل بالوجه الذي لم يبحه الله ولم يشرعه ولا تدلوا بها ولا تلقوا
امرها والحكومة فيها الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم فريقا طايفة من اموال الناس بالاثم بشهادة
الزور او باليمين الكاذبة او بالصلح مع العلم بطريق المقضي بان المقضي له ظالم وعن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال للخصمين انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض
فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فلا ياخذن منه شيئا فانما اقضي له
قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل
واحد منكما صاحبه وقيل وتدلوا بها اي وتلقوا بعضها الى حكام السوء على وجه الرشوة
وتدلوا بها مجزوم داخل في حكم النهي او منصوب باضمار ان كقوله وتكتموا الحق وانتم تعلمون
انكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها اقبح وصاحبها احق بالتوبيخ روي ان
معاذ بن جبل وثعلبة بن غنيم الانصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا
مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلي ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حال
واحد فنزلت مواقيت معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم و
صومهم وفطرهم وعدد نسائهم وايام حيضهن ومدد حملهن وغير ذلك ومعالم

وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون وقاتلوا

للحج يعرف بها وقته كان ناس من الانصار اذا احرموا لم يدخل احد منهم حائطا ولا دارا
ولا فسطاطا من باب فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ
سلما يصعد فيه وان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخباء فقيل لهم ليس البر بتحرجكم
من دخول الباب ولكن البر بر من اتقى ما حرم الله ما وجه اتصاله بما قبله
كانه قيل لهم عند سؤالهم عن الاهلة وعن الحكمة في نقصانها وتمامها معلوم ان كل ما يفعله الله تعالى
لا يكون الا حكمة بالغة ومصلحة لعباده فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها
انتم مما ليس من البر في شيء وانتم تحسبونها برا ويجوز ان يجري ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر
انها مواقيت للحج لانه كان من افعالهم في الحج ويحتمل ان يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم في سؤالهم
وان مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخله من ظهره والمعنى ليس البر وما ينبغي
ان تكونوا عليه بان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله
ثم قال واتوا البيوت من ابوابها اي باشروا الامور من وجوهها التي يجب ان تباشر عليها و
لا تعكسوا والمراد وجوب توطين النفوس وربط القلوب على ان جميع افعال الله حكمة
وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسال عنه لما في السؤال من الاتهام
لمقارفة الشك لا يسال عما يفعل وهم يسالون المقاتلة في سبيل الله هو الجهاد لاعلاء
كلمة الله واعزاز الدين الذين يقاتلونهم الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى
هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا المشركين كافة وعن الربيع بن انس هي اول اية نزلت
في القتال بالمدينة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتل ويكف عمن كف او

في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين

واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام

الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من اهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان
والنساء او الكفرة كلهم لانهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم فهم في حكم المقاتلة
قاتلوا او لم يقاتلوا وقيل لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه
على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلثة ايام فرجع لعمرة القضاء خاف المسلمون ان لا
تفي لهم قريش ويصدوهم ويقاتلوهم في الحرم وفي الشهر الحرام وكرهوا ذلك نزلت
واطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم منهم في الحرم وفي الشهر الحرام ورفع عنهم الجناح في ذلك ولا
تعتدوا بابتداء القتال او بقتال من نهيتم عن قتاله من النساء والشيوخ والصبيان و
الذين بينكم وبينهم عهدا او بالمثلة او بالمفاجاة من غير دعوة حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم
في حل او حرم والثقف وجود على وجه الاخذ والغلبة ومنه رجل ثقف سريع الاخذ لاقرانه
قال فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل المحنة
والبلاء الذي ينزل بالانسان يتعذب به اشد عليه من القتل وقيل لبعض الحكماء
ما اشد من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت جعل الاخراج من الوطن من الفتن والمحن
التي يتمنى عندها الموت ومنه قول القائل لقتل بحد السيف اهون موقعا على النفس من
قتل بحد فراق وقيل الفتنة عذاب الآخرة ذوقوا فتنتكم وقيل الشرك اعظم من القتل
في الحرم وذلك انهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم ويعيبون به المسلمين فقيل والشرك
الذي هم عليه اشد واعظم مما يستعظمونه ويجوز ان يراد وفتنتهم اياكم بصدكم عن المسجد الحرام

حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا فان الله غفور رحيم وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص

اشد من قتلكم اياهم في الحرم ومن قتلهم اياكم ان قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم جعل وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم يقال قتلتنا بنو فلان وقال فان تقتلونا نقتلكم فان انتهوا عن الشرك والقتال كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف حتى لا تكون فتنة اي شرك ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين فلا تعدوا على المنتهين لان مقاتلة المنتهين عدوان وظلم فوضع قوله الا على الظالمين موضع على المنتهين او فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين سمي جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او اريد انكم ان تعرضتم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعدو عليكم قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك في ذي القعدة الشهر الحرام بالشهر الحرام اي هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه يعني تهتكون حرمته عليكم والحرمات قصاص اي وكل حرمة يجري فيها القصاص من هتك حرمة اي حرمة كانت اقتص منه بان تهتك له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم مثل ذلك ولا تبالوا وأكد ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله في حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا الى ما لا يحل لكم الباء في بايديكم مزيدة مثلها في اعطى بيده للمنقاد والمعنى ولا تقبضوا التهلكة ايديكم اي لا تجعلوها آخذة بايديكم مالكة لكم وقيل بايديكم بانفسكم وقيل تعبير ولا تلقوا انفسكم بايديكم كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها والمعنى النهي عن ترك الانفاق في سبيل الله لانه سبب الهلاك او عن الاسراف في النفقة

فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين

حتى يفقر نفسه ويضيع عياله او عن الاستقتال والاخطار بالنفس او عن ترك الغزو والذي هو تقوية للعدو وروي ان رجلا من المهاجرين حمل على صف العدو فصاح به الناس القى بيده الى التهلكة فقال ابو ايوب الانصاري نحن اعلم بهذه الاية وانما نزلت فينا صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصرناه وشهدنا معه المشاهد وآثرناه على اهالينا واموالنا واولادنا فلما فشا الاسلام وكثر اهله ووضعت الحرب اوزارها رجعنا الى اهالينا واولادنا واموالنا نصلحها ونقيم فيها وكانت التهلكة الاقامة في الاهل والمال وترك الجهاد وحكى ابو علي في الحلبيات عن ابي عبيدة التهلكة والهلاك والهلك واحد قال فدل هذا من قوله على ان التهلكة مصدر ومثله ما حكاه سيبويه من قولهم التضرة والتسرة ونحوها في الاعيان التنضبة والتتفلة ويجوز ان يقال اصلها التهلكة كالتجربة والتبصرة ونحوها على انها مصدر من هلك فابدل من الكسرة ضمة كما جاء الجوار والجوار واتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله تعالى من غير توان ولا نقصان يقع منكم فيهما قال ذو الرمة تمام الحج ان تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام جعل الوقوف عليها كبعض مناسك الحج الذي لا يتم الا به وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك روي ذلك عن علي وابن عباس وابن مسعود وقيل ان تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد حجة كوفية وعمرة كوفية افضل

واتموا الحج والعمرة

وقيل ان يكون النفقة حلالا وقيل ان تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشيء من التجارة والاغراض الدنيوية — هل فيه دليل على وجوب العمرة — ما هو الامر باتمامها ولا دليل في ذلك على كونهما واجبين او تطوعين فقد يومر باتمام الواجب والتطوع جميعا الا ان تقول الامر باتمامهما امر بادائهما بدلالة قراءة من قرا واقيموا الحج والعمرة والامر للوجوب في اصله الا ان يدل دليل على خلاف الوجوب كما دل في قوله فاصطادوا فانتشروا ونحو ذلك فيقال لك فقد دل الدليل على نفي الوجوب وهو ما روي انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير لك وعنه عليه السلام الحج جهاد والعمرة تطوع فقد روي عن ابن عباس انه قال ان العمرة لقرينة الحج وعن عمر ان رجلا قال له اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك وقد نظمت مع الحج في الامر بالاتمام فكانت واجبة مثل الحج كونها قرينة الحج ان القارن يقرن بينهما وانهما يقترنان في الذكر فيقال حج فلان واعتمر والحجاج والعمار ولانها الحج الاصغر ولا دليل في ذلك على كونها قرينة في الوجوب واما حديث عمر فقد فسر الرجل كونهما مكتوبين عليه بقوله اهللت بهما جميعا واذا اهل بالعمرة وجبت عليه كما لو كبر بالتطوع من الصلوة والدليل الذي ذكرناه اخرج العمرة من صفة الوجوب فبقي الحج وحده فيهما فهما بمنزلة قولك

صمت شهر رمضان وستة من شوال فانك تذكر مفروضا وتطوعا وقرا علي وابن مسعود والعمرة لله بالرفع كانهم قصدوا بذلك اخراجها عن حكم الحج وهو الوجوب فان احصرتم يقال احصر فلان اذا منعه امر من خوف او مرض او عجز قال الله تعالى الذين احصروا في سبيل الله وقال ابن ميادة وما هجر ليلى ان تكون تباعدت عليك ولا ان احصرتك شغول وحصر اذا حبسه عدو عن المضي او سجن ومنه قيل للمحبس الحصير وللملك الحصير لانه محجوب هذا هو الاكثر في كلامهم وهما بمعنى المنع في كل شيء مثل صده واصده وكذلك قال الفراء وابو عمرو الشيباني وعليه ابو حنيفة كل منع عنده من عدو كان او مرض او غيرهما معتبر في اثبات حكم الاحصار وعند مالك والشافعي منع العدو وحده وعن النبي عليه السلام من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل فما استيسر منه يقال يسر الامر واستيسر كما يقال صعب الامر واستصعب والهدي جمع هدية كما يقال في جدية السرج جدي وقرئ من الهدي بالتشديد جمع هدية كمطي ومطية يعني فان منعتم من المضي الى البيت وانتم محرمون بحج او عمرة فعليكم اذا اردتم التحلل ما استيسر من الهدي من بعير او بقرة او شاة اين ومتى ينحر هدي المحصر — الا ان كان حاجا فبالحرم متى شاء عند ابي حنيفة يبعث ويجعل للمبعوث على يده يوم امارة وعندهما في ايام النحر وان كان معتمرا فبالحرم في كل وقت عندهم جميعا وما استيسر رفع بالابتداء اي فعليه ما استيسر

ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففدية من صيام او صدقة او نسك فاذا امنتم
فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم

او نصب علي فاهدوا ما استيسر ولا تحلقوا رؤسكم الخطاب
للمحصرين اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي الذي بعثتموه
الي الحرام بلغ محله اي مكانه الذي يجب نحره فيه ومحل الدين وقت
وجوب قضائه وهو ظاهر علي مذهب ابي حنيفه فان
النبي عليه السلام نحر هديته حيث احصر كان يحصر
طرف الحد الذي الي اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم وقال الواقدي
الحديبية هي طرف الحرم علي تسعة اميال من مكة فمن كان منكم
مريضا فمن كان به مرض يحوجه الي الحلق او به اذى من راسه وهو
القمل او الجراحة فعليه اذا احتلق فدية من صيام ثلثة ايام او صدقة
علي مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر او نسك وهو شاة وعن
كعب بن عجرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لعلك اذاك
هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق راسك وصم ثلثة ايام او
اطعم ستة مساكين او انسك شاة وكان كعب يقول في نزلت
هذه الاية وروي انه مر به وقد قرح راسه فقال كفى بهذا اذى
وامره ان يحلق ويطعم او يصوم والنسك مصدر وقيل جمع نسيكة
وقرا الحسن او نسك بالتخفيف اي بالسكون فاذا امنتم الحصار

معه فاذا لم تحصروا وكنتم في حال امن وسعة فمن تمتع اي استمتع بالعمرة
الى الحج واستمتاعه بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها الى الله
قبل الانتفاع بتقربه بالحج وقيل اذا حل من عمرته انتفع باستباحة ما كان
محرما عليه الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي هو هدي المتعة وهو نسك
عند ابي حنيفه ويأكل منه وعند الشافعي يجري مجرى الجنايات ولا يأكل منه ويذبحه
يوم النحر عندنا وعنده يجوز ذبحه اذا احرم بحجته فمن لم يجد الهدي فعليه صيام
ثلثة ايام في الحج اي في وقته وهو اشهره ما بين الاحرامين احرام العمرة واحرام الحج
وهو مذهب ابي حنيفه والافضل ان تصوم يوم التروية وعرفة ويوما قبلهما
وان مضى هذا الوقت لم يجزه الا الدم وعند الشافعي لا يصام الا بعد الاحرام
بالحج متمسكا بظاهر قوله في الحج وسبعة اذا رجعتم بمعنى اذا نفرتم وفرغتم من افعال
الحج عند ابي حنيفه وعند الشافعي هو الرجوع الى اهليهم وقرا ابن ابي عبلة وسبعة بالنصب
عطفا على محل ثلثة ايام وكانه قيل فصيام ثلثة ايام كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة
يتيما فما فائدة الفذلكة الواو قد تجيء للاباحة في نحو قولك جالس الحسن
وابن سيرين الا ترى انه لو جالسهما جميعا او واحدا منهما كان ممتثلا ففذلكت
نفيا لتوهم الاباحة وايضا ففائدة الفذلكة في كل حساب ان يعلم العدد جملة كما
علم تفصيلا ليحاط به من جهتين فيتأكد العلم وفي امثال العرب علمان خير
من علم وكذلك كاملة تاكيد اخر وفيه زيادة توصية بصيامها وان لا يتهاون

لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا ان الله شديد العقاب الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق
ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله

ولا ينقص من عددها كما يقول للرجل اذا كان لك اهتمام بامر تام من به وكان منك بمنزل
الله الله لا تقصر وقيل كاملة في وقوعها بدلا من الهدي وفي قراءة ابي فصيام ثلثة
متتابعات ذلك اشارة الى التمتع عند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله لا متعة ولا
قران لحاضري المسجد الحرام عندهم ومن تمتع منهم او قرن كان عليه دم وهو دم جناية
لا ياكل منه واما القارن والمتمتع من الافاق فدمهما دم نسك ياكلان منه وعند الشافعي
رحمه الله اشارة الى الحكم الذي هو وجوب الهدي او الصيام ولم يوجب عليهم شيا
وحاضرو المسجد الحرام اهل المواقيت فمن دونها الى مكة عند ابي حنيفة وعنده اهل الحرم
ومن كان من الحرم على مسافة لا تقصر فيها الصلوة واتقوا الله في المحافظة على حدوده
وما امركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره واعلموا ان الله شديد العقاب لمن خالف ليكون
علمكم بشدة عقابه لطفا لكم في التقوى اي وقت الحج اشهر كقولك البرد شهران
والاشهر المعلومات شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة عند ابي حنيفة رحمه الله وعند
الشافعي رحمه الله تسع ذي الحجة وليلة يوم النحر وعند مالك رح ذو الحجة كله

ما فائدة توقيت الحج بهذه الاشهر   فائدة ان شيا من افعال الحج لا يصح
الا فيها والاحرام بالحج لا ينعقد ايضا عند الشافعي في غيرها وعند ابي حنيفة رحمه الله ينعقد
الا انه مكروه   كيف قوله تعالى وقد صغت قلوبكما فلا سوال فيه اذن وانما كان يكون
موضعا للسوال لو قيل ثلثة اشهر معلومات وقيل نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال
رايتك سنة كذا او على عهد فلان ولعل العهد عشرون او اكثر وانما رآه ساعة منها

ما وجه مذهب مالك رحمه وهو مروي عن عروة ابن الزبير   قالوا
وجهه ان العمرة غير مستحبة فيها عند عمر وابن عمر رضي الله عنهما فكانها مخلصة للحج
لا مجال فيها للعمرة وعن عمر رضي الله عنه انه قال لرجل ان اطعتني انتظرت حتى
اذا اهللت المحرم خرجت اليه ذات عرق فاهللت منها بعمرة وقالوا
لعل من مذهب عروة جواز تاخير طواف الزيارة الى آخر الشهر معلومات عند
الناس لا يشكل عليهم وفيه ان الشرع علم بان على خلاف ما عرفوه وانما جاء مقررا
لمن فرض فيهن الحج فمن الزمه نفسه بالتلبية او بتقليد الهدي وسوقه عند ابي
حنيفة رحمه الله وعند الشافعي رحمه الله بالنية فلا رفث فلا جماع لانه يفسده
او فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشريعة وقيل
هو السباب والتنابز بالالقاب ولا جدال ولا مراء مع الرفقاء والخدم
والمكارين وانما امر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل حال
لانه مع الحج اسمج كلبس الحرير في الصلوة والتطريب في قراءة القرآن والمراد
بالنفي وجوب انتفائها وانها حقيقة بان لا تكون وقرئ المنفيات الثلاث بالنصب
والرفع وقرا ابو عمرو وابن كثير الاولين بالرفع والاخير بالنصب لانهما حملا
الاولين على معنى النهي كانه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق والثالث على معنى
الاخبار بانتفاء الجدال وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج
سنة ويؤخرونه سنة وهو النسيء فرد الى وقت واحد ورد الوقوف الى

الا عرفه فاخبر الله قد ارتفع الخلاف في الحج واستدل على ان المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال بقوله عليه السلام من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كيوم ولدته امه وانه لم يذكر الجدال وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي عن الشر وان يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة او جعل فعل الخير عبارة عن ضبط انفسهم حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه وينصره قوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي اجعلوا زادكم الى الاخرة اتقاء القبائح فان خير الزاد اتقاؤها وقيل كان اهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون ونحن نحج بيت الله افلا يطعمنا فيكونون كلا على الناس فنزلت فيهم ومعناه وتزودوا واتقوا الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى واتقون وخافوا عقابي يا اولي الالباب يعني ان قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقه من الالباء فكانه لا لب له فضلا من ربكم عطاء منه وتفضلا وهو النفع والربح بالتجارة وكان ناس من العرب يتأثمون ان يتجروا ايام الحج واذا دخل العشر كفوا عن البيع والشرى فلم تقم لهم سوق ويسمون من يخرج بالتجارة الداج ويقولون هؤلاء الداج وليسوا بالحاج وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها ايام الموسم وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا فرفع عنهم الجناح في ذلك وابيح لهم وانما يباح ما لم يشغل عن العبادة وعن ابن عمر ان رجلا قال له انا قوم نكري في هذا الوجه وان قوما يزعمون

ان لا حج لنا فقال سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سألت فلم يرد عليه حتى نزل ليس عليكم جناح فدعاه فقال انتم حجاج وعن عمر رضي الله عنه انه قيل له هل كنتم تكرهون في الحج فقال وهل كانت معايشنا الا من التجارة في الحج وقرا ابن عباس من فضلا من ربكم في مواسم الحج ان تبتغوا في ان تبتغوا افضتم دفعتم بكثرة وهو من افاضة الماء وهو صبه بكثرة واصله افضتم انفسكم فترك ذكر المفعول كما ترك في دفعوا من موضع كذا وصبوا وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه صب في دقران وهو يحرش بعيره بمحجنه ويقال افاضوا في الحديث وهضبوا فيه عرفات علم للموقف سمي بجمع كاذرعات هلا منعت الصرف وفيها السببان التعريف والتأنيث لان التأنيث اما ان يكون بالتاء التي في لفظها واما بتاء مقدرة كما في سعاد فالتي في لفظها ليست للتأنيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث ولا يصح تقدير التاء فيها لان هذه التاء لاختصاصها بجمع المؤنث مانعة من تقديرها كما لا يقدر تاء التأنيث في بنت لان التاء التي هي بدل من الواو لاختصاصها بالمؤنث كتاء التأنيث فأبت تقديرها وقالوا سميت بذلك لانها وصفت لابرهيم عليه السلام فلما ابصرها عرفها وقيل ان جبريل حين كان يدور به في المشاعر اراه اياها فقال قد عرفت وقيل التقى فيها آدم وحوا فتعارفا وقيل لان الناس يتعارفون فيها والله اعلم بحقيقته وكرم هي من الاسماء المرتجلة لان العرفة لا تعرف في اسماء الاجناس الا ان تكون جمع عارف وقيل فيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة لا تكون الا بعده وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحج عرفة فمن ادرك

عرفة فقد ادرك الحج فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات
وقيل بصلاة المغرب والعشاء والمشعر الحرام قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام
وعليه الميقدة وقيل المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة من مازمي عرفة الى وادي محسر
وليس المازمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام والصحيح انه الجبل لما روى جابر ان
النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام
فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وقوله تعالى عند المشعر الحرام معناه
مما يلي المشعر الحرام قريبا وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها
موقف الا وادي محسر او جعلت اعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة
به عند المشعر والمشعر المعلم لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته وعن ابن عباس
رضي الله عنهما انه نظر الى الناس ليلة جمع فقال لقد ادركت الناس هذه الليلة لا ينامون
وقيل سميت المزدلفة وجمعا لان آدم اجتمع فيها مع حواء وازدلف اليها اي دنا
منها وعن قتادة لانه يجمع فيها بين الصلاتين ويجوز ان يقال وصفت بفعل اهلها
لانهم يزدلفون الى الله اي يتقربون بالوقوف فيها كما هداكم ما مصدرية او كافة والمعنى
اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة او اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا
عنه وان كنتم من قبله من قبل الهدى لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه
وتعبدونه وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة ثم افيضوا ثم لتكن افاضتكم
من حيث افاض الناس ولا تكن من المزدلفة وذلك لما كان عليه الحمس من الترفع على الناس

فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا
الله ان الله غفور فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم
آباءكم او اشد ذكرا

وقف

والتعالي عليهم وتعظمهم عن ان يساووهم في الموقف وقولهم نحن اهل الله وقطان حرمه
فلا نخرج منه فيقفون بجمع وسائر الناس بعرفات فكيف موقع ثم
نحو موقعها في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم تاتي بثم لتفاوت ما بين الاحسان
الى الكريم والاحسان الى غيره وبعد ما بينهما فكذلك حين امرهم بالذكر عند الافاضة
من عرفات قال ثم افيضوا لتفاوت ما بين الافاضتين وان احديهما صواب والثانية
خطا وقيل من حيث افاض الناس وهم الحمس اي من المزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفات
وقرئ من حيث افاض الناس بكسر السين اي الناسي وهو آدم من قوله ولقد عهدنا
الى آدم من قبل فنسي يعني ان الافاضة من عرفات شرع قديم فلا تخالفوا عنه واستغفروا
الله من مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم فاذا قضيتم مناسككم فاذا فرغتم
من عباداتكم الحجية ونفرتم فاذكروا الله كذكركم آباءكم فاكثروا ذكر الله وبالغوا
فيه كما تفعلون في ذكر آبائكم ومفاخركم وايامهم فكانوا اذا قضوا مناسكهم وقفوا
بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعددون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن ايامهم
او اشد ذكرا في موضع جر عطف على ما اضيف اليه الذكر في قوله كذكركم كما يقول كذكر
قريش آباءهم او قوم اشد منهم ذكرا او في موضع نصب عطف على آباءكم بمعنى او اشد
ذكرا من آبائكم على ان ذكرا من فعل المذكور فمن الناس من يقول معناه اكثروا ذكر الله
ودعاءه فان الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله الا اعراض الدنيا ومكثر
يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين آتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا اي اعطاءنا

وقنا عذاب النار اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب واذكروا الله في ايام معدودات
فمن تعجل في يومين

في الدنيا خاصة وماله في الآخرة من خلاق اى من طلب خلاق وهو النصيب اولئك الداعي في الآخرة من نصيب لان همه مقصور على الدنيا والحسنات ما هو طلبة الصالحين في الدنيا من الصحة والكفاف والتوفيق في الخير وطلبتهم في الآخرة من الثواب وعن علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المراة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امراة السوء اولئك الداعون بالحسنتين لهم نصيب مما كسبوا اى نصيب من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذى هو المنافع الحسنة او من اجل ما كسبوا كقوله مما خطاياهم اغرقوا فادخلوا نارا او لهم نصيب مما دعوا به نعطيهم منه ما يستوجبونه بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الآخرة وسمى الدعاء كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب بما كسبت ايديكم ويجوز ان يكون اولئك للفريقين جميعا وان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا والله سريع الحساب يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب العباد فبادروا اكثار الذكر وطلب الآخرة او وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة اعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر منه روى انه يحاسب الخلق في قدر حلب شاة وروى في مقدار فواق ناقة وروى في مقدار لمحة الايام المعدودات ايام التشريق وذكر الله فيها التكبير في ادبار الصلوات وعند الجمار وعن عمر رضي الله عنه انه كان يكبر في فسطاطه بمنى فيكبر من حوله حتى يكبر الناس في الطريق وفي الطواف فمن تعجل فمن عجل في النفر او استعجل النفر وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل في الامر واستعجل ومتعديين

مقال

ولا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا

121

يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة اوفق لقوله ومن تأخر كما هى كذلك في قوله قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل لاجل المتأني في يومين بعد يوم النحر يوم القر وهو اليوم الذى يسميه اهل مكة يوم الرؤس واليوم بعده ينفر اذا فرغ من رمى الجمار كما يفعل الناس اليوم وهو مذهب الشافعي ويروى عن قتادة وعند ابى حنيفة واصحابه ينفر قبل طلوع الفجر ومن تأخر حتى رمى في اليوم الثالث والرمى في اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند ابى حنيفة وعند الشافعي لا يجوز كيف قال فلا اثم عليه عند التعجل والتأخر جميعا دلالة على ان التعجل والتأخر مخير فيهما كانه قيل فتأخروا او تعجلوا اليس التأخر بافضل بل يجوز ان يقع التخيير بين الفاضل والافضل كما خير المسافر بين الصوم والافطار وان كان الصوم افضل وقيل ان اهل الجاهلية كانوا فريقين منهم من جعل المتعجل اثما ومنهم من جعل المتأخر اثما فورد القران بنفى المأثم عنهما جميعا لمن اتقى اى ذلك التخيير ونفى الاثم عن المتعجل والمتأخر لاجل الحاج المتقى لئلا يتخالج في قلبه شئ منهما فيحسب ان احدهما يرهق صاحبه اثام في الاقدام عليه لان ذا التقوى حذر متحرز في كل ما يريبه ولانه هو الحاج في الحقيقة عند الله ثم قال واتقوا الله ليعبأ بكم ويجوز ان يراد ذلك الذى مر ذكره من احكام الحج وغيره لمن اتقى لانه هو المنتفع به دون من سواه كقوله ذلك خير للذين يريدون وجه الله من يعجبك قوله اى يروقك ويعظم في قلبك ومنه الشئ العجيب الذى يعظم في النفس وهو الاخنس بن شريق كان رجلا حلو المنطق اذا لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الان له القول وادعى انه يحبه وانه مسلم

ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد

وتعالى يعلم الله انه صادق وقيل هو عام في المنافقين كانت تحلو لي السنتهم وقلوبهم امر من الصبر بم يتعلق قوله في الحيوة الدنيا

بالقول اي يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا لان ادعاءه المحبة بالباطل يطلب به حظا من حظوظ الدنيا ولا يريد به الاخرة كما تراد بالايمان الحقيقي والمحبة الصادقة للرسول عليه السلام فكلامه في الدنيا لا في الاخرة ويجوز ان يتعلق بيعجبك اي قوله حلو فصيح في الدنيا فهو يعجبك ولا يعجبك في الاخرة لما يرهقه في المواقف من الحبسة واللكنة او لانه لا يؤذن له في الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه ويشهد الله على ما في قلبه اي يحلف ويقول الله شاهد على ما في قلبي من محبتك ومن الاسلام وقرئ ويشهد الله وفي مصحف ابي رحمه ويستشهد الله وهو الد الخصام وهو شديد الجدال والعداوة للمسلمين وقيل كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا واهلك مواشيهم واحرق زروعهم والخصام المخاصمة واضافة الالد بمعنى في كقولهم ثبت الغدر او جعل الخصام الدا على المبالغة وقيل الخصام جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى وهو اشد الخصوم خصومة واذا تولى واذا تولى عنك وذهب بعد الانة القول واحلاء المنطق سعى في الارض ليفسد فيها كما فعل بثقيف وقيل واذا تولى واذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء

واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد

يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا

السوء من الفساد في الارض باهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل على ان الفعل للحرث والنسل والرفع للعطف على سعى وقرا الحسن بفتح اللام وهي لغة نحو ابى يابى وروي عنه ويهلك على البناء للمفعول اخذته العزة بالاثم من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه اي حملته العزة التي فيه وحمية الجاهلية على الاثم الذي ينهى عنه والزمته ارتكابه وان لا يخلي عنه ضرارا ولجاجا او ورد قول الواعظ يشري نفسه يبيعها اي يبذلها في الجهاد وقيل يامر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل وقيل نزلت في صهيب بن سنان اراده المشركون على ترك الاسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فقال لهم انا شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه ماله واتى المدينة والله رؤوف بالعباد حيث كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهداء السلم بكسر السين وفتحها وقرا الاعمش بفتح السين واللام وهو الاستسلام والطاعة اي استسلموا لله واطيعوه كافة لا يخرج منكم احد يده عن طاعته وقيل هو الاسلام والخطاب لاهل الكتاب لانهم آمنوا بنبيهم وكتابهم او للمنافقين لانهم آمنوا بالسنتهم ويجوز ان يكون كافة حالا من السلم لانها تؤنث كما تؤنث الحرب قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع على ان المؤمنين امروا بان يدخلوا في الطاعات كلها وان لا يدخلوا في طاعة دون

اي شعب الاسلام وشرايعه كلها وان لا يدخلوا تخلوا بشيء منها وعن عبد الله بن سلام
انه استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقيم على السبت وان يقرا من التورية
في صلوته من الليل وكافة من الكف كانهم كفوا ان يخرج منهم احد باجتماعهم فان زللتم
عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات اي الحجج والشواهد على ان ما دعيتم
الى الدخول فيه هو الحق فاعلموا ان الله عزيز غالب لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا
ينتقم الا بالحق وروي ان قاريا قرا غفور رحيم فسمعه الاعرابي فانكره ولم يقرا
القران وقال ان كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل
لانه اغراء عليه وقرا ابو السمال زللتم بكسر اللام وهما لغتان نحو ضللت وضللت اتيان
امره وبأسه كقولك او يأتي امر ربك فجاءهم بأسنا ويجوز ان يكون المأتي به محذوفا
بمعنى ان يأتيهم الله ببأسه او بنقمته للدلالة عليه بقوله فان الله عزيز في ظلل جمع ظلة
وهي ما اظلك وقرئ ظلال وهي جمع ظلة كقلة وقلال او جمع ظل وقرئ والملائكة
بالرفع كقوله هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة وبالجر عطفا على ظلل او على الغمام
لم يأتيهم العذاب في الغمام — لان الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه
العذاب كان الامر افظع واهول لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اغم
كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير
ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث ومن ثمه
اشتد على المتفكرين في كتاب الله قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون

وقضي الامر واتم امر اهلاكهم وتدميرهم وفرغ منه وقرا معاذ بن جبل وقضاء
الامر على المصدر المرفوع عطفا على الملائكة وقرئ ترجع على البناء للفاعل وللمفعول
بالتانيث والتذكير فيهما سل امر للرسول او لكل احد وهذا السؤال سؤال تقريع
كما يسأل الكفرة يوم القيمة كم اتيناهم من اية بينة على ايدي انبيائهم وهي معجزاتهم
او من اية في الكتب شاهدة على صحة دين الاسلام ونعمة الله اياته وهي اجل نعمة
من الله لانها اسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم اياها ان الله اظهرها ليكون
اسباب هداهم فجعلوها اسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم او حرفوا
ايات الكتب الدالة على دين محمد عليه السلام — كم استفهامية او خبرية
يحتمل الامرين ومعنى الاستفهام فيها التقرير — ما معنى من بعد ما جاءته
معناه من بعد ما تمكن من معرفتها او عرفها كقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه
لانه اذا لم يتمكن من معرفتها او لم يعرفها فكانها غايبة عنه وقرئ ومن يبدل بالتخفيف
المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها في اعينهم بوساوسه وحببها اليهم
فلا يريدون غيرها ويجوز ان يكون الله تعالى قد زينها لهم بان خذلهم حتى استحسنوها
واحبوها او جعل امهال المزين تزيينا ويدل عليه قراءة من قرا زين للذين
كفروا الحيوة الدنيا على البناء للفاعل ويسخرون من الذين امنوا كانوا الكفرة
يسخرون من المؤمنين لا حظ لهم من الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم
اي لا يريدون غيرها وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها او ممن يطلب غيرها والذين

اتقوا فوقهم يوم القيمة لانهم في عليين من السماء وهم في سجين من الارض او حالهم عالية لحالهم
الفوقية اما بحسب المكان او بحسب الشرف والرتبة او بحسب الاستيلاء والاستعلاء
لانهم في كرامة وهم في هوان او هم عالون عليهم متطاولون يضحكون منهم كما يتطاول هؤلاء
عليهم في الدنيا ويرون الفضل لهم عليهم فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون والله
يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير يعني انه يوسع على من توجب الحكمة التوسعة
عليه كما وسع على قارون وغيره فهذه التوسعة عليكم من جهة الله لما فيها من الحكمة وهو استدراجهم
بالنعمة ولو كانت كرامة لكان اولياؤه المؤمنون احق بها منكم لم قال من الذين
امنوا ثم قال والذين اتقوا ليريك انه لا يسعد عنده الا المؤمن التقي وليكون بعثا
للمؤمنين على التقوى اذا سمعوا ذلك كان الناس امة واحدة متفقين على دين الاسلام فبعث الله
النبيين يريد فاختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه
عليه وفي قراءة عبد الله كان الناس امة واحدة فاختلفوا فبعث الله والدليل عليه قوله تعالى
وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا وقيل كان الناس امة واحدة كفارا فبعث الله
النبيين فاختلفوا عليهم والاول الوجه متى كان الناس امة واحدة متفقين على الحق
عن ابن عباس انه كان بين آدم وبين نوح عشرة قرون على شريعة من الحق فاختلفوا
وقيل هم نوح ومن كان معه في السفينة وانزل معهم الكتاب يريد الجنس او مع كل واحد
منهم كتابه ليحكم الله او الكتاب او النبي المنزل عليه فيما اختلفوا فيه في الحق ودين الاسلام
الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق وما اختلف فيه في الحق الا الذين اوتوه الا الذين اوتوا
الكتاب المنزل لازالة الاختلاف اي ازدادوا في الاختلاف لما انزل عليهم الكتاب وجعلوا نزول الكتاب

يقول الذين امنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب يسألونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم

سببا في شدة الاختلاف واستحكامه بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة انصاف
منهم من الحق بيان لما اختلفوا فيه اي فهدى الله الذين امنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف
ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وانكار الحسبان واستبعاده لما ذكر ما كانت عليه الامم
من الاختلاف على النبيين بعد مجيء البينات تشجيعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين واهل الكتاب وانكارهم لآياته
وعداوتهم له قال لهم على طريقة الالتفات التي هي ابلغ ام حسبتم ولما فيها معنى التوقع
وهي في النفي نظيرة قد في الاثبات والمعنى ان اتيان ذلك متوقع منتظر مثل الذين خلوا
حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم بيان للمثل وهو استئناف كأن قائلا قال كيف كان
ذلك المثل فقيل مستهم البأساء وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة
مما اصابهم من الاهوال والافزاع حتى يقول الرسول الى الغاية التي قال الرسول ومن معه فيها
متى نصر الله اي بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر و
تمنيه واستطالة زمان الشدة وفي هذه الغاية دليل على تناهي الامر في الشدة وتماديه
في العظم لان الرسل لا يقادر قدر ثباتهم واصطبارهم وضبطهم لانفسهم فاذا لم يبق
لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية في الشدة التي لا مطمح وراءها الا ان نصر الله قريب
على ارادة القول يعني فقيل لهم ذلك اجابة لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وقرئ حتى يقول
بالنصب على اضمار ان ومعنى الاستقبال لان ان علم له وبالرفع على انه في معنى الحال
كقولك شربت الابل حتى يجيء البعير يجر بطنه الا انها حال ماضية محكية كيف

قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون

طابق الجواب السوال في قوله قل ما انفقتم وهم سالوا عن بيان ما ينفقون واجيبوا ببيان
المصرف قد تضمن قوله ما انفقتم من خير بيان ما ينفقون وهو كل خير وبنى
الكلام على ما هو اهم لهم وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا ان تقع موقعها
ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع وعن ابن عباس انه قال
جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هم وله مال عظيم فاراد ان ينفق وقال ماذا ننفق من اموالنا
واين نضعها فنزلت وعن السدي هي منسوخة بفرض الزكوة وعن الحسن هي
في التطوع وهو كره لكم من الكراهة بدليل قوله وعسى ان تكرهوا شيئا ثم اما ان يكون بمعنى
الكراهة على وضع المصادر موضع الوصف مبالغة كقولها فانما هي اقبال وادبار كانه
في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له واما ان يكون فعلا بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز اي هو
مكروه لكم وقرا السلمي بالفتح على ان يكون بمعنى المضموم كالضعف والضعف ويجوز ان يكون
بمعنى الاكراه على سبيل المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم ومنه
قوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها وعسى ان تكرهوا شيئا جميع
ما كلفتم فان النفوس تكرهه وتنفر عنه وتحب خلافه والله يعلم ما يصلحكم وما
هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن
جحش على سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد عير القريش
فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير
وفيها من تجارة الطايف وكان ذلك اول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة

يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون

فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخايف ويبذعر فيه الناس
الى معايشهم فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم العير وعظم ذلك على اصحاب السرية
وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسارى
وعن ابن عباس لما نزلت اخذ رسول الله الغنيمة والمعنى يسالك الكفار والمسلمون
عن القتال في الشهر الحرام وقتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وفي قراءة عبد الله عن قتال فيه
على تكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم وقرا عكرمة قتل فيه قل قتل
فيه كبير اي اثم كبير وعن عطاء انه سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما
يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه وما نسخت واكثر الاقاويل
على انها منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وصد عن سبيل الله مبتدا
واكبر خبر يعني وكبائر قريش من صدهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وكفرهم
بالله واخراج اهل المسجد الحرام وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنون اكبر
عند الله مما فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطاء والبناء على
الظن والفتنة الاخراج او الشرك والمسجد الحرام عطف على سبيل الله ولا يجوز
ان يعطف على الهاء في به ولا يزالون يقاتلونكم اخبار عن دوام عداوة الكفار
للمسلمين وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى معناها التعليل
كقولك فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة اي يقاتلونكم كي يردوكم ان استطاعوا

استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي وهو واثق
بانه لا يظفر به ومن يرتدد منكم ومن يرجع عن دينه الى دينهم ويطاوعهم
على ردته اليه فيمت على الردة فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة
لما يفوتهم باحداث الردة مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الاسلام وابتداء
والموت عليها من ثواب الاخرة وبها احتج الشافعي على ان الردة لا تحبط
الاعمال حتى يموت عليها وعند ابي حنيفة انها تحبطها وان رجع مسلما ان
الذين امنوا والذين هاجروا روي ان عبد الله بن جحش واصحابه حين
قتلوا الحضرمي ظن قوم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر فنزلت اولئك
يرجون رحمة الله عن قتادة هؤلاء خيار هذه الامة ثم جعلهم الله اهل رجاء
كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب نزلت في الخمر اربع
ايات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا
حسنا فكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم ان عمر ومعاذا
ونفرا من الصحابة قالوا يا رسول الله افتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل
مسلبة للمال فنزلت فيها اثم كبير ومنافع للناس فشربها قوم وتركها
اخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فام
بعضهم فقرا فيها قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا

الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن
ابي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا فيه هجاء
الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه موضحة فشكا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما
الخمر والميسر والانصاب والازلام الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر
انتهينا يا رب وعن علي لو وقعت قطرة في بئر فبنيت مكانها منارة لم اذن
عليها ولو وقعت في بحر ثم جف ونبت فيه الكلا لم ارعه وعن ابن عمر لو
ادخلت اصبعي فيه لم تتبعني ومنا من الايمان حقا وهم الذين اتقوا الله حق
تقاته والخمر ما غلا واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب وهو حرام
وكذلك نقيع الزبيب والتمر الذي لم يطبخ فان طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم غلا
واشتد ذهب خبثه ونصيب الشيطان وحل شربه ما دون السكر اذا لم يقصد
بشربه اللهو والطرب عند ابي حنيفة وعن بعض اصحابه لان اقول مرارا هو حلال
احب الي من ان اقول مرة هو حرام ولان اخر من السماء فاتقطع قطعا
احب من ان اتناول منه قطرة وعند اكثر الفقهاء هو حرام كالخمر وكذلك كل
ما اسكر من كل شراب وسميت الخمر خمرا لتغطيتها العقل والتمييز كما سميت
سكرا لانها تسكرهما اي تحجزهما وكانها سميت بالمصدر من خمره خمرا اذا ستره
للمبالغة والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد والمرجع من فعلهما يقال

١٢٦

ييسّر له اذا قمر تجوا شتقاقه من اليسر لانه اخذ مال الرجل بيسر وسهولة
من غير كدّ ولا تعب او من اليسار لانه سلب يساره وعن ابن عباس كان الرجل
في الجاهلية يخاطر على اهله وماله قال اقول لهم بالشعب اخ ييسرون اي يفعلون
نا ما يفعل الياسرون بالميسور كيف صفة الميسر كانت لهم
عشر اقداح وهي الازلام والاقلام الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس و
المسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور
ينحرونها ويجزؤنها عشر اجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا الثلثة وهي المنيح والسفيح
والوغد ولبعضهم لي في الدنيا سهام ليس فيهن ربيح واسماؤهن وغد وسفيح
ومنيح للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة
وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي
عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات
الانصباء اخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم ياخذ
شيئا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا ياكلون
منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم وفي حكم الميسر
انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبي عليه السلام اياكم وهاتين الكعبتين
المشؤومتين فانهما من ميسر العجم وعن علي ان النرد والشطرنج من الميسر وعن
ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسالونك عما في تعاطيهما

بدليل قوله فيهما اثم كبير واثمهما وعقاب الاثم في تعاطيهما اكبر من نفعهما وهو
الالتذاذ بشرب الخمر والقمار والطرب فيهما والتوصل بهما الى مصادقات
الفتيان ومعاشراتهم والنيل من مطاعمهم ومشاربهم واعطياتهم وسلب
الاموال بالقمار والافتخار على الابرام وقرئ اثم كثير وفي قراءة ابي واثمهما
اقرب ومعنى الكثرة ان اصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الاثام من
وجوه كثيرة العفو نقيض الجهد وهو ان ينفق ما لا يبلغ انفاقه منه الجهد و
استفراغ الوسع قال خذ العفو مني تستديمي مودتي ويقال للارض السهلة
العفو قرئ بالرفع والنصب وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا اتاه ببيضة
من ذهب اصابها في بعض المغازي فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاتاه من الجانب الايمن فقال مثله فاعرض عنه ثم اتاه
من الجانب الايسر فاعرض عنه فقال هاتها مغضبا فاخذها فحذفه بها حذفا لو
اصابه لشجه او عقره ثم قال يجي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف
الناس انما الصدقة عن ظهر غنى في الدنيا والاخرة اما ان يتعلق بتتفكرون فيكون
المعنى لعلكم تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتاخذون بما هو اصلح لكم كما بينت
لكم ان العفو اصلح من الجهد في النفقة او تتفكرون في الدارين فتؤثرون
ابقاهما واكثرهما منافع ويجوز ان يكون اشارة الى قوله واثمهما اكبر من نفعهما
ليتفكروا في عقاب الاثم في الاخرة والنفع في الدنيا حتى لا يختاروا النفع العاجل

ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لاعنتكم ان الله عزيز حكيم ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن

على النجاة من العقاب العظيم واما ان يتعلق على معنى يبين لكم الايات في امر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى وتحاموهم وتركوا مخالطتهم والقيام باموالهم والاهتمام بمصالحهم فشق ذلك عليهم وكاد يوقعهم في الحرج فقيل اصلاح لهم خير اى مداخلتهم على وجه الاصلاح لهم ولاموالهم خير من مجانبتهم فان تخالطوهم وتعاشروهم ولم تجانبوهم فهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط اخاه وقد حملت المخالطة على المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح اى لا يخفى على الله من داخلهم بافساد واصلاح فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح ولو شاء الله لاعنتكم لحملكم على العنت وهو المشقة واحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم وقرا طاوس قل اصلاح اليهم ومعناه ايصال الصلاح اليهم وقرئ لاعنتكم بطرح الهمزة والقاء حركتها على اللام وكذلك فلا اثم عليه ان الله عزيز غالب يقدر على ان يعنت عباده ويحرجهم ولكنه حكيم لا يكلف الا ما يتسع فيه طاقتهم ولا تنكحوا وقرئ بضم التاء اى لا تتزوجوهن او ولا تزوجوهن والمشركات الحربيات والآية ثابتة وقيل المشركات الحربيات والكتابيات جميعا لان اهل الكتاب من اهل الشرك لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون وهي منسوخة بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وسورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ منها شيء قط وهو قول ابن عباس و

ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك يدعون الى النار والله يدعوا الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون

١٣٨

والاوزاعي وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي الى مكة ليخرج ناسا من المسلمين وكان يهوى امراة في الجاهلية اسمها عناق فاتته فقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت فهل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستامره فنزلت ولامة مؤمنة ولامراة مؤمنة حرة كانت او مملوكة وكذلك ولعبد مؤمن لان الناس كلهم عبيد الله واماؤه ولو اعجبتكم ولو كان الحال ان المشركة تعجبكم وتحبونها فان المؤمنة خير منها مع ذلك اولئك اشارة الى المشركات والمشركين اى يدعون الى الكفر فحقهم ان لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المؤمنين الا المناصبة والقتال والله يدعوا الى الجنة يعني واولياء الله وهم المؤمنون يدعون الى الجنة والمغفرة وما يوصل اليهما فهم الذين تجب موالاتهم ومصاهرتهم وان يؤثروا على غيرهم باذنه بتيسير الله وتوفيقه للعمل الذي تستحق به الجنة والمغفرة وقرا الحسن والمغفرة باذنه بالرفع اي والمغفرة حاصلة بتيسيره المحيض مصدر يقال حاض محيضا كقولك جاء مجيئا وبات مبيتا قل هو اذى اى الحيض شيء تستقذر ويؤذي من يقربه نفرة منه وكراهة له فاعتزلوا النساء فاجتنبوهن يعني فاجتنبوا مجامعتهن روي ان اهل الجاهلية كانوا اذا حاضت المراة لم يواكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها في بيت كفعل اليهود

١٢٧

... ءاتم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وبشر المومنين

والمجوس فلما نزلت اخذ المسلمون بظاهر اعتزالهن فاخرجوهن من بيوتهم فقال
ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان آثرناهن بالثياب
هلك سائر اهل البيت وان استاثرنا بها هلكت الحيض فقال عليه السلام انما امرتم
ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل
الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود
يعتزلونهن في كل شي فامر الله بالاقتصاد بين الامرين وبين الفقهاء خلاف
في الاعتزال فابو حنيفة وابو يوسف يوجبان اعتزال ما اشتمل عليه الازار
ومحمد بن الحسن لا يوجب الا اعتزال الفرج وروى محمد حديث عايشة ان
عبد الله بن عمر سالها هل يباشر الرجل امراته وهي حايض فقالت تشد
ازارها على سفلتها ثم يباشرها ان شاء وما روى زيد بن اسلم ان رجلا
سال النبي عليه السلام ما يحل لي من امراتي وهي حايض قال لتشد
عليها ازارها ثم شانك باعلاها ثم قال وهذا قول ابي حنيفة وقد جاء ما
ارخص من هذا عن عايشة انها قالت يجتنب شعار الدم وله ما سوى
ذلك وقرى يطّهّرن بالتشديد اي يتطهرن بدليل قوله فاذا تطهرن
وقرا عبد الله حتى يتطهرن ويطهرن بالتخفيف والتطهر الاغتسال
والطهر انقطاع دم الحيض وكلتا القراءتين مما يجب العمل به فذهب
ابو حنيفة الى ان له ان يقربها في اكثر الحيض بعد انقطاع الدم وان لم تغتسل

وفي اقل الحيض لا يقربها حتى تغتسل او يمضي عليها وقت صلاة وذهب
الشافعي الى انه لا يقربها حتى تطهر وتتطهر فيجمع بين الامرين وهو
قول واضح ويعضده قوله فاذا تطهرن فاتوهن من حيث امركم الله
من المأتى الذي امركم الله به وحلله لكم وهو القبل ان الله يحب
التوابين مما عسى ان يندر منهم من ارتكاب ما نهوا عنه من ذلك
ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش او ان الله يحب التوابين
الذين يطهرون انفسهم بطهرة التوبة من كل ذنب ويحب المتطهرين
من جميع الاقذار كمجامعة الحايض والطاهر قبل الغسل واتيان
ما ليس بمباح وغير ذلك حرث لكم مواضع حرث لكم وهذا
مجاز شبههن بالمحارث تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف
التي منها النسل بالبذور وقوله فاتوا حرثكم انى شئتم تمثيل
اي فاتوهن كما تاتون اراضيكم التي تريدون ان تحرثوها
من اي جهة شئتم لا تحظر عليكم جهة دون جهة والمعنى جامعوهن
من اي شق اردتم بعد ان يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث
وقوله هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض من حيث امركم الله
فاتوا حرثكم انى شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات
المستحسنة وهذه واشباهها في كلام الله آداب حسنة على المومنين

ان يتعلموها ويتأدبوا بها ويتكلفوا مثلها في محاوراتهم ومكاتباتهم وروي
ان اليهود كانوا يقولون من جامع امراته وهي مجبية من دبرها في
قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال كذبت اليهود فنزلت وقدموا لانفسكم ما يجب تقديمه من
الاعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتكم عنه وقيل هو طلب الولد
وقيل هو التسمية على الوطي واتقوا الله ولا تجترئوا على المناهي
واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين
المستوجبين المدح والتعظيم بترك القبائح وفعل الحسنات
ما موقع قوله نساؤكم حرث لكم مما قبله موقعه موقع البيان
والتوضيح لقوله فاتوهن من حيث امركم الله يعني ان المأتي الذي
امركم الله به هو مكان الحرث ترجمة له وتفسيرا وازالة للشبهة
ودلالة على ان الغرض الاصلي في الاتيان هو طلب النسل لا قضاء
الشهوة فلا تاتوهن الا من المأتى الذي يتعلق به هذا الغرض
ما بال يسئلونك جاء بغير واو ثلث مرات ثم مع الواو
ثلثا كان سوالهم عن تلك الحوادث الاول وقع في احوال متفرقة
فلم يؤت بحرف العطف لان كل واحد من السوالات سوال مبتدا
وسالوا عن الحوادث الاخر في وقت واحد فجيء بحرف الجمع لذلك

ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم

كانه قيل يجمعون لك بين السوال عن الخمر والميسر والسوال عن الانفاق
والسوال عن كذا وعن كذا العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة
وهي اسم ما تعرضه دون الشيء من عرض العود على الاناء فيعترض دونه
ويصير حاجزا ومانعا منه تقول فلان عرضة دون الخير والعرضة المعرض
للامر قال فلا تجعلوني عرضة للوائم ومعنى الآية على الاولى ان الرجل
كان يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم او اصلاح ذات بين او
احسان الى احد او عبادة ثم يقول اخاف الله ان احنث في يميني فيترك
البر ارادة البر في يمينه فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اي
حاجزا لما حلفتم عليه وسمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت على يمين
فرايت غيرها خيرا فات الذي هو خير وكفر عن يمينك اي على شيء
مما حلفت عليه وقوله تعالى ان تبروا وتتقوا وتصلحوا عطف بيان لايمانكم
اي للامور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والاصلاح بين الناس
بم تعلقت اللام في لايمانكم بالفعل اي لا تجعلوا الله
لايمانكم برزخا وحجازا ويجوز ان يتعلق بعرضة لما فيها من معنى
الاعتراض بمعنى لا تجعلوه شيئا يعترض البر من اعترضني كذا ويجوز
ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالفعل او بالعرضة اي ولا

تجعلوا الله لاجل ايمانكم عرضة لان تبروا ومعناه على الاخرى ولا تجعلوا
الله معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم من انزل فيه
ولا تطع كل حلاف مهين باشنع المذام وجعل الحلاف مقدمتها وان
تبروا علة للنهي اي ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا لان الحلاف مجترئ
على الله غير معظم له فلا يكون برا متقيا ولا يثق به الناس فلا يدخلونه
في وساطاتهم واصلاح ذات بينهم اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام
وغيره ولذلك قيل لما لا يعتد به في الايمان وهو الذي لا عقد معه و
الدليل عليه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما كسبت قلوبكم واختلف
الفقهاء فيه فعند ابي حنيفة واصحابه هو ان يحلف على الشيء يظنه على ما
حلف عليه ثم يظهر خلافه وعند الشافعي هو قول العرب لا والله و
بلى والله مما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف ولو قيل لواحد
منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام لانكر ذلك ولعله قال لا والله
الف مرة وفيه معنيان احدهما لا يؤاخذكم اي لا يعاقبكم بلغو اليمين
الذي يحلفه احدكم بالظن ولكن يعاقبكم بما كسبت قلوبكم اي اقترفته
من اثم القصد الى الكذب في اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف
ما يقوله وهي اليمين الغموس والثاني لا يؤاخذكم اي لا يلزمكم الكفارة
بلغو اليمين الذي لا قصد معه ولكن يلزمكم الكفارة بما كسبت قلوبكم

اي بما نوت قلوبكم وقصدت من الايمان ولم يكن كسب اللسان وحده والله
غفور حليم حيث لم يؤاخذكم باللغو في ايمانكم قرأ عبد الله آلوا من نسائهم
وقرأ ابن عباس يقسمون من نسائهم فان قلت كيف عدي بمن وهو معدى
بعلى قلت قد ضمن في هذا القسم المخصوص معنى البعد فكانه قيل يبعدون
من نسائهم مولين او مقسمين ويجوز ان يراد لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر
فصاعدا على التقييد كقولك لي منك كذا والايلاء من المراة ان يقول
والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا على التقييد او لا اقربك على الاطلاق
ولا يكون فيما دون اربعة اشهر الا ما يحكى عن ابراهيم النخعي وحكم ذلك
انه اذا فاء اليها في المدة بالوطء ان امكنه او بالقول ان عجز صح الفيء
وحنث ولزمته كفارة اليمين وان مضت الاربعة بانت بتطليقة عند
ابي حنيفة وعند الشافعي لا يصح الايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ثم
يوقف المولي فاما ان يفيء واما ان يطلق وان ابى طلق عليه الحاكم ومعنى قوله
فان فاءوا في الاشهر بدليل قراءة عبد الله فان فاءوا فيهن فان الله غفور رحيم يغفر
للمولين ما عسى يقدمون عليه من طلب ضرار النساء بالايلاء وهو الغالب وان
كان يجوز ان يكون على رضى منهن اشفاقا منهن على الولد من الغيل او لبعض الاسباب
لاجل الفيئة التي هي مثل التوبة وان عزموا الطلاق فتربصوا الى مضي المدة
فان الله سميع عليم وعيد على اصرارهم وتركهم الفيئة وعلى قول الشافعي معناه

فان فاءوا وان عزموا بعد مضي المدة فان قلت كيف موقع الفاء اذا كانت الفيئة
قبل انتهاء مدة التربص قلت موقع صحيح لان قوله فان فاءوا وان عزموا تفصيل
لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل كما تقول انا نزيلكم هذا
الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الى آخره والا لم اقم الا ريثما اتحول
ما تقول في قوله فان الله سميع عليم وعزمهم الطلاق مما يعلم ولا يسمع قلت
الغالب ان العازم على الطلاق وترك الفيئة والضرار لا يخلو من
مقاولة ودمدمة ولا بد له من ان يحدث نفسه ويناجيها بذلك وذلك
حديث لا يسمعه الا الله تعالى كما يسمع وسوسة الشيطان والمطلقات
اراد المدخول بهن من ذوات الاقراء كيف جازت ارادتهن
خاصة واللفظ يقتضي العموم بل اللفظ مطلق في تناول الجنس
صالح لكله وبعضه فجاء في احد ما يصلح له كالاسم المشترك
فما معنى الاخبار عنهن بالتربص هو خبر في معنى الامر و
اصل الكلام وليتربص المطلقات واخراج الامر في صورة الخبر تأكيد
للامر واشعار بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكانهن
امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا ونحوه قولهم في الدعاء
رحمك الله اخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة كانما وجدت الرحمة
فهو يخبر عنها وبناؤه على المبتدأ مما زاده ايضا فضل تأكيد ولو قيل

فان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء

ويتربص المطلقات لم يكن بتلك الوكادة هلا قيل يتربصن ثلثة
قروء كما قيل تربص اربعة اشهر وما معنى ذكر الانفس في ذكر
الانفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث لان فيه ما يستنكفن منه
فيحملهن على ان يتربصن وذلك ان انفس النساء طوامح الى الرجال فامرن
بان يقمعن انفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص والقروء
جمع قرء او قرء وهو الحيض بدليل قوله عليه السلام دعي الصلاة ايام اقرائك
وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان ولم يقل طهران وقوله تعالى
واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر فاقام
الاشهر مقام الحيض دون الاطهار ولان الغرض الاصيل في العدة استبراء
الرحم والحيض هو الذي يستبرأ به الارحام دون الطهر ولذلك كان
الاستبراء من الامة بالحيضة ويقال اقرأت المرأة اذا حاضت وامرأة مقرئ
وقال ابو عمرو بن العلاء دفع فلان جاريته الى فلانة تقرئها اي تمسكها
عندها حتى تحيض للاستبراء فما تقول في قوله تعالى فطلقوهن
لعدتهن والطلاق المشروع انما هو في الطهر معناه مستقبلات
لعدتهن كما تقول لقيته لثلاث بقين من الشهر مستقبلا لثلاث وعدتهن
الحيض الثلث فما تقول في قول الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا
اراد لما ضاع فيها من عدة نسائك لشهرة القروء عندهم في الاعتداد بهن

ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ان كن يومن بالله واليوم الاخر وبعولتهن احق بردهن ان ارادوا اصلاحا ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم

اي من مدة طويلة كالمدة التي تعتد فيها النسآء استطال مدة غيبته عن اهله كل عام لاقتحامه في الحروب والغارات وانه يمر على نسائه مدة كمدة العدة ضايعة لا يضاجعهن فيها او اراد من اوقات نسائك فان القرء والقارئ جاء اي مجئ الوقت لم يرد لا حيضا ولا طهرا فعلام انتصب ثلثة قروء على انه مفعول به كقولك المتكرية تص الغلاء اي تربص مضي ثلثة قروء او على انه ظرف اي يتربص مدة ثلثة قروء لم جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الاقراء يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما في الجمعية الا ترى الى قوله بانفسهن وما هي الا نفوس كثيرة ولعل القروء كانت اكثر استعمالا في جمع قرء من الاقراء فاوثر عليه تنزيلا للقليل الاستعمال منزلة المهمل فيكون مثل قولهم ثلثة شسوع وقرا الزهري ثلثة قرو بغير همز ما خلق الله في ارحامهن من الولد ودم الحيض وذلك اذا ارادت المراة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها ان تضع ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها او كتمت حيضها وقالت وهي حائض قد طهرت استعجالا للطلاق ويجوز ان يراد اللاتي يبغين اسقاط ما في بطونهن من الاجنة فلا يعترفن به ويجحدنه لذلك فجعل كتمان ما في ارحامهن كناية عن اسقاطه ان كن يومن بالله واليوم الآخر تعظيم لفعلهن وان من آمن بالله وبعقابه

الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان ولا يحل لكم ان تاخذوا مما آتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله

وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظايم والبعولة جمع بعل والتاء لاحقة لتانيث الجمع كما في الحزونة والسهولة ويجوز ان يراد بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة يعني واهل بعولتهن احق بردهن برجعتهن وفي قراءة ابي بردتهن في ذلك في مدة ذلك التربص كيف جعلوا احق بالرجعة كان للنساء حقا فيها المعنى ان الرجل اذا اراد الرجعة وابتها المراة وجب ايثار قوله على قولها وكان هو احق منها لا ان لها حقا في الرجعة ان ارادوا بالرجعة اصلاحا لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا مضارتهن ولهن مثل الذي عليهن ويجب لهن من الحق على الرجال مثل الذي يجب لهم عليهن بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلفنهم ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم ولا يعنف احد الزوجين على صاحبه والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب في كونه حسنة لا في جنس الفعل فلا يجب عليها اذا غسلت ثيابه او خبزت له ان يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال درجة زيادة في الحق وفضيلة قيل المراة تنال من اللذة مثل ما ينال الرجل وله الفضيلة بقيامه عليها وانفاقه في مصالحها الطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم اي التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين ونحو ذلك من التثاني التي يراد بها التكرار قولهم لبيك وسعديك وحنانيك وهذاذيك ودواليك وقوله فامساك بمعروف تخيير لهم بعد ما علمهم كيف يطلقون بين ان يمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام بمواجبهن

فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون

وبين ان يسرحوهن السراح الجميل الذي علمهم وقيل معناه الطلاق الرجعي لانه لا رجعة بعد الثلث فامساك بمعروف اي برجعة او تسريح باحسان اي بان لا يراجعها حتى تبين بالعدة او بان لا يراجعها مراجعة يريد تطويل العدة عليها وضرارها وقيل بان يطلقها الثالثة في الطهر الثالث وروي ان سايلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين الثالثة فقال عليه السلام او تسريح باحسان وعند ابي حنيفة واصحابه الجمع بين التطليقتين والثلث بدعة والسنة ان لا يوقع عليها الا واحدة في طهر لم يجامعها فيه لما روي في حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل قروء تطليقة وعند الشافعي رحمه الله لا باس بارسال الثلث لحديث العجلاني الذي لاعن امراته فطلقها ثلاثا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليه روي ان جميلة بنت عبد الله بن ابي كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شي والله ما اعيب عليه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام وما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت وكان قد اصدقها حديقة فاختلعت منه بها وهو اول خلع كان في الاسلام فان قلت لمن الخطاب في قوله ولا يحل لكم ان تاخذوا ان قلت للازواج لم يطابقه قوله فان خفتم الا يقيما حدود الله وان قلت للائمة والحكام

فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره

فهؤلاء ليسوا باخذين منهن ولا بمؤتيهن قلت يجوز الامران جميعا ان يكون اول الخطاب للازواج واخره للائمة والحكام ونحو ذلك غير عزيز في القران وغيره وان يكون الخطاب كله للائمة والحكام لانهم الذين يامرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكانهم الاخذون والمؤتون مما اتيتموهن مما اعطيتموهن من الصدقات الا ان يخافا الا يقيما حدود الله الا ان يخاف الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث من نشوز المراة وسوء خلقها فلا جناح عليهما فلا جناح على الرجل فيما اخذ ولا عليها فيما اعطت فيما افتدت به نفسها واختلعت منه من بذل ما اوتيت من المهر والخلع بالزيادة على المهر مكروه وهو جايز في الحكم وروي ان امراة نشزت على زوجها فرفعت الى عمر فاباتها في بيت الزبل ثلث ليالي ثم دعاها فقال كيف وجدت مبيتك فقالت ما بت مذ كنت عنده اقر لعيني منهن فقال لزوجها اخلعها ولو بقرطها قال قتادة يعني بمالها كله هذا اذا كان النشوز منها وان كان منه كره له ان ياخذ منها شيا وقري الا يخافا على البناء للمفعول وابدال ان لا يقيما من الف الضمير وهو من بدل الاشتمال كقولك خيف زيد تركه اقامة حدود الله ونحوه وأسروا النجوى

فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون واذا طلقتم النسا فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف

الذين ظلموا ويعضده قراة عبد الله الا ان يخافوا وفي قراة ابي الا
ان يظنا ويجوز ان يكون الخوف بمعنى الظن يقولون اخاف ان يكون
كذا وافرق ان يكون كذا يريدون اظن فان طلقها الطلاق المذكور
الموصوف بالتكرار في قوله الطلاق مرتان واستوفي نصابه او ثاني
طلقها مرة ثالثة بعد المرتين فلا تحل له من بعد من بعد ذلك التطليق
حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى المراة
كما يسند الى الزوج كما في التزوج ويقال فلانة ناكح في بني فلان
وقد يتعلق من اقتصر على العقد في التحليل بظاهره وهو سعيد بن
المسيب والذي عليه الجمهور انه لا بد من الاصابة لما روى
عروة عن عايشة ان امراة رفاعة جات الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقالت ان رفاعة طلقني فبت طلاقي فتزوجت عبد الرحمن ابن الزبير
وانما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته
ويذوق عسيلتك وروي انها لبثت ما شاء الله ثم رجعت فقالت
انه قد كان مسني فقال لها كذبت في قولك الاول فلن اصدقك
في الآخر فلبثت حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتت
ابا بكر رضي الله عنه فقالت ارجع الى زوجي الاول فقال قد عهدت

او سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا ايات الله هزوا واذكروا نعمت الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شي عليم

رسول الله حين قال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر قالت مثله لعمر
فقال ان اتيتني بعد مرتك هذه لارجمنك فمنعها فما تقول في النكاح المعقود بشرط
التحليل ذهب سفيان والاوزاعي وابو عبيد ومالك الى انه غير
جايز وهو جايز عند ابي حنيفة مع الكراهة وعنه انهما ان اضمرا التحليل
ولم يصرحا به فلا كراهة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعن
المحلل والمحلل له وعن عمر رضي الله عنه انه قال لا اوتى بمحلل ولا محلل له
الا رجمتهما وعن عثمان رضي الله عنه لا الا نكاح رغبة غير مدالسة فان
طلقها الزوج الثاني ان يتراجعا ان يرجع كل واحد منهما الى صاحبه بالزواج
ان ظنا ان كان في ظنهما انهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل ان علما انهما
يقيمان لان اليقين مغيب عنهما لا يعلمه الا الله ومن فسر الظن ها هنا بالعلم
فقد وهم من طريق اللفظ والمعنى لانك لا تقول علمت ان يقوم زيد ولكن
علمت انه يقوم ولان الانسان لا يعلم ما في الغد وانما يظن ظنا فبلغن اجلهن
اي آخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها
يقال لعمر الانسان اجل وللموت الذي ينتهي به اجل وكذلك الغاية و
الامد يقول النحويون من لابتداء الغاية والى لانتهاء الغاية وقال الشاعر
امله ويتسع في البلوغ ايضا فيقال بلغ البلد اذا شارفه وداناه ويقال
قد وصلت ولم يصل وانما شارف ولانه قد علم ان الامساك بعد تقضي
الاجل لا وجه له لانها بعد تقضيه غير زوجة له وفي غير عدة منه فلا سبيل
عليها فامسكوهن بمعروف فاما ان يراجعها من غير طلب ضرار ولا تمسكوهن

واذا طلقتم النسا فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف

ضرارا كان الرجل يطلق المراة ويتركها حتى يقرب انقضا عدتها ثم يراجعها
لا عن حاجة ولكن ليطول العدة عليها فهو الامساك ضرارا لتعتدوا لتظلموهن
وقيل لتلجيوهن الى الافتدا فقد ظلم نفسه بتعريضها العقاب الله ولا تتخذوا
ايات الله هزوا اي جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها
والا وقد اتخذتموها هزوا ولعبا ويقال لمن يجد في الامر انما انت لاعب
وهازي ويقال كن يهوديا ولا تلعب بالتوراة وقيل كان الرجل يطلق ويعتق
ويتزوج ويقول كنت لاعبا وعن النبي صلى الله عليه وسلم ثلث جدهن جد
وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم
بالاسلام وبنبوة محمد عليه السلام وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة من
القران والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها يعظكم به بما
انزل عليكم فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن اما ان يخاطب به الازواج
الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما وقسرا ولحمية الجاهلية
لا يتركوهن يتزوجن من شيئن من الازواج والمعنى ان ينكحن ازواجهن
الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن واما ان يخاطب به الاولياء في عضلهن
ان يرجعن الى ازواجهن روي انها نزلت في معقل بن يسار حين
عضل اخته ان ترجع الى الزوج الاول وقيل في جابر بن عبد الله حين
عضل بنت عم له والوجه ان يكون خطابا للناس اي لا يوجد فيما بينكم
عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون به كانوا في حكم العاضلين والعضل
الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها ولم يخرج وانشد

... يؤمن بالله واليوم الاخر ذلكم ازكى لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون

لابن هرمة وان قصايدي لك فاصطنعني عقايل قد عضلن عن النكاح وبلوغ الاجل على
الحقيقة وعن الشافعي دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين اذا تراضوا اذا تراضى
الخطاب والنساء بالمعروف بما يحسن في الدين والمروة من الشرايط وقيل بمهر المثل
ومن مذهب ابي حنيفة انها اذا زوجت نفسها باقل من مهر مثلها فللاولياء ان
يعترضوا لمن الخطاب في قوله ذلك يوعظ به يجوز لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ولكل واحد وهي ذلكم خير لكم واطهر ازكى لكم واطهر من ادناس الاثام
وقيل ازكى واطهر افضل واطيب والله يعلم ما في ذلك من الزكا والطهارة وانتم
لا تعلمون او والله اعلم ما تصلحون به من الاحكام والشرايع وانتم تجهلونه يرضعن
مثل يتربصن في انه خبر في معنى الامر المؤكد كاملين توكيد كقوله تلك عشرة كاملة
لانه مما يتسامح فيه فيقول اقمت عند فلان حولين ولم يستكملهما وقرا ابن عباس ان
يكمل الرضاعة وقرى الرضاعة بكسر الراء والرضعة وان يتم الرضاعة
كيف اتصل قوله لمن اراد بما قبله هو بيان لمن توجه اليه الحكم كقوله تعالى هيت
لك بيان للمهيت به اي هذا الحكم لمن اراد اتمام الرضاعة وعن قتادة حولين كاملين
ثم انزل الله اليسر والتخفيف فقال لمن اراد ان يتم الرضاعة اراد انه يجوز النقصان
وعن الحسن ليس بتوقيت لا ينقص منه بعد ان لا يكون في الفطام ضرار وقيل اللام متعلقة
بيرضعن كما تقول ارضعت فلانة لفلان ولده اي يرضعن حولين لمن اراد ان يتم
الرضاعة من الاباء لان الاب يجب عليه ارضاع الولد دون الام وعليه ان يتخذ له ظئرا
الا اذا تطوعت الام بارضاعه وهي مندوبة الى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استيجار الام

عند ابي حنيفة ما دامت زوجة او معتدة من نكاح وعند الشافعي يجوز فاذا انقضت
عدتها جاز بالاتفاق   فان قلت الوالدات مامورات بان يرضعن اولادهن
اما ان يكون امرا على وجه الندب واما على وجه الوجوب اذا لم يقبل الصبي
الا ثدي امه او لم توجد له ظئر او كان الاب عاجزا عن الاستيجار وقيل اراد بالوالدات
المطلقات وايجاب النفقة والكسوة لاجل الرضاع وعلى المولود له وعلى الذي يولد له
وهو الوالد وله في محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم في المغضوب
عليهم   لم قيل المولود له دون الوالد   ليعلم ان الوالدات
انما ولدن لهم لان الاولاد للاباء ولذلك ينسبون اليهم لا الى الامهات وانشد
للمامون بن الرشيد   فانما امهات الناس اوعية مستودعات و
للاباء ابناء فكان عليهم ان يرزقوهن ويكسوهن اذا ارضعن ولدهم كالا
ظئار الا ترى انه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله
واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بالمعروف
تفسير ما يعقبه وهو ان لا تكلف واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضارا وقرئ لا تكلف
بفتح التاء ولا نكلف بالنون وقرئ لا تضار بالرفع على الاخبار وهو يحتمل البناء
للفاعل وللمفعول وان يكون الاصل تضارر بكسر الراء وتضارر بفتحها وقرئ
لا تضار بالفتح اكثر القراء وقرا الحسن بالكسر على النهي وهو محتمل للبنائين ايضا
ويبين ذلك انه قرئ لا تضارر ولا تضارر بالجزم وفتح الراء الاول وكسرها
وقرا ابو جعفر لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وعن الاعرج لا تضار

بالسكون

بالسكون مع التخفيف وهو من ضاره يضيره ونوى الوقف كما نواه
ابو جعفر واختلس الضمة فظنه الراوي سكونا وعن كاتب عمر بن
الخطاب لا تضرر والمعنى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها
وهو ان تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان
تشغل قلبه بالتفريط في شان الولد وان تقول له بعد ما الفها الصبي
اطلب له ظئرا وما اشبه ذلك ولا يضار مولود له امراته بسبب
ولده بان يمنعها شيئا مما وجب عليه من رزقها وكسوتها ولا ياخذه
منها وهي تريد ارضاعه ولا يكرهها على الارضاع وكذلك اذا كان مبنيا
للمفعول فهو نهي عن ان يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن ان يلحق
الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد ويجوز ان يكون تضار بمعنى
تضر وان تكون الباء من صلته اي لا تضر والدة بولدها فلا تسيء
غذاءه وتعهده ولا تفرط فيما ينبغي له ولا تدفعه الى الاب بعد
ما الفها ولا يضر الوالد به بان ينتزعه من يدها او يقصر في حقها
فتقصر هي في حق الولد فان قلت كيف قيل بولدها وبولده قلت لما
نهيت المراة عن المضارة اضيف اليها الولد استعطافا لها عليه وانه
ليس باجنبي منها فمن حقها ان تشفق عليه وكذلك الوالد وعلى الوارث
عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تفسير
للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه فكان المعنى
على الوارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة اي ان
مات المولود له لزم من يرثه ان يقوم مقامه في ان يرزقها ويكسوها

بالشريطة التي ذكرت من المعروف وتجنب الضرار وقيل هو وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه واختلفوا فعند ابن ابي ليلى كل من ورثه وعند ابي حنيفة من كان ذا رحم محرم منه وعند الشافعي لا نفقة فيما عدا الولاد وقيل من ورثه من عصبته مثل الاب والجد والاخ و ابن الاخ والعم وابن العم وقيل المراد وارث الاب وهو الصبي نفسه وانه ان مات ابوه وورثه وجبت عليه اجرة رضاعه في ماله ان كان له مال وان لم يكن له مال اجبرت الام على ارضاعه وقيل على الوارث على الباقي من الابوين من قوله واجعله الوارث فان ارادا فصالا صادرا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما في ذلك زادا على الحولين او نقصا وهذه توسعة بعد التحديد وقيل هو في غاية الحولين لا يتجاوز وانما اعتبر تراضيهما في الفصال وتشاورهما اما الاب فلا كلام فيه واما الام فلانها احق بالتربية وهي اعلم بحال الصبي وقرئ فان ارادا استرضع منقول من ارضع يقال ارضعت المراة الصبي واسترضعتها الصبي فتعديه الى مفعولين كما تقول انجح الحاجة واستنجحته الحاجة والمعنى ان تسترضعوا المراضع اولادكم فحذف احد المفعولين للاستغناء عنه كما تقول استنجحت الحاجة ولا تذكر من استنجحته وكذلك حكم كل مفعولين لم يكن احدهما عبارة عن الاول اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة وقرئ ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله تعالى انه كان وعده ماتيا اي مفعولا وروى شيبان عن عاصم ما اوتيتم اي ما

وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا فاذا بلغن اجلهن

ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة ونحوه وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وليس التسليم بشرط للجواز والصحة وانما هو ندب الى الاولى ويجوز ان يكون بعثا على ان يكون الشيء الذي تعطاه المرضع من اهنأ ما يكون لتكون طيبة النفس راضية فيعود ذلك اصلاحا لشان الصبي واحتياطا في امره فامر بايتائه ناجزا يدا بيد كانه قيل اذا اديتم اليهن يدا بيد ما اعطيتموهن بالمعروف متعلق بسلمتم امروا ان يكونوا عند تسليم الاجرة مستبشري الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما امكن حتى يؤمن تفريطهن بقطع معاذيرهن والذين يتوفون منكم على تقدير حذف المضاف اي وازواج الذين يتوفون منكم يتربصن وقيل معناه يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اي يستوفون آجالهم وهي قراءة علي رضي الله عنه والذي يحكى ان ابا الاسود الدؤلي كان يمشي خلف جنازة فقال له رجل من المتوفي بكسر الفاء فقال الله وكان احد الاسباب الباعثة لعلي رضي الله عنه على ان امره ان يضع كتابا في النحو يناقضه هذه القراءة يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا فيعتددن هذه المدة وهي اربعة اشهر وعشرة ايام وقيل عشرا ذهابا الى الليالي والايام داخلة معها ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين الى الايام تقول صمت عشرا ولو ذكرت خرجت من كلامهم ومن البين فيه قوله تعالى ان لبثتم الا يوما فاذا بلغن اجلهن فاذا انقضت عدتهن فلا

فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء

جناح عليكم ايها الائمة وجماعة المسلمين فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع والمعنى انهن لو فعلن ما هو منكر كان على الائمة ان يكفوهن وان فرطوا كان عليهم الجناح فيما عرضتم به هو ان يقول لها انك لجميلة صالحة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج وعسى الله ان ييسر لي امراة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بها بالنكاح فلا تقول اني اريد ان انكحك او اتزوجك او اخطبك وروى ابن المبارك عن عبد الرحمن بن سليمان عن خالته قالت دخل علي ابو جعفر محمد بن علي وانا في عدتي فقال قد علمت قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدي علي وقدمي في الاسلام فقالت غفر الله لك اتخطبني في عدتي وانت يؤخذ عنك فقال او قد فعلت انما اخبرتك بقرابتي من رسول الله وموضعي وقد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ام سلمة وكانت عند ابن عمها ابي سلمة فتوفي عنها فلم يزل يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل على يده حتى اثر الحصير في يده من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة

اي فرق بين الكناية والتعريض

الكناية ان تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له والتعريض ان تذكر شيئا تدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لاسلم عليك ولانظر الى وجهك الكريم ولذلك قالوا وحسبك بالتسليم مني تقاضيا وكانه امالة الكلام الى عرض يدل على الغرض ويسمى

١٤٩

التلويح لانه يلوح منه ما يريده او اكننتم في انفسكم او سترتم واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم لا معرضين ولا مفصحين علم الله انكم ستذكرونهن لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن ولا تصبرون عنه وفيه طرف من التوبيخ كقوله تعالى علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم

اين المستدرك بقوله ولكن لا تواعدوهن

هو محذوف لدلالة ستذكرونهن عليه تقديره علم الله انكم ستذكرونهن فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا والسر وقع كناية عن النكاح الذي هو الوطء لانه مما يسر قال الاعشى ولا تقربن جارة ان سرها عليك حرام فانكحن او تابدا ثم عبر به عن النكاح الذي هو العقد لانه سبب فيه كما فعل بالنكاح الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا

بم يتعلق حرف الاستثناء

بلا تواعدوهن اي لا تواعدوهن مواعدة قط الا مواعدة معروفة غير منكرة اولا تواعدوهن الا بان تقولوا اي لا تواعدوهن الا بالتعريض وقيل معناه لا تواعدوهن جماعا وهو ان تقول لها انكحيني كان كيت وكيت يريد ما يجري بينهما تحت اللحاف الا ان تقولوا قولا معروفا من غير رفث ولا افحاش في الكلام وقيل لا تواعدوهن سرا في السر على ان المواعدة في السر عبارة عن المواعدة بما يستهجن لان مسارتهن في الغالب بما يستحيى من المجاهرة به وعن ابن عباس الا ان تقولوا قولا معروفا هو ان تتواعدها الا تتزوج غيره ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الامر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة في النهي عن عقد النكاح في العدة لان العزم على الفعل يتقدمه فاذا نهي عنه كان عن الفعل انهى ومعناه ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح وحقيقة العزم القطع بدليل قوله عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لمن لم يبيت الصيام حتى يبلغ الكتاب اجله يعني ما كتب وفرض من العدة يعلم ما في انفسكم

واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه واعلموا ان الله غفور حليم لا جناح عليكم ان طلقتم النسا ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة

من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا عليه غفور حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم

لا تبعة عليكم لا تبعة عليكم من ايجاب مهر ان طلقتم النسا ما لم تمسوهن ما لم تجامعوهن او تفرضوا

لهن فريضة الا ان تفرضوا لهن فريضة او حتى تفرضوا وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك

ان المطلقة غير المدخول بها ان سمى لها مهر فلها نصف المسمى وان لم يسم لها فليس لها نصف

مهر المثل ولكن المتعة والدليل على ان الجناح تبعة المهر قوله وان طلقتموهن الى قوله فنصف

ما فرضتم فقوله فنصف ما فرضتم اثبات للجناح المنفي ثمه والمتعة درع وملحفة وخمار

على حسب الحال عند ابي حنيفة الا ان يكون مهر مثلها اقل من ذلك فلها الاقل من نصف المهر

ومن المتعة ولا ينقص من خمسة الا ان يكون مهر مثلها اقل من ذلك فلها الاقل من نصف المهر

ومن المتعة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها والموسع الذي له سعة

والمقتر الضيق الحال وقدره مقداره الذي يطيقه لان ما يطيقه هو الذي يختص به وقرئ

بفتح الدال والقدر والقدر لغتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل من الانصار

تزوج امراة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها قبل ان يمسها امتعتها قال لم يكن عندي شي

قال متعها بقلنسوتك وعند اصحابنا لا تجب المتعة الا لهذه وحدها وتستحب لسائر المطلقات

ولا تجب متاعا تاكيد لمتعوهن بمعنى تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يحسن في الشرع والمروة

حقا صفة لمتاعا اي متاعا واجبا عليهم او حق ذلك حقا على المحسنين على الذين يحسنون الى المطلقات

بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه الا ان يعفون

يريد المطلقات اي فرق بين قولك الرجال يعفون والنسا يعفون

الواو في الاول ضمير هم والنون علم للرفع والواو في الثاني لام الفعل والنون ضمير هن والفعل

مبني لا اثر في لفظه للعامل وهو في محل النصب ويعفو عطف على محله والذي بيده عقدة النكاح

الذي بيده عقدة النكاح وان تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا
لله قانتين فان خفتم فرجالا او ركبانا

الولي يعني الا ان تعفو المطلقات عن ازواجهن فلا يطالبنهم بنصف المهر وتقول

المراة ما رآني ولا خدمته ولا استمتع بي فكيف آخذ منه شيا او يعفو الولي الذي بيده

عقدة نكاحهن وهو مذهب الشافعي وقيل هو الزوج وعفوه ان يسوق اليها المهر كاملا

وهو مذهب ابي حنيفة والاول ظاهر الصحة وتسمية الزيادة على الحق عفوا فيها نظر الا ان

يقال كان الغالب عندهم ان يسوق اليها المهر عند التزوج فاذا طلقها استحق ان يطالبها

بنصف ما ساق اليها فاذا ترك المطالبة فقد عفا عنها او سماه عفوا على طريق المشاكلة

وعن جبير بن مطعم انه تزوج امراة وطلقها قبل ان يدخل بها فاكمل لها الصداق وقال

انا احق بالعفو وعنه انه دخل على سعد بن ابي وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج

طلقها وبعث اليها بالصداق كاملا فقيل له لم تزوجتها فقال عرضها علي فكرهت

رده فقيل فلم بعثت بالصداق قال فاين الفضل والفضل التفضل اي ولا تنسوا ان

يتفضل بعضكم على بعض ولا تستقصوا وقرا الحسن او يعفو الذي بسكون

الواو واسكان الواو والياء في موضع النصب تشبيه لهما بالالف لانهما اختاها

وقرا ابو نهيك وان يعفوا بالياء وقرئ ولا تنسوا الفضل بكسر الواو والصلوة

الوسطى اي الوسطى بين الصلوات او الفضلى من قولهم للافضل الاوسط وانما افردت

وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وهي صلوة العصر وعن النبي عليه السلام

انه قال يوم الاحزاب شغلونا عن صلوة الوسطى صلوة العصر ملا الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام

انها الصلوة التي شغل عنها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب وعن حفصة انها قالت

لمن كتب لها المصحف اذا بلغت هذه الاية فلا تكتبها حتى املها عليك كما سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقراها فاملت عليه والصلوة الوسطى صلوة العصر

فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف والله عزيز حكيم

وعن روى عن عايشة وابن عباس والصلوة الوسطى وصلوة العصر بالواو فعلى هذه القراءة يكون التخصيص لصلوتين احديهما الصلوة الوسطى اما الظهر واما الفجر واما المغرب على اختلاف الروايات فيها والثانية العصر وقيل فضلها لما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم وعن ابن عمر رضي الله عنه هي صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصليها بالهاجرة ولم تكن صلوة اشد على صحابته منها وعن مجاهد هي الفجر لانها بين صلوتي النهار وصلوتي الليل وعن قبيصة بن ذويب هي المغرب لانها وتر النهار ولا تنقص في السفر من ثلث وقرأ عبد الله وعلى الصلوة الوسطى وقرأت عايشة والصلوة الوسطى بالنصب على المدح والاختصاص وقرأ نافع الوسطى وقوموا لله في الصلوة قانتين ذاكرين الله في قيامكم والقنوت ان تذكر الله قايما وعن عكرمة كانوا يتكلمون في الصلوة فنهوا وعن مجاهد هو الركود وكف الايدي والبصر وروي انهم كانوا اذا قام احدهم الى الصلوة هاب الرحمن ان يمد بصره او يلتفت او يقلب الحصى او يحدث نفسه بشيء من امور الدنيا فان خفتم فان كان بكم خوف من عدو او غيره فرجالا فصلوا راجلين وهو جمع راجل كقايم وقيام او رجل يقال رجل رجل اي راجل وقرئ فرجالا بضم الراء ورجالا بالتشديد ورجلا وعند ابي حنيفة لا يصلون في حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف وعند الشافعي يصلون في كل حال والراكب يومي ويسقط عنه التوجه الى القبلة فاذا زال خوفكم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون من صلوة الامن او فاذا امنتم فاشكروا الله على الامن واذكروه بالعبادة كما احسن اليكم بما علمكم من الشرايع وكيف تصلون في حال الخوف وفي حال الامن تعرف فيمن قرأ وصيةً بالرفع ووصية الذين يتوفون او وحكم الذين يتوفون وصية لازواجهم او والذين يتوفون اهل وصية لازواجهم

وفيمن قرأ بالنصب فالذين يتوفون يوصون وصيةً كقولك انما انت سير البريد اي تسير او والزم الذين يتوفون وصيةً ويدل عليه قراءة عبد الله كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكان قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول وقراءة ابي متاع لازواجهم متاعا وروي عنه فمتاع لازواجهم ومتاعا نصب بالوصية الا اذا اضمرت يوصون فانه نصب بالفعل وعلى قراءة ابي متاعا نصب بمتاع لانه في معنى التمتيع كقولك الحمد لله حمد الشاكرين واعجبني ضربٌ لك زيدا ضربا شديدا وغير اخراج مصدر موكد كقولك هذا القول غير ما تقول او بدل من متاعا او حال من الازواج اي غير مخرجات والمعنى ان حق الذين يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا بان تمتع ازواجهم بعدهم حولا كاملا اي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك في اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وقيل نسخ ما زاد منه على هذا المقدار ونسخت النفقة بالارث الذي هو الربع والثمن واختلف في السكنى فعند ابي حنيفة واصحابه لا سكنى لهن فيما فعلن في انفسهن من التزين والتعرض للخطاب من معروف مما ليس بمنكر شرعا

كيف نسخت الاية المتقدمة الاية المتاخرة قد يكون الاية متقدمة في التلاوة وهي متاخرة في التنزيل كقوله تعالى سيقول السفهاء مع قوله قد نرى تقلب وجهك في السماء وللمطلقات متاع عمم المطلقات بايجاب المتعة لهن بعد ما اوجبها لواحدة منهن وهي المطلقة غير المدخول بها وقال حقا على المتقين كما قال ثمه حقا على المحسنين وعن سعيد بن جبير وابي العالية والزهري انها واجبة لكل مطلقة وقيل قد تناولت التمتيع الواجب والمستحب جميعا وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة الم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب واخبار الاولين وتعجيب من شانهم ويجوز ان تخاطب به من لم ير

الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت

فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون

ولم يتبع لان هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجيب روي ان اهل داوردان قرية قبل
واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا انه
لا مفر من حكم الله وقضائه وقيل مر عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم و
تفرقت اوصالهم فلوى شدقه واصابعه تعجبا مما راى فاوحي الله اليه ناد فيهم ان قوموا باذن
الله فنادى فنظر اليهم قياما يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل هم قوم
من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد فهربوا حذرا من الموت فاماتهم الله ثمانية
ايام ثم احياهم وهم الوف فيه دليل على الالوف الكثيرة واختلف في ذلك فقيل عشرة وقيل
ثلثون وقيل سبعون ومن بدع التفاسير الوف متالفون جمع آلف كقاعد وقعود ف
ما معنى قوله فقال لهم الله موتوا معناه فاماتهم الله وانما جيء به على هذه العبارة للدلالة
على انهم ماتوا ميتة واحدة بامر الله ومشيته وتلك ميتة خارجة عن العادة كانهم امروا
بشيء فامتثلوا امتثالا من غير اباء ولا توقف كقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون
وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وان الموت اذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه
مفر فاولى ان يكون في سبيل الله لذو فضل على الناس حيث يبصرهم ما يعتبرون به ويستبصرون كما
بصر اولئك وكما بصركم باقتصاص خبرهم او لذو فضل على الناس حيث احيا اولئك ليعتبروا فيفوزوا
ولو شاء لتركهم موتى الى يوم البعث والدليل على انه ساق هذه القصة بعثا على الجهاد ما اتبعه
من الامر بالقتال في سبيل الله واعلموا ان الله سميع يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون عليم
بما يضمرونه وهو من وراء الجزاء اقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه والقرض
الحسن اما المجاهدة في نفسها واما النفقة في سبيل الله اضعافا كثيرة قيل الواحد بسبعماية وقيل
كثيرة لا يعلم كنهها الا الله والله يقبض ويبسط يوسع على عباده ويقتر فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم

لا يبدلكم

من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون الم تر الى الملا من بني اسرائيل

لا يبدلكم الضيقة بالسعة واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم لنبي لهم هو يوشع او شمعون او
اشمويل ابعث لنا ملكا انهض للقتال معنا اميرا نصدر في تدبير الحرب عن رايه وننتهي الى امره
وطلبوا من نبيهم نحو ما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من التامير على الجيوش التي كان
يجهزها ومن امرهم بطاعته وامتثال اوامره وروي انه امر الناس اذا سافروا ان يجعلوا احدهم
اميرا عليهم نقاتل قرئ بالنون والجزم على الجواب وبالنون والرفع على انه حال اي ابعثه لنا مقدرين
القتال او استيناف كانه قال لهم ما تصنعون بالملك فقالوا نقاتل والشرط فاصل بينهما والمعنى
هل قاربتم ان لا تقاتلوا يعني هل الامر كما اتوقعه انكم لا تقاتلون اراد ان يقول عسيتم ان لا تقاتلوا
بمعنى اتوقع جبنكم عن القتال فادخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون واراد بالاستفهام
التقرير وتثبيت ان المتوقع كاين وانه صايب في توقعه كقوله هل اتى على الانسان معناه
التقرير وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة وما لنا ان لا نقاتل واي داع لنا الى ترك القتال
واي غرض لنا فيه وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا وذلك ان قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل
بحر الروم بين مصر وفلسطين فاسروا من ابناء ملوكهم اربعماية واربعين الا قليلا منهم قيل
كان القليل منهم ثلثماية وثلثة عشر على عدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم
في القعود عن القتال وترك الجهاد طالوت اسم اعجمي كجالوت وداود وانما امتنع من الصرف
لتعريفه وعجمته وزعموا انه من الطول لما وصف به من البسطة في الجسم ووزنه ان كان من الطول فعلوت
اصله طولوت الا ان امتناع صرفه يدفع ان يكون منه الا ان يقال هو اسم عبراني وافق عربيا
كما وافق حنطا حنطة وبشماليا اغفر لنا بسم الله الرحمن الرحيم فهو من الطول كما لو كان عربيا
وكان احد سببيه العجمة لكونه عبرانيا انى كيف ومن اين وهو انكار لتملكه عليهم واستبعاد له فان قلت
ما الفرق بين الواوين في ونحن احق ولم يؤت قلت الاولى للحال والثانية لعطف الجملة على الجملة

اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا

قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا

حالا هما تظمتهما في حكم واو الحال والمعنى كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو احق بالملك وانه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به وانما قالوا ذلك لان النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب والملك في سبط يهودا ولم يكن طالوت من احد السبطين ولانه كان رجلا سقاء او دباغا فقيرا وروي ان نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكا فاتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قال ان الله اصطفاه عليكم يريد ان الله هو الذي اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكم الله ثم ذكر مصلحتين انفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم المبسوط والجسامة والظاهر ان المراد بالعلم المعرفة بما يطلبون لاجله من امر الحرب ويجوز ان يكون عالما بالديانات وبغيرها وقيل قد اوحي اليه ونبئ وذلك لان الملك لا بد وان يكون من اهل العلم لان الجاهل مزدرى غير منتفع به وان يكون جسيما يملأ العين جهارة لانه اعظم في النفوس واهيب في القلوب والبسطة السعة والامتداد وروي ان الرجل القائم كان يمد يده فينال رأسه والله يؤتي ملكه من يشاء في الملك له غير منازع فيه فهو يؤتيه من يشاء ممن يستصلحه للملك والله واسع الفضل والعطاء يوسع على التوراة وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون والسكينة السكون والطمانينة وقيل هي صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها رأس كرأس الهرة وذنب كذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي رضي الله عنه كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة وبقية هي رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة وكان رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة تحمله وهم ينظرون اليه وكان ذلك آية لاصطفاء الله طالوت وقيل كان مع موسى ومع انبياء بني اسرائيل بعده يستفتحون به فلما غيرت بنو اسرائيل غلبهم

قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم يؤتي ملكه من يشاء

الله واسع عليم وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة

عليه الكفار فكان في ارض جالوت فلما اراد الله ان يملك طالوت اصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مداين فقالوا هذا بسبب هذا التابوت بين اظهرنا فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت وقيل كان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين وقرأ ابي وزيد بن ثابت التابوه بالهاء وهي لغة الانصار ماوزن التابوت

لا يخلو من ان يكون فعلوتا او فاعولا فلا يكون فاعولا لقلة نحو سلس وقلق ولانه تركيب غير معروف فلا يجوز ترك المعروف اليه فهو اذن فعلوت من التوب وهو الرجوع لانه ظرف توضع فيه الاشياء وتودعه فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع اليه فيما يحتاج اليه من مودعاته واما من قرأ بالهاء فهو فاعول عنده الا فيمن جعل هاءه بدلا من التاء لاجتماعهما في الهمس وانهما من حروف الزيادة ولذلك ابدلت من تاء التانيث وقرأ ابو السماك سكينة بفتح السين والتشديد وهو غريب وقرئ بقية بالياء من آل موسى وآل هارون الانبياء من بني يعقوب بعدهما لان عمران هو ابن قاهث بن لاوي بن يعقوب وكان من اولاد يعقوب آلهما ويجوز ان يراد مما تركه موسى وهارون والآل مقحم لتفخيم شانهما فصل عن موضع كذا انفصل عنه وجاوزه واصله فصل نفسه ثم كثر محذوف المفعول حتى صار في حكم غير المتعدي كانفصل وقيل فصل عن البلد فصولا ويجوز ان يكون فصله فصلا وفصل فصولا كوقف وصد ونحوهما والمعنى انفصل عن بلده بالجنود روي انه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختار ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسألوا ان يجري الله نهرا فقال ان الله مبتليكم بما اقترحتموه من النهر فمن شرب منه فمن ابتدأ شربه من النهر بان كرع فيه فليس مني فليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كانه بعضه لاختلاطهما واتحادهما ويجوز ان يراد فليس من اهل ولايتي واشياعي ومن لم يطعمه ومن لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه

فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني

ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده

ومنه طعم الشيء لمذاقه قال وان شيت لم اطعم نقاخا ولا بردا الا ترى كيف عطف عليه البرد وهو النوم ويقال ما ذقت غماضا ونحو من الابتلاء ما ابتلي به اهل ايلة من ترك الصيد مع اتيان الحيتان شرعا بل هو اشد منه واصعب وانما عرف ذلك طالوت باخبار من النبي وان كان نبيا كما يروى عن بعضهم فبالوحي وقرئ بنهر بالسكون ثم استثني قوله الا من اغترف من قوله فمن شرب منه فليس مني والجملة الثانية في حكم المتاخر الا انها قدمت للعناية كما قدم والصابيون في قوله ان الذين والذين هادوا والصابيون ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والدليل عليه قوله فشربوا منه اي فكرعوا فيه الا قليلا منهم وقرئ غرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف وقرا ابي والاعمش الا قليل بالرفع وهذا من ميلهم مع المعنى والاعراض عن اللفظ جانبا وهو باب جليل من علم العربية فلما كان معنى فشربوا منه في معنى فلم يطعموه حمل عليه كانه قيل فلم يطيعوه الا قليل منهم ونحوه قول الفرزدق لم يدع من المال الا مسحت او مجلف كانه قيل لم يبق من المال الا مسحت او مجلف وقيل لم يبق مع طالوت الا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا والذين آمنوا يعني القليل قال الذين يظنون يعني الخلص منهم الذين نصبوا بين اعينهم لقاء الله وايقنوه او الذين تيقنوا انهم يستشهدون عما قريب ويلقون الله والمومنون مختلفون في قوة اليقين ونصوع البصيرة وقيل الضمير في قالوا لا طاقة لنا للكثير الذين انخزلوا والذين يظنون هم القليل الذين ثبتوا معه كانهم تقاولوا بذلك والنهر بينهما يظهر اوليك عذرهم في الانخزال ويرد عليهم هولاء ما يعتذرون به وروي ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه واداوته والذين شربوا منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش وجالوت جبار من العمالقة من اولاد عمليق بن عاد وكانت بيضته فيها ثلثماية رطل وثبت اقدامنا وهب لنا ما نثبت به في مداحض الحرب من قوة القلوب والقاء الرعب في قلب العدو ونحو ذلك من الاسباب وكان ايشي ابو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه

قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين

ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت وآتيه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين

وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم فاوحي الى اشمويل ان داود بن ايشي هو الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد مر في طريقه بثلثة احجار دعاه كل واحد منها ان احملني وقالت له انك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله وزوجه طالوت بنته وروي انه حسده واراد قتله ثم تاب وآتاه الله الملك في مشارق الارض المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنو اسرائيل على ملك قط قبل داود والحكمة والنبوة وعلمه مما يشاء من صنعة الدروع وكلام الطير والدواب وغير ذلك ولولا دفع الله الناس ولولا ان الله يدفع الناس بعضا ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الارض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وساير ما يعمر الارض وقيل ولولا ان الله ينصر المومنين على الكفار لفسدت الارض بعيث الكفار فيها وقتل المسلمين او لم يدفعهم بهم لعم الكفر ونزلت السخطة فاستوصل اهل الارض تلك آيات الله يعني القصص التي اقتصها من حديث الالوف واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت واظهاره بالاية التي هي نزول التابوت من السماء وغلبة الجبابرة على يد صبي بالحق باليقين الذي لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك وانك لمن المرسلين حيث تخبر بها من غير ان تعرف بقراءة كتاب ولا سماع اخبار تلك الرسل اشارة الى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في السورة او التي ثبت علمها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا بعضهم على بعض لما وجب ذلك من تفاضلهم في الحسنات منهم من كلم الله منهم من فضله الله بان كلمه من غير سفير وهو موسى عليه السلام وقرئ كلم الله بالنصب وقرا اليماني كالم الله من المكالمة ويدل

تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس

ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد

عليه وسلم كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات اى ومنهم من رفعه على ساير الانبياء
فكان بعد تفاوتهم في الفضل منهم بدرجات كثيرة والظاهر انه اراد محمدا صلى الله عليه وسلم
لانه هو المفضل عليهم حيث اوتى ما لم يوته احد من الايات المتكاثرة المرتقية الى الف اية
واكثر ولو لم يوت الا القران وحده لكفى به فضلا منيفا على ساير ما اوتى الانبياء لانه
المعجزة الباقية على وجه الدهر دون ساير المعجزات وفي هذا الابهام من تفخيم فضله واعلاء
قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على انه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس
ويقال للرجل من فعل هذا فيقول احدكم او بعضكم يريد به الذي لا يلتبس ويقال للرجل
من فعل هذا فيقول احدكم او بعضهم يريد به الذي تعورف واشتهر بنحوه من الافعال فيكون افخم
من التصريح به وانوه بصاحبه وسئل الحطيئة عن اشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم قال
ولو شئت لذكرت الثالث اراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت نفسي لم يفخم امره
ويحتمل ابراهيم ومحمدا وغيرهما من اولي العزم من الرسل وعن ابن عباس كنا في المسجد
نتذاكر فضل الانبياء فذكرنا نوحا بطول عبادته وابراهيم بخلته وموسى بتكليم الله اياه وعيسى
برفعه الى السماء وقلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل منهم بعث الى الناس كافة وغفر له ما تقدم
من ذنبه وما تأخر وهو خاتم الانبياء فدخل فقال فيم انتم فذكرنا له فقال لا ينبغي لاحد ان يكون
خيرا من يحيى بن زكريا فذكر انه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها ان قلت لم خص موسى
عيسى من بين الانبياء بالذكر قلت لما اوتيا من الايات العظيمة والمعجزات الباهرة
ولقد بين الله وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية من الآيات فلما كان هذان
النبيان قد اوتيا ما اوتيا من عظام الايات خصا بالذكر في باب التفضيل وهذا دليل بين
ان من زيد تفضيلا بالايات منهم فقد فضل على غيره ولما كان نبينا صلى الله عليه وسلم هو الذي اوتي

يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون

منها ما لم يوت احد في كثرتها وعظمها كان هو المشهود له باحراز قصبات
الفضل غير مدافع اللهم ارزقنا شفاعته يوم الدين ولو شاء الله مشيئة الجاء وقسر
ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد الرسل لاختلافهم في الدين وتشعب مذاهبهم وتكفير
بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن لالتزامه دين الانبياء ومنهم من كفر لاعراضه
عنه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتاكيد ولكن الله يفعل ما يريد من الخذلان والعصمة
انفقوا مما رزقناكم اراد الانفاق الواجب لاتصال الوعيد به من قبل ان ياتي يوم
لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الانفاق لانه لا بيع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقون
ولا خلة حتى يسامحكم اخلاؤكم به وان اردتم ان يحط عنكم ما في ذمتكم من
الواجب لم تجدوا شفيعا يشفع لكم في حط الواجبات لان الشفاعة ثم في زيادة
الفضل لا غير والكافرون هم الظالمون اراد والتاركون الزكوة هم الظالمون
فقال والكافرون للتغليظ كما قال في آخر اية الحج ومن كفر مكان ومن لم يحج ولانه
جعل ترك الزكوة من صفات الكفار في قوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة
وقرئ لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالرفع الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء
وهو على اصطلاح المتكلمين الذي يصح ان يعلم ويقدر والقيوم الدائم القيام
بتدبير الخلق وحفظه وقرئ القيام والقيم والسنة ما يتقدم النوم من الفتور
الذي يسمى النعاس قال ابن الرقاع العاملي وسنان اقصده النعاس فرنقت في
عينه سنة وليس بنايم اي لا ياخذه نعاس ولا نوم وهو تاكيد للقيوم لان من
جاز عليه ذلك استحال ان يكون قيوما ومنه حديث موسى انه سال الملائكة
وكان ذلك من قومه كطلب الرؤية اينام ربنا فاوحى الله تعالى اليهم ان يوقظوه

نلتا ولا يتركوه ينام ثم قال خذ بيدك قارورتين مملوتين فاخذهما فالقى الله عليه النعاس
فضرب احديهما على الاخرى فانكسرتا ثم اوحى الله اليه قل لهؤلاء اني امسك السموات
والارض بقدرتي فلو اخذني نوم او نعاس لزالتا بيان لملكوته وكبريائه وان احدا
لا يتمالك ان يتكلم يوم القيمة الا اذا اذن له في الكلام كقوله لا يتكلمون الا من اذن له
الرحمن يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما في السموات
والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء من علمه من معلوماته
الا بما شاء الا بما علم الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وفي قوله وسع
كرسيه اربعة اوجه احدها ان كرسيه لم يضق عن السموات والارض لبسطته وسعته
وما هو الا تصوير لعظمته وتخييل فقط ولا كرسي ثمه ولا قعود ولا قاعد كقوله وما قدروا الله
حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه من غير تصور
قبضة وطي ويمين وانما هو تخييل لعظمة شانه وتمثيل حسي الا ترى الى قوله وما قدروا
الله حق قدره والثاني وسع علمه وسمي العلم كرسيا تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم والثالث
وسع ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك والرابع ما روي انه خلق كرسيا هو بين
يدي العرش دونه السموات والارض وهو الى العرش كاصغر شيء وعن الحسن الكرسي
هو العرش ولا يؤده ولا يثقله ولا يشق عليه حفظهما حفظ السموات والارض وهو
العلي الشان العظيم القدرة فان قلت كيف ترتبت الجمل في آية الكرسي من غير حرف
عطف قلت ما منها جملة الا وهي واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه والبيان متحد
بالمبين فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب بين العصا ولحائها فالاولى بيان
لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية لكونه مالكا لما يدبره والثالثة

لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت

١٥٦

للكبرياء شانه والرابعة لاحاطته باحوال الخلق وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة
وغير المرتضى والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها او لجلاله وعظم قدره
فان قلت لم فضلت هذه الآية حتى ورد في فضلها ما ورد منه قول النبي عليه السلام
ما قرئت هذه الآية في دار الا اهجرتها الشياطين ثلثين يوما ولا يدخلها
ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة يا علي علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت
آية اعظم منها وعن علي سمعت نبيكم على اعواد المنبر وهو يقول من قرأ آية الكرسي
في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق
او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات
حوله وتذاكر الصحابة افضل ما في القرآن فقال لهم علي اين انتم عن آية الكرسي ثم قال
قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي سيد البشر آدم وسيد العرب محمد
ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال
الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة
آية الكرسي قلت لما فضلت له سورة الاخلاص من اشتمالها على توحيد الله وتعظيمه
وتمجيده وصفاته العظمى ولا مذكور اعظم من رب العزة فما كان ذكرا له كان افضل من
سائر الاذكار وبهذا يعلم ان اشرف العلوم واعلاها منزلة عند الله علم اهل العدل والتوحيد
ولا يغرنك كثرة اعدائه فان العرانين تلقاها محسدة لا اكراه في الدين اي لم يجر الله امر الايمان
على الاجبار والقسر ولكن على التمكين والاختيار ونحوه قوله ولو شاء ربك لقسرهم على الايمان
ولكنه لم يفعل وبنى الامر على الاختيار قد تبين الرشد من الغي قد تميز الايمان من الكفر بالدلائل
الواضحة فمن يكفر بالطاغوت فمن اختار الكفر بالشيطان او الاصنام والايمان بالله فقد

يخرجونهم من النور الى الظلمات اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه ان آتاه الله الملك اذ قال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي وامیت

استمسک بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق المحكم المامون انفصامها اي انقطاعها وهذا تمثيل المعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كانه ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده والتيقن به وقيل هو اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين ثم قال بعضهم هو منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل هو في اهل الكتاب خاصة لانهم حصنوا انفسهم باداء الجزية وروي انه كان لانصاري من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل ان يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله فقال الانصاري يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر فنزلت فخلاهما الله ولي الذين آمنوا الذين ارادوا ان يومنوا يلطف بهم حتى يخرجهم بلطفه وتاييده من الكفر الى الايمان والذين كفروا اي صمموا على الكفر امرهم وينوقفهم لمن حلها حتى يخرجوا فيها الى نور اليقين والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من نور البينات التي تظهر لهم الى ظلمات الشك والشبهة الم تر تعجيب من محاجة نمروذ في الله وكفره به ان آتاه الملك متعلق بحاج على وجهين احدهما حاج لان آتاه الله الملك على معنى ان ايتاه الله الملك ابطره واورثه الكبر والعتو فحاج لذلك او على انه وضع المحاجة في ربه موضع ما وجب عليه من الشكر على ان آتاه الملك فكان المحاجة كانت لذلك كما تقول عاداني فلان لاني احسنت اليه تريد انه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان ونحوه قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والثاني حاج وقت ان آتاه الله الملك كيف جاز ان يوتي الله الملك الكافر قلت آتاه ما غلب به وتسلط من المال والخدم والاتباع واما التغليب والتسليط فلا وقيل

الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم

ملكه امتحانا للعباد واذ قال نصب لحاج او بدل من ان آتاه اذا جعل بمعنى الوقت انا احيي واميت يريد اعفو عن القتل واقتل وكان الاعتراض عتيدا ولكن ابرهيم عليه السلام لما سمع جوابه الاحمق لم يحاجه فيه ولكن انتقل الى ما لا يقدر فيه على نحو ذلك الجواب ليبهته اول شيء وهذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة الى حجة وقرئ فبهت الذي كفر اي فغلب ابرهيم الكافر وقرا ابو حيوة فبهت بوزن قرب وقيل كان هذه المحاجة حين كسر الاصنام وسجنه نمروذ ثم اخرجه من السجن ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعو اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت او كالذي معناه او ارايت مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه لان كلتيهما كلمة تعجب ويجوز ان يحمل على المعنى دون اللفظ كانه قيل ارايت كالذي حاج ابرهيم او كالذي مر على قرية والمار كان كافرا بالبعث وهو الظاهر لانتظامه مع نمروذ في سلك ولكلمة الاستبعاد التي هي انى يحيي وقيل هو عزير او الخضر اراد ان يعاين احياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه ابرهيم وقوله انى يحيي اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الاحياء واستعظام لقدرة المحيي والقرية بيت المقدس حين خربه بخت نصر وقيل هي التي خرج منها الالوف وهي خاوية على عروشها تفسير فيما بعد يوما او بعض يوم بناء على الظن روي انه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فراى بقية من الشمس فقال او بعض يوم وروي ان طعامه كان تينا وعنبا وشرابه عصيرا او لبنا فوجد التين والعنب كما جنيا والشراب على حاله ولم يتسنه لم يتغير والهاء اصلية او هاء سكت واشتقاقه من السنة على الوجهين لان لامها هاء او واو وذلك ان الشيء يتغير بمرور الزمان وقيل اصله يتسنن من الحما المسنون فقلبت نونه حرف العلة كتقضي البازي ويجوز ان يكون معنى لم يتسنه لم تمر عليه السنون التي مرت عليه يعني هو بحاله كما كان كانه لم يلبث مائة سنة وفي قراءة عبد الله فانظر الى طعامك وهذا شرابك لم يتسن وقرا ابي لم يسنه بادغام التاء

وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شيء قدير واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال

في السقي وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه ونخرت وكان له حمار قد ربط ويجوز ان يراد
وانظر اليه سالما في مكانه كما ربطته وذلك من اعظم الايات ان يعيشه مائة عام من غير
علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير ولنجعلك آية للناس فعلنا ذلك يريد احياءه
بعد الموت وحفظ ما معه وقيل اتى قومه راكب حماره وقال انا عزير فكذبوه فقال هاتوا التوراة فاخذ
يهذها هذا عن ظهر قلبه وهم ينظرون في الكتاب فما خرم حرفا فقالوا هو ابن الله ولم يقرا التوراة
ظاهرا احد قبل عزير فذلك كونه اية وقيل رجع الى منزله فراى اولاده شيوخا وهو شاب فاذا حدثهم
بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام هي عظام الحمار او عظام الموتى الذين تعجب من
احيائهم كيف ننشزها كيف نحييها وقرا الحسن ننشرها من نشر الله الموتى بمعنى انشرهم فنشروا
وقرئ ننشزها بالزاي بمعنى نحركها ونرفع بعضها الى بعض للتركيب وفاعل تبين مضمر تقديره فلما تبين
له ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قولهم ضربني وضربت زيدا ويجوز فلما تبين
له ما اشكل عليه يعني امر احياء الموتى وقرا ابن عباس فلما تبين له على البناء للمفعول وقرئ قال اعلم
على لفظ الامر وقرا عبد الله قيل اعلم فان قلت فان كان المار كافرا فكيف يسوغ ان يكلمه الله
كان الكلام بعد البعث ولم يكن اذ ذاك كافرا ارني بصرني كيف قال له اولم تؤمن
وقد علم انه اثبت الناس ايمانا ليجيب بما اجاب به من الفائدة الجليلة للسامعين
وبلى ايجاب لما بعد النفي معناه بلى آمنت ولكن ليطمئن قلبي ليزيد سكونا وطمأنينة بمضامة
علم الضرورة علم الاستدلال وتظاهر الادلة اسكن للقلوب وازيد للبصيرة واليقين
ولان علم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف العلم الضروري فاراد بطمأنينة القلب العلم الذي
لا مجال فيه للتشكيك بم تعلقت اللام في ليطمئن بمحذوف تقديره ولكن سالت
ذلك ارادة طمأنينة القلب فخذ اربعة من الطير قيل طاووسا وديكا وغرابا وحمامة فصرهن

اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن ياتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم

اليك بضم الصاد وكسرها بمعنى فاملهن واضممهن اليك قال ولكن اطراف الرماح تصورها
وقال وفرع يصير الجيد وحف كانه على الليت قنوان الكروم الدوالح وقرا ابن عباس
فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه نحو ضره
يضره ويضره وعنه فصرهن من التصرية وهي الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا
يريد ثم جزئهن وفرقهن على الجبال والمعنى على كل جبل من الجبال التي بحضرتك
وفي ارضك وقيل كانت اربعة اجبل وعن السدي سبعة ثم ادعهن وقل لهن تعالين
باذن الله ياتينك سعيا ساعيات مسرعات في طيرانهن او في مشيهن على ارجلهن
ما معنى امره بضمها الى نفسه بعد ان ياخذها ليتاملها
ويعرف اشكالها وهيئاتها وحلاها لئلا يلتبس عليه بعد الاحياء ولا يتوهم انها غير
تلك ولذلك قال ياتينك سعيا وروي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها
ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها وان يمسك رؤوسها ثم امر ان يجعل اجزاءها
على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله فجعل كل
جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤوسهن كل جثة الى
راسها وقرئ جزؤا بضمتين وجزا بالتشديد ووجهه انه خفف بطرح همزته
ثم شدد كما في الوقف اجراء للوصل مجرى الوقف مثل الذين ينفقون لا بد من
حذف مضاف اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة والمنبت هو الله تعالى
ولكن الحبة لما كانت سببا اسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء ومعنى
انباتها سبع سنابل ان تخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب لكل واحدة سنبلة وهذا
التمثيل تصوير للاضعاف كانها ماثلة بين عيني الناظر كيف صح هذا التمثيل والممثل

مثل الذين ينفقون في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم

غير موجود بل هو موجود في الدخن والذرة وغيرهما وربما فرخت ساق البر في الاراضي القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ ولو لم يوجد لكان صحيحا على سبيل الفرض والتقدير هلا قيل سبع سنبلات على حقه من التمييز بجمع القلة كما قال وسبع سنبلات خضر هذا لما قدمت عند قوله ثلثة قروء من وقوع امثلة الجمع متعاورة مواقعها والله يضاعف لمن يشاء اي يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت احوال المنفقين او يضاعف سبع المائة ويزيد عليها اضعافها لمن يستوجب ذلك المن ان يعتد على من احسن اليه باحسانه ويريه انه اصطنعه واوجب عليه حقا له وكانوا يقولون اذا صنعتم صنيعة فانسوها ولبعضهم وان امرأ اسدى الي صنيعة وذكرنيها مرة للئيم وفي نوابغ الكلم صنوان من منح سائله ومن ومن منع نائله وضن وفيها طعم الآلاء احلى من المن وهي امر من الآلاء مع المن والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما ازل اليه ومعنى ثم اظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق كما جعل الاستقامة على الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا اي فرق بين قوله الذين ينفقون وقوله فيما بعد فلهم اجرهم قلت الموصول ههنا لم يضمن معنى الشرط وضمنه ثم والفرق بينهما من جهة المعنى ان الفاء فيها دلالة على ان الانفاق به استحق الاجر وطرحها عار عن تلك الدلالة قول معروف رد جميل ومغفرة وعفو عن السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسؤول او ونيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل او وعفو من جهة السائل لانه اذا رده ردا جميلا عذره خير من صدقة يتبعها اذى وصح الاخبار عن المبتدأ النكرة لاختصاصه بالصفة والله غني لا حاجة به الى منفق يمن ويؤذي

الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون

قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غني حليم يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم

حليم عن معاجلة العقوبة وهذا سخط منه ووعيد له ثم بالغ في ذلك بما اتبعه كالذي ينفق ماله اي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كابطال المنافق الذي ينفق ماله رئاء الناس لا يريد بانفاقه رضاء الله ولا ثواب الآخرة فمثله مثل صفوان مثله ونفقته التي لا ينتفع بها البتة بصفوان بحجر املس عليه تراب وقرأ سعيد بن المسيب صفوان بوزن كروان فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا اجرد نقيا من التراب الذي كان عليه ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق لا يقدرون على شيء مما كسبوا كقوله فجعلناه هباء منثورا ويجوز ان تكون الكاف في محل النصب على الحال اي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق فان قلت كيف قال لا يقدرون بعد قوله كالذي ينفق قلت اراد بالذي ينفق الجنس او الفريق الذي ينفق ولان من والذي يتعاقبان فكانه قيل كمن ينفق وتثبيتا من انفسهم وليثبتوا منها ببذل المال الذي هو شقيق الروح وبذله اشق شيء على النفس على سائر العبادات الشاقة وعلى الايمان لان النفس اذا ريضت بالتحامل عليها وتكليفها ما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها وقل طمعها في اتباعه لشهواتها وبالعكس فكان انفاق المال تثبيتا لها على الايمان واليقين ويجوز ان يراد وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم لانه اذا انفق المسلم في سبيل الله علم ان تصديقه وايمانه بالثواب من اصل نفسه ومن اخلاص قلبه ومن على التفسير الاول للتبعيض مثلها في قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه وعلى الثاني لابتداء الغاية كقوله تعالى حسدا من عند انفسهم ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة الايمان

كمثل جنة بربوة اصابها وابل فآتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار

له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون

مخلصة فيه وبعضه قراءة مجاهد وتبيينا لانفسهم فامعنى التبعيض معنا
ان من بذل ماله لوجه الله فقد ثبت نفسه ومن بذل ماله وروحه معا فهو الذي ثبتها
كلها وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم والمعنى ومثل نفقة هؤلاء في زكوتها
عند الله كمثل جنة وهي البستان بربوة بمكان مرتفع وخصها لان الشجر ازكى فيها واحسن
ثمرا اصابها وابل مطر عظيم القطر فاتت اكلها ثمرتها ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب
الوابل فان لم يصبها وابل فطل مطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها او مثل حالهم
عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكما ان كل واحد من
المطرين يضعف اكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت او قليلة بعد ان يطلب بها وجه الله ويبذل
فيها الوسع زاكية عند الله زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده وقرئ كمثل حبة بربوة
وبربوة بالحركات الثلث واكلها بضمتين الهمزة في ايود للانكار وقرئ له جنات
وذرية ضعاف والاعصار الريح التي تستدير في الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود وهذا مثل
لمن يعمل الاعمال الحسنة لا يبتغي بها وجه الله فاذا كان يوم القيمة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك
حسرة من كانت له جنة من ابهى الجنان واجمعها للثمار فبلغ الكبر وله اولاد ضعاف والجنة
معاشهم ومنتعشهم فهلكت بالصاعقة وعن عمر رضي الله عنه انه سال الصحابة فقالوا الله
اعلم فغضب وقال قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شيء يا امير المومنين
قال قل يا ابن اخي ولا تحقر نفسك ضرب مثلا لعمل قال لاي عمل قال لرجل غني يعمل الحسنات
ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى اغرق اعماله كلها وعن الحسن هذا مثل قل والله
من يعقله من الناس شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه افقر ما كان الى جنته وان احدكم والله
افقر ما يكون الى عمله اذا انقطعت عنه الدنيا كيف قال جنة من نخيل واعناب ثم قال له

يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون

فيها

ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله غني حميد الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم

١٦٠

فيها من كل الثمرات النخيل والاعناب لما كانا اكرم الشجر واكثرها منافع خصهما الله
تعالى بالذكر وجعل الجنة منهما وان كانت محتوية على ساير الاشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم اردفهما
ذكر كل الثمرات ويجوز ان يريد بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيها كقوله وكان له ثمر
بعد قوله جنتين من اعناب وحففناهما بنخل علام عطف قوله واصابه الكبر
الواو للحال لا للعطف ومعناه ان تكون له جنة وقد اصابه الكبر وقيل يقال وددت ان يكون كذا
وددت لو كان كذا فحمل العطف على المعنى كانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر
من طيبات ما كسبتم من جياد مكسوباتكم ومما اخرجنا لكم من الحب والثمر والمعادن وغيرها
هلا قيل وما اخرجنا لكم عطفا على ما كسبتم حتى يشتمل الطيب على المكسوب والمخرج من الارض
معناه ومن طيبات ما اخرجنا لكم الا انه حذف لذكر الطيبات ولا تيمموا الخبيث
ولا تقصدوا المال الرديء منه تنفقون تخصونه بالانفاق وهو في محل الحال وقرا عبد الله ولا تاموا
وقرا ابن عباس ولا تيمموا بضم التاء وتيممه وتيممه وتامه سواء في معنى قصده ولستم باخذيه
وحالكم انكم لا تاخذونه في حقوقكم الا ان تغمضوا فيه الا بان تتسامحوا في اخذه وتترخصوا فيه
من قولك اغمض فلان عن بعض حقه اذا غض بصره ويقال للبايع اغمض اي لا تستقص كانك
لا تبصر قال الطرماح لم يفتنا بالوتر قوم وللضيم رجال يرضون بالاغماض وقرا الزهري
تغمضوا واغمض وغمض بمعنى وعنه تغمضوا بضم الميم وكسرها من غمض يغمض ويغمض وقرا
قتادة تغمضوا على البناء للمفعول بمعنى الا ان تدخلوا فيه وتجذبوا اليه وقيل الا ان توجدوا مغمضين
وعن الحسن لو وجدتموه في السوق يباع ما اخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه وعن ابن عباس كانوا يتصدقون
بحشف التمر وشراره فنهوا عنه الشيطان يعدكم الفقر اي يعدكم في الانفاق الفقر ويقول لكم ان
عاقبة انفاقكم ان تفتقروا وقرئ الفقر بالضم والفقر بفتحتين والوعد يستعمل في الخير والشر

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر فان الله

ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء
وما تنفقوا من خير فلانفسكم

قال الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر في الانفاق ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل ومنع الصدقات
اغراء الآمر للمأمور والفاحش عند العرب البخيل والله يعدكم في الانفاق مغفرة منه لذنوبكم
وكفارة لها وفضلا وان يخلف عليكم افضل مما انفقتم او ثوابا عليه في الآخرة يؤتي الحكمة يوفق
للعلم والعمل به والحكيم عند الله هو العالم العامل وقرئ ومن يؤت الحكمة بمعنى ومن يؤته الله
وهكذا قرأه الاعمش وخيرا كثيرا تنكير تعظيم كأنه قال فقد اوتي اي خير كثير وما يذكر الا اولوا
الالباب يريد الحكماء العلماء العمال والمراد به الحث على العمل بما تضمنت الآي في معنى الانفاق
وما انفقتم من نفقة في سبيل الله او في سبيل الشيطان او نذرتم من نذر في طاعة الله او في معصيته فان
الله يعلمه لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه وما للظالمين الذين ينفقون الصدقات او ينفقون
اموالهم في المعاصي ولا يوفون بالنذور او ينذرون في المعاصي من انصار من ينصرهم من الله و
يمنعهم من عقابه ان تبدوا الصدقات فنعما هي فنعم شيئا ابداؤها وقرئ
بكسر النون وفتحها وان تخفوها وتؤتوها الفقراء اي وتعطوها مع الاخفاء فهو خير
لكم فالاخفاء خير لكم والمراد الصدقات المتطوع بها فان الافضل في الفرائض ان يجاهر بها وعن ابن
عباس رضي الله عنه صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا
وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا وانما كانت المجاهرة بالفرائض
افضل لنفي التهمة حتى اذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان اخفاؤه افضل والمتطوع ان اراد
ان يقتدى به كان اظهاره افضل ويكفر قرئ بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء او على
انه خبر مبتدأ محذوف اي ونحن نكفر او على انه جملة من فعل وفاعل مبتدأة ومجزوما عطفا
على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط وقرئ ويكفر بالياء مرفوعا والفعل لله او للاخفاء
وتكفر بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات وقرأ الحسن بالياء والنصب باضمار ان

وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض
ومعناه

يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية
فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون

١٦١

ومعناه ان تخفوها يكن خيرا لكم وان يكفر عنكم ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعلهم مهتدين
الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك الا البلاغ
فحسب ولكن الله يهدي من يشاء يلطف بمن يعلم ان اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهوا عنه وما تنفقوا
من خير من مال فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول
عليهم وما تنفقون وليست نفقتكم الا ابتغاء وجه الله ولطلب ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون
الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فلا
عذر لكم في ان ترغبوا عن انفاقه وان يكون على احسن الوجوه واجملها وقيل حجت اسماء بنت ابي
بكر فاتتها امها تسألها وهي مشركة فأبت ان تعطيها فنزلت وعن سعيد بن جبير كانوا
يتقون ان يرضخوا لقراباتهم من المشركين وروي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار في اليهود
ورضاع وقد كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان ينفقوهم وعن بعض العلماء لو كان
شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك واختلف في الواجب فجوز ابو حنيفة رضي الله عنه صدقة
الفطر الى اهل الذمة وأباه غيره الجار متعلق بمحذوف والمعنى اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقون
للفقراء كقوله في تسع آيات وهو ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي صدقاتكم للفقراء الذين
احصروا في سبيل الله هم الذين احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض للكسب وقيل هم
اصحاب الصفة وهم كانوا نحو اربعمائة رجل من مهاجري قريش لم يكن لهم مساكن في المدينة ولا
عشائر فكانوا في صفة المسجد وهي سقيفته يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا
يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن كان عنده فضل اتاهم به اذا امسى
وعن ابن عباس وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على اصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم
وطيب قلوبهم وقال ابشروا يا اصحاب الصفة فمن بقي من امتي على النعت الذي انتم عليه راضيا بما فيه فانه

الذين يأكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس

ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا واحل الله البيع وحرم الربوا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون

من دفعاتهم يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف مستغنين من اجل تعففهم عن المسئلة تعرفهم بسيماهم من صفرة الوجه ورثاثة الحال والالحاف الالحاح وهو اللزوم وان لا يفارق الا بشيء يعطاه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض البذي السائل الملحف ومعناه انهم ان سالوا سالوا بتلطف ولم يلحفوا وقيل هو نفي للسوال والالحاف جميعا كقوله على لاحب لا يهتدي بمناره يريد نفي المنار والاهتداء به بالليل والنهار سرا وعلانية يعمون الاوقات والاحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يوخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال وقيل نزلت في ابي بكر الصديق حين تصدق باربعين الف دينار عشرة بالنهار وعشرة بالليل وعشرة في السر وعشرة في العلانية وعن ابن عباس نزلت في علي رضي الله عنهم لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقيل نزلت في علف الخيل وارتباطها في سبيل الله وعن ابي هريرة كان اذا مر بفرس سمين قرا هذه الاية الربوا كتب بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس الا كما يقوم المصروع وتخبط الشيطان من زعمات العرب يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب على غير استواء كخبط العشواء فورد على ما كانوا يعتقدون والمس الجنون ورجل ممسوس وهذا ايضا من زعماتهم ان الجني يمسه فيختلط عقله وكذلك جن الرجل معناه ضربته الجن ورايتهم لهم في الجن قصص واخبار وعجائب وانكار ذلك عندهم كانكار المشاهدات من المس يتعلق بلا يقومون اي لا يقومون من المس الذي بهم الا كما يقوم المصروع ويجوز ان يتعلق بيقوم اي كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى انهم يقومون يوم القيمة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف و

يمحق الله الربوا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار اثيم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكوة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون

يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مومنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون

وقيل الذين يخرجون من الاجداث يوفضون الا اكلة الربوا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم اكلوا الربوا فارباه الله في بطونهم حتى اثقلهم فلا يقدرون على الايفاض ذلك العقاب بسبب قولهم انما البيع مثل الربوا هلا قيل انما الربوا مثل البيع لان الكلام في الربوا لا في البيع فوجب ان يقال انهم شبهوا الربوا بالبيع فاستحلوه وكانت شبهتهم انهم قالوا لو اشترى الرجل ما لا يساوي الا درهما بدرهمين جاز فكذلك اذا باع درهما بدرهمين جيء به على طريق المبالغة وهو انه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربوا انهم جعلوه اصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا به البيع وقوله تعالى واحل الله البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم بينهما ودلالة على ان القياس يهدمه النص لانه جعل الدليل على بطلان قياسهم احلال الله وتحريمه فمن جاءه موعظة فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربوا فانتهى فتبع النهي وامتنع فله ما سلف فلا يواخذ بما مضى منه لانه اخذ قبل نزول التحريم وامره الى الله يحكم في شانه يوم القيمة وليس من امره اليكم شيء فلا تطالبوه به ومن عاد الى استحلال الربوا فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وهذا دليل بين على تخليد الفساق وذكر فعل الموعظة لان تانيثها غير حقيقي لانها في معنى الوعظ وقرا ابي والحسن فمن جاءته يمحق الله الربا يذهب ببركته ويهلك المال الذي يدخل فيه وعن ابن مسعود الربا وان كثر الى قل ويربي الصدقات ما يتصدق به بان يضاعف عليه الثواب ويزيد المال الذي اخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفي الحديث ما نقصت زكوة من مال قط كل كفار اثيم تغليظ في امر الربوا وايذان بانه من فعل الكفار لا من فعل المسلمين اخذوا ما شرطوا على الناس من الربا وبقيت لهم بقايا فامروا ان يتركوها ولا يطالبوا بها وروي انها نزلت في ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربا وقرا الحسن ما بقا بقلب الياء الفا على لغة طي وعنه ما بقي بياء ساكنة ومنه

وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى

قول جويبر مولى الخليفة فارضوا ما رضي لكم ما في العزمة ما في حكمه جنف ان كنتم مومنين ان صح

ايمانكم يعني ان دليل صحة الايمان وثباته امتثال ما امرتم به من ذلك فاذنوا بحرب

فاعلموا بها من اذن بالشي اذا علم به وقرى فآذنوا فاعلموا بها غيركم وهو من الاذن

وهو الاستماع لانه من طرق العلم وقرا الحسن فايقنوا وهو دليل لقراة العامة

ملا قيل بحرب الله ورسوله هذا ابلغ لان المعنى فاذنوا بنوع من الحرب عظيم

من عند الله ورسوله وروي انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله

ورسوله فان تبتم من الارتباء فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون المديونين بطلب الزيادة

عليها ولا تظلمون بالنقصان منها هذا حكمهم ان تابوا فما حكمهم ان لم يتوبوا

قالوا يكون ما لهم فيئا للمسلمين وروى المفضل عن عاصم لا تظلمون ولا تظلمون

وان كان ذو عسرة وان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة اى ذو اعسار وقرا عثمان

رضي الله عنه ذا عسرة على وان كان الغريم ذا عسرة وقرى ومن كان ذا عسرة فنظرة

فالحكم او فالامر نظرة وهي الانظار وقرى فنظرة بسكون الظا وقرا عطا

فناظره والمعنى فصاحب الحق ناظره اى منتظره او صاحب نظرته على طريقة النسب

كقولهم مكان عاشب وباقل بمعنى ذو عشب وذو بقل وعنه فناظره على الامر بمعنى

فسامحه بالنظرة وباشره بها الى ميسرة الى يسار وقرى بضم السين كمقبرة ومقبرة

ومشرقة ومشرقة وقرى بهما مضافين بحذف التا عند الاضافة كقوله واخلفوك

عد الامر الذي وعدوا وقوله تعالى واقام الصلوة وان تصدقوا خير لكم ندب الى ان

يتصدقوا برؤوس اموالهم على من اعسر من غرمائهم او ببعضها كقوله وان تعفوا اقرب

للتقوى وقيل اريد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا

كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون

...ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله وليكتب وليملل الذي عليه الحق

١٦٢

كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون انه خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به

وان علم كانه لا يعلم وقرى تصدقوا بتخفيف الصاد على حذف التا ترجعون قرى على

البنا للفاعل والمفعول وقيل يرجعون بالياء على طريقة الالتفات وقرا عبد الله تردون

وقرى ابي تصيرون وعن ابن عباس انها آخر آية نزل بها جبريل وقال ضعها في راس

المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم

بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين يوما وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات

اذا تداينتم بدين اذا داين بعضكم بعضا يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين

معطيا او آخذا كما تقول بايعته اذا بعته او باعك قال روبة داينت اروى والديون

تقضى فمطلت بعضا وادت بعضا والمعنى اذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه

فان قيل اذا تداينتم الى اجل مسمى وأي حاجة الى ذكر دين كما قال داينت اروى و

لم يقل بدين ذكر ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب ان

يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولانه ابين لتنويع الدين الى مؤجل وحال

ما فايدة قوله مسمى ليعلم ان من حق الاجل ان يكون معلوما كالتوقيت

بالسنين والاشهر والايام ولو قال الى الحصاد او الدراس او رجوع الحاج لم يجز لعدم التسمية

وانما امر بكتبة الدين لان ذلك اوثق وآمن من النسيان وابعد من الجحود والامر

للندب وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربا اباح السلم عنه

اشهد ان الله اباح السلم المضمون الى اجل معلوم في كتابه وانزل فيه اطول آية بالعدل

متعلق بكاتب صفة له اي كاتب مامون على ما يكتب بالسوية والاحتياط لا يزيد

على ما يجب ان يكتب ولا ينقص وفيه ان يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط

بحق مكتوبه معتدلا بالشرع وسواء للمبتدا بنبين بتخير الكاتب وان لا يستكتبوا الافقيها
دينا ولا ياب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب وهو معنى تنكير كاتب ان يكتب
كما علمه الله مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير وقيل هو كقوله تعالى واحسن
كما احسن الله اليك اي ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها وعن الشعبي هي فرض كفاية
وكما علمه الله يجوز ان يتعلق بان يكتب وبقوله فليكتب اي فرق بين الوجهين
ان علقته بان يكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة المقيدة ثم قيل له فليكتب يعني فليكتب
تلك الكتابة لا يعدل عنها للتاكيد وان علقته بقوله فليكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة
على سبيل الاطلاق ثم امر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق ولا يكن المملي الا من وجب عليه
الحق لانه المشهود على ثباته في ذمته واقراره به والاملاء والاملال لغتان قد نطق بهما
القران فهي تملى عليه ولا يبخس منه من الحق شيئا والبخس النقص وقرئ شيئا بطرح الهمزة
وشيا بالتشديد سفيها محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف او ضعيفا صبيا او
شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لعي به او خرس
فليملل وليه الذي يلي امره من وصي ان كان سفيها او صبيا او وكيل ان كان
غير مستطيع او ترجمان يمل عنه ويصدقه وقوله ان يمل هو فيه انه غير مستطيع
بنفسه ولكن بغيره وهو الذي يترجم عنه واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان
ان يشهد لكم شهيدان على الدين من رجالكم من رجال المؤمنين والحرية والبلوغ
شرط مع الاسلام عند عامة العلماء وعن علي رضي الله عنه لا يجوز شهادة العبد
في شيء وعند شريح وابن سيرين وعثمان البتي انها جائزة ويجوز عند ابي حنيفة
شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل فان لم يكونا رجلين فان

يكن الشهيدان

رجلين فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامراتان فليشهد رجل وامراتان
وشهادة النساء مع الرجال مقبولة عند ابي حنيفة فيما عدا الحدود والقصاص ممن
ترضون ممن تعرفون عدالتهم ان تضل احداهما ان لا تهتدي احداهما للشهادة بان تنساها
من ضل الطريق اذا لم يهتد له وانتصابه على انه مفعول له اي ارادة ان تضل
كيف يكون ضلالها مراد الله لما كان الضلال سببا للاذكار والاذكار مسببا
عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الاخر لالتباسهما واتصالهما كانت
ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار ارادة للاذكار فكانه قيل ارادة ان تذكر احداهما
الاخرى ان ضلت ونظيره قولهم اعددت الخشبة ان يميل الحائط فادعمه واعددت السلاح
ان يجيء عدو فادفعه وقرئ فتذكر بالتخفيف والتشديد وهما لغتان فتذاكر وقرأ حمزة
ان تضل احداهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد كقوله ومن عاد فينتقم الله منه وقرئ
ان تضل احداهما على البناء للمفعول والتانيث ومن بدع التفاسير فتذكر فتجعل احداهما
الاخرى ذكرا يعني انهما اذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر اذا ما دعوا ليقيموا
الشهادة وقيل ليستشهدوا وقيل لهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الكائن
وعن قتادة كان الرجل يطوف في الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم احد فنزلت
كنى بالسأم عن الكسل لان الكسل صفة المنافق ومنه الحديث لا يقول المؤمن كسلت ويجوز ان يراد
من كثرت مدايناته فاحتاج ان يكتب لكل دين صغير او كبير كتابا فربما مل كثرة الكتب
الضمير في تكتبوه للدين او للحق صغيرا او كبيرا على اي حال كان الحق من صغير او كبير ويجوز ان
يكون الضمير للكتاب وان تكتبوه مختصرا او مشبعا ولا تخلوا بكتابته الى اجله الى وقته الذي اتفق
الغريمان على تسميته ذلكم اشارة الى ان تكتبوه لانه في معنى المصدر اي ذلكم الكتب اقسط اعدل من القسط

وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم لله ما في السموات وما في الارض

واقوم للشهادة واعون على اقامة الشهادة وادنى ان لا ترتابوا واقرب من انتفاء الريب ثم بنى افعلا التفضيل اعنى اقسط واقوم نحوز على مذهب سيبويه ان يكونا مبنيين من اقسط و اقام وان يكون اقسط من قاسط على طريقة النسب بمعنى ذي قسط واقوم من قويم وقرى ولا يسأموا ان يكتبوه بالياء فيهما ما معنى تجارة حاضرة وسواء كانت المبايعة بدين او بعين فالتجارة حاضرة وما معنى ادارتها بينهم اريد بالتجارة ما يتجر فيه من الابدال ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد والمعنى الا ان تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد فلا باس ان لا تكتبوه لانه لا يتوهم فيه ما يتوهم في التداين وقرئ تجارة حاضرة بالرفع على كان التامة وقيل هي ناقصة على ان الاسم تجارة حاضرة والخبر تديرونها وبالنصب على الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله بني اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا اي اذا كان اليوم يوما واشهدوا اذا تبايعتم امر بالشهادة على التبايع مطلقا ناجزا او كالئا لانه احوط وابعد مما عسى يقع من الاختلاف ويجوز ان يراد واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع يعني التجارة الحاضرة على ان الاشهاد كاف فيه دون الكتابة وعن الحسن ان شاء اشهد وان شاء لم يشهد وعن الضحاك هي عزيمة من الله ولو على باقة بقل ولا يضار يحتمل البناء للفاعل والمفعول والدليل عليه قراءة عمر رضي الله عنه ولا يضارر بالاظهار والكسر وقراءة ابن عباس ولا يضارر بالاظهار والفتح والمعنى نهي الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة الى ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة والنقصان او النهي عن الضرار بهما بان يعجلا عن مهم ويلزا او لا يعطى الكاتب حقه من الجعل او يحمل الشهيد مؤونة مجيئه من بلد وقرا الحسن ولا يضار بالكسر وان تفعلوا وان تضاروا فانه فسوق بكم وقيل وان تفعلوا شيئا مما نهيتم عنه على سفر مسافرين وقرا ابن عباس وابي كتابا وقال ابن عباس ارايت ان وجدت الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة وقرا ابو

العالية كتبا وقرا الحسن كتابا جمع كاتب فرهن فالذي يستوثق به رهن وقرئ فرهن بضم الهاء وسكونها وهو جمع رهن كسقف وسقف وقرئ فرهان ليس الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصة ولا يختص به سفر دون حضر وقد رهن رسول الله صلى الله عليه وسلم درعه في غير سفر ولكن السفر لما كان مظنة لاعواز الكتب والاشهاد امر على سبيل الارشاد الى حفظ المال من كان على سفر بان يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والاشهاد وعن مجاهد والضحاك انهما لم يجوزاه الا في حال السفر اخذا بظاهر الاية واما القبض فلا بد منه عند مالك يصح الارتهان بالايجاب والقبول بدون القبض فان امن بعضكم بعضا فان امن بعض الدائنين بحسن ظنه به وقرا أبي فان اومن اي آمنه الناس ووصفوا المديون بالامانة والوفاء والاستغناء عن الارتهان من مثله فليؤد الذي اؤتمن امانته حث للمديون على ان يكون عند ظن الدائن به وامنه منه وائتمانه له وان يؤدي اليه الحق الذي ائتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمى الدين امانة وهو مضمون لائتمانه عليه بترك الارتهان منه والقراءة ان تنطق بهمزة ساكنة بعد الذال او ياء فتقول الذي اؤتمن او الذيتمن وعن عاصم انه قرا الذتمن بادغام الياء في التاء قياسا على اتسر في الافتعال من اليسر وليس بصحيح لان الياء منقلبة عن الهمزة فهي في حكم الهمزة واتزر عامي وكذلك ريا في رؤيا آثم خبر ان وقلبه رفع بآثم على الفاعلية كانه قيل فانه يأثم قلبه ويجوز ان يرتفع قلبه بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر ان فهلا اقتصر على قوله فانه آثم وما فائدة ذكر القلب والجملة هي الآثمة لا القلب وحده كتمان الشهادة هو ان يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان اثما مقترفا بالقلب اسند اليه لان اسناد الفعل الى الجارحة التي يعمل بها ابلغ الا تراك تقول اذا اردت التوكيد هذا مما ابصرته عيني ومما

آثم قلبي ولأن القلب هو رئيس الأعضاء والمضغة التي إن صلحت صلح الجسد كله وإن فسدت فسد الجسد كله فكأنه قيل فقد تمكن الإثم في أصل نفسه وملك أشرف مكان فيه ولئلا يظن كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم أن القلب أصل متعلقه ومعدن اقترافه واللسان ترجمان عنه ولأن أفعال القلوب أعظم من سائر أفعال الجوارح وهي لها كالأصول التي تتشعب منها ألا ترى أن أصل الحسنات والسيئات الإيمان والكفر وهما من أفعال القلوب فإذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بأنه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضي الله عنه أكبر الكبائر الإشراك بالله لقوله فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرئ قلبه بالنصب كقوله سفه نفسه وقرأ ابن أبي عبلة أثم قلبه أي جعله آثما وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يعني من السوء يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء لمن استوجب المغفرة بالتوبة مما أظهر منه أو أضمر ويعذب من يشاء لمن استوجب العقوبة بالإصرار ولا يدخل فيما يخفيه الإنسان الوساوس وحديث النفس لأن ذلك مما ليس في وسعه الخلو منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه وعن عبد الله بن عمر أنه تلاها فقال لئن أخذنا الله بهذا لنهلكن ثم بكى حتى سمع نشيجه فذكر لابن عباس فقال يغفر الله لأبي عبد الرحمن قد وجد المسلمون منها مثل ما وجد فنزل لا يكلف الله نفسا وقرئ فيغفر ويعذب مجزومين عطفا على جواب الشرط ومرفوعين على فهو يعذب ويغفر   كيف يقرأ الجازم   يظهر الراء ويدغم الباء ومدغم الراء في اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشا وراويه عن أبي عمرو مخطئ مرتين لأنه يلحن وينسب إلى أعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة والسبب في قلة الضبط قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا إلا أهل النحو وقرأ الأعمش يغفر بغير فاء مجزوما على البدل من يحاسبكم كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا ومعنى هذا البدل التفصيل لجملة الحساب لأن التفصيل أوضح من المفصل فهو جار مجرى بدل البعض من الكل أو بدل الاشتمال كقولك ضربت زيدا رأسه وأحببت زيدا عقله وهذا البدل واقع في الأفعال وقوعه في الأسماء لحاجة القبيلين إلى البيان والمؤمنون إن عطف على الرسول كان الضمير الذي التنوين نائب عنه في كل راجعا إلى الرسول والمؤمنين أي كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله من المذكورين ووقف عليه وإن كان مبتدأ كان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير كل في آمن على معنى كل واحد منهم آمن وكان يجوز أن يجمع كقوله وكل أتوه داخرين وقرأ ابن عباس وكتابه يريد القرآن أو الجنس وعنه الكتاب أكثر من الكتب   كيف يكون الواحد أكثر من الجمع   لأنه إذا أريد بالواحد الجنس والجنسية قائمة في وحدان الجنس كلها لم يخرج منه شيء فأما الجمع فلا يدخل تحته إلا ما فيه الجنسية من الجموع لا نفرق يقولون لا نفرق وعن أبي عمرو لا يفرق بالياء على أن الفعل لكل وقرأ عبد الله لا يفرقون وأحد في معنى الجمع كقوله فما منكم من أحد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين سمعنا أجبنا غفرانك ربنا منصوب بإضمار فعله يقال غفرانك لا كفرانك أي نستغفرك ولا نكفرك وقرأ وكتبه ورسله بالسكون الوسع ما يسع الإنسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه أي لا يكلفها إلا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى الطاقة والمجهود وهذا إخبار عن عدله ورحمته كقوله يريد الله بكم اليسر لأنه كان في إمكان الإنسان وطاقته أن يصلي أكثر من الخمس ويصوم أكثر من الشهر ويحج أكثر من حجة وقرأ ابن أبي عبلة وسعها بالفتح لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر لا يؤاخذ غيرها بذنبها ولا يثاب غيرها بطاعتها   لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب قلت في الاكتساب اعتمال فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة إليه وأمارة به كانت في

في تحصيله أَعْمَلَ واجدٌ تحيلتْ لذلك منكتبةً فيه ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفتْ بالا
دلالة فيه على الاعمال ربنا لا تؤاخذنا بالنسيان او الخطاء ان فرّط منا النسيان
والخطاء متجاوز عنهما فما معنى الدعاء بترك المواخذة بهما ذكر النسيان والخطاء و
المراد بهما ما هما مسبّبان عنه من التفريط والاغفال الا ترى الى قوله تعالى وما انسانيه الا
الشيطان والشيطان لا يقدر على فعل النسيان وانما يوسوس فيكون وسوسته سببا
للتفريط الذي منه النسيان ولانهم كانوا متقين الله حق تقاته فما كانت تفريط منهم فرطة
الا على وجه النسيان والخطاء فكان وصفهم بالدعاء بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به
كانه قيل ان كان النسيان والخطاء مما يؤاخذ به فما فيهم سبب مواخذة الا الخطاء والنسيان
ويجوز ان يدعوا الانسان بما علم انه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله لاستدامته والاعتداد
بالنعمة فيه الاصر العبء الذي يأصر حامله اي يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله استعير للتكليف
الشاق من نحو قتل الانفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك وقرئ آصارا على
الجمع وفي قراءة ابيّ ولا تحمّل علينا بالتشديد ان قلت اي فرق بين هذه التشديدة والتي في ولا
تحملنا قلت هذه للمبالغة في حمل عليه وتلك لنقل حمله من مفعول واحد الى مفعولين ولا تحملنا ما لا
طاقة لنا به من العقوبات النازلة بمن قبلنا طلبوا الاعفاء من التكليفات الشاقة التي كلّفها
من قبلهم ثم الاعفاء عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها وقيل المراد به الشاق
الذي لا يكاد يستطاع من التكاليف وهذا تكرير لقوله ولا تحمل علينا اصرا مولانا سيدنا
ونحن عبيدك او ناصرنا ومتولي امورنا فانصرنا فمن حق المولى ان ينصر عبيده
او فان ذلك عادتك او فان ذلك من امورنا التي عليك توليها وعن ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت

وعنه عليه السلام من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وعنه عليه
السلام اوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبي قبلي
وعنه عليه السلام انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق
الخلق بالفي سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل
هل يجوز ان يقال قرأت سورة البقرة او قرأت البقرة لا بأس
في ذلك وقد جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم من آخر سورة البقرة وعن علي رضي
الله عنه خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وعن عبد الله بن مسعود انه رمى الجمرة
ثم قال من ههنا والذي لا اله غيره رمى الذي انزلت عليه سورة البقرة ولا فرق
بين هذا وبين قولك سورة الزخرف وسورة الممتحنة والمجادلة واذا قيل قرأت البقرة
لم يشكل ان المراد سورة البقرة كقوله واسئل القرية وعن بعضهم انه كره ذلك وقال
يقال قرأت السورة التي يذكر فيها البقرة تعلّموا القرآن فتعلّموها فان تعلمها بركة
وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الم حقها ان يوقف عليها كما وقف على الف ولام وان يبدأ ما بعدها
كما تقول واحد اثنان وهي قراءة عاصم واما فتحها فهي حركة الهمزة القيت
عليها حين اسقطت للتخفيف كيف جاز القاء حركتها لان ثبات حركتها
كثباتها هذا ليس بدرج لان ميم في حكم الوقف والسكون والهمزة في حكم
الثابت وانما حذفت تخفيفا والقيت حركتها على الساكن قبلها لتدل عليها ونظيره

الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب
بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التورية والانجيل
من قبل هدى للناس وانزل الفرقان

ان الذين كفروا بايات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء
لا اله الا هو العزيز الحكيم هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب

قولهم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة على الدال هلا زعمت انها حركة
الهمزة على الدال لالتقاء الساكنين لا يبالى به في باب الوقف يوجب التحريك
لحرك الميمان في الف لام ميم لالتقاء الساكنين ولما انتظر ساكن آخر انما
لم يحركوا لالتقاء الساكنين في ميم لانهم ارادوا الوقف وامكنهم النطق بساكنين
واذا جاء ساكن ثالث لم يمكن الا التحريك فحركوا الدليل على ان الحركة ليست
لالتقاء الساكن انه كان يمكنهم ان يقولوا واحد اثنان بسكون الدال مع طرح
الهمزة فيجمعوا بين ساكنين كما قالوا اصيم ومديق فلما حركوا الدال علم ان
حركتها هي حركة الهمزة الساقط لا غير وليست لالتقاء الساكنين فاوص
قراءة عمرو ابن عبيد بالكسر منه القراءة على توهم التحريك لالتقاء الساكنين
وما هي بمقبولة والتورية والانجيل اسمان اعجميان وتكلف اشتقاقهما من
الوري والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل انما يصح بعد كونهما عربيين وقرا
الحسن الانجيل بفتح الهمزة وهو دليل على العجمة لان افعيل بفتح الهمزة عديم
في اوزان العرب لم قيل نزل الكتاب وانزل التورية والانجيل
لان القرآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة وقرا الاعمش نزل عليك الكتاب
بالتخفيف ورفع الكتاب هدى للناس اي لقوم عيسى وموسى ومن قال
نحن المتعبدون بشرائع من قبلنا فسره على العموم ما المراد بالفرقان
جنس الكتب السماوية لان كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل او الكتب
التي ذكرها كانه قال بعد ذكر الكتب الثلثة وانزل ما يفرق به بين الحق والباطل
من كتبه او من هذه الكتب او اراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما قال وآتينا

فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء
الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله
والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند
ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب

داود زبورا وهو ظاهر او كرر ذكر القرآن بما هو نعت له ومدح من كونه فارقا
بين الحق والباطل بعد ما ذكره باسم الجنس تعظيما لشانه واظهارا لفضله بايات الله
من كتبه المنزلة وغيرها ذو انتقام له انتقام شديد لا يقدر على مثله منتقم لا يخفى
عليه شيء في العالم فعبر عنه بالسماء والارض فهو مطلع على كفر من كفر وايمان
من آمن وهو مجازيهم عليه كيف يشاء من الصور المختلفة المتفاوتة وقرا طاوس
تصوركم اي صوركم لنفسه ولتعبده لقولك اثلت مالا اذا جعلته اثلة اي
اصلا وتاثلته اذا اثلته لنفسك وعن سعيد بن جبير هذا حجاج على من زعم
ان عيسى كان ربا كانه نبه بكونه مصورا في الرحم على انه عبد كغيره وكان
يخفى عليه ما لا يخفى على الله محكمات احكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال
والاشتباه متشابهات مشتبهات محتملات من ام الكتاب اي اصل الكتاب
تحمل المتشابهات عليها وترد اليها ومثال ذلك لا تدركه الابصار الى ربها
ناظرة لا يامر بالفحشاء امرنا مترفيها فهلا كان القرآن كله محكما
لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة ماخذه ولاعرضوا عما يحتاجون
فيه الى الفحص والتامل من النظر والاستدلال ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق
الذي لا يتوصل الى معرفة الله وتوحيده الا به ولما في المتشابه من الابتلاء
والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل ولما في تقادح العلماء واتعابهم
القرائح في استخراج معانيه ورده الى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم
الجمة ونيل الدرجات عند الله ولان المؤمن المعتقد ان لا مناقضة
في كلام الله ولا اختلاف اذا راى فيه ما يتناقض في ظاهره واهمه طلب

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب

ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك هم وقود النار كداب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا باياتنا

ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحد ففكر وراجع نفسه وغيره فتح الله عليه وتبين مطابقة المتشابه المحكم ازداد طمانينة الى معتقده وقوة في ايقانه والذين في قلوبهم زيغ هم اهل البدع فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب اليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول اهل الحق ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم وابتغاء تاويله وطلب ان ياولوه التاويل الذي يشتهونه وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم اي لا يهتدي الى تاويله الحق الذي يجب ان يحمل عليه الا الله وعباده الذين رسخوا في العلم اي ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع ومنهم من يقف على قوله الا الله ويبتدي والراسخون في العلم يقولون ويفسرون المتشابه بما استاثر الله بعلمه وبمعرفة الحكمة فيه من آياته كعدد الزبانية ونحوه والاول هو الوجه ويقولون كلام مستانف موضح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون بالتاويل يقولون كلام مستانف امنا به اي بالمتشابه كل من عند ربنا اي كل واحد منه ومن المحكم من عنده او بالكتاب كل متشابهه ومحكمه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه وما يذكر الا اولوا الالباب مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن التامل ويجوز ان يكون يقولون حالا من الراسخين وقرا عبد الله ان تاويله الا عند الله وقرا ابي ويقول الراسخون لا تزغ قلوبنا لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا وارشدتنا لدينك او لا تمنعنا الطافك بعد اذ لطفت بنا من لدنك رحمة من عندك نعمة بالتوفيق والمعونة وقرى لا يزغ

قلوبنا بالتاء والياء ورفع قلوب جامع الناس ليوم اي يجمعهم لحساب يوم او لجزاء يوم كقوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقرى جامع الناس على الاصل ان الله لا يخلف الميعاد ان الالهية تنافي خلف الميعاد كقولك ان الجواد لا يخيب سائله والميعاد الموعد قرا علي رضي الله عنه لن يغني بسكون الياء وهذا من الجد في استثقال الحركة على حروف اللين من في قوله من الله مثله في قوله ان الظن لا يغني من الحق شيئا والمعنى لن يغني عنهم من رحمة الله او من طاعة الله شيئا اي بدل رحمته وطاعته وبدل الحق ومنه ولا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفعه جده وحظه من الدنيا بدلك اي بدل طاعتك وعبادتك وما عندك وفي معناه قوله تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وقرى وقود بالضم بمعنى اهل وقودها والمراد بالذين كفروا من كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس هم قريظة والنضير الداب مصدر داب في العمل اذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الانسان من شانه وحاله والكاف مرفوع المحل تقديره داب هؤلاء الكفرة كداب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم ويجوز ان ينتصب محل الكاف بلن تغني او بالوقود اي لن تغني عنهم مثل ما لم تغن عن اولئك او بالوقود توقد بهم النار كما توقد بهم فيها خالدون كما تخلدون تقول انك لتظلم الناس كداب ابيك تريد كما ظلم ابوك كذبوا باياتنا تفسير لدابهم مما فعلوا وفعل بهم على انه جواب سوال مقدر عن حالهم قل للذين كفروا هم مشركوا مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل هم اليهود لما غلب رسول الله صلى الله

فاخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله

وسلم يوم بدر قالوا هذا والله النبي الامي الذي بشرنا به موسى وهموا اتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى تنظروا الى وقعة اخرى فلما كان يوم احد شكوا وقيل جمعهم رسول الله بعد وقعة بدر في سوق بني قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا مثل ما نزل من قريش واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل فقالوا لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحروب فاصبت منهم فرصة ولئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقرئ سيغلبون ويحشرون بالياء كقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم على قل لهم قولي لك سيغلبون اي فرق بين القراءتين من حيث المعنى معنى القراءة بالتاء الامر بان يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر الى جهنم فهو اخبار بمعنى سيغلبون ويحشرون وهو الكائن من نفس المتوعد به والذي يدل عليه اللفظ ومعنى القراءة بالياء الامر بان يحكي لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه كانه قال اد اليهم هذا القول الذي هو قولي لك سيغلبون ويحشرون قد كان لكم آية الخطاب لمشركي قريش في فئتين التقتا يوم بدر يرونهم مثليهم يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين قريبا من الفين او مثلي عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين اراهم الله اياهم مع قلتهم اضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم وكان ذلك مددا لهم من الله كما امدهم بالملائكة والدليل عليه قراءة نافع ترونهم بالتاء اي ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي فئتكم الكافرة او مثلي انفسهم فهذا مناقض لقوله تعالى في سورة الانفال ويقللكم في اعينهم قللوا اولا في اعينهم حتى اجترءوا عليهم

فلما توهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير في حالين مختلفين ونظيره من المحمول على اختلاف الاحوال قوله تعالى فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان وقفوهم انهم مسئولون وتقليلهم تارة وتكثيرهم اخرى في اعينهم ابلغ في القدرة واظهار الآية وقيل يرى المسلمون المشركين مثلي المسلمين على ما قرر عليه امرهم من مقاومة الواحد الاثنين في قوله ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين بعد ما كلفوا ان يقاوم الواحد العشرة في قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ولذلك وصف ضعفهم بالقلة لانه قليل بالاضافة الى عشرة الاضعاف وكان الكافرون ثلاثة امثالهم وقراءة نافع لا تساعد عليه وقرا ابن مصرف يرونهم على البناء للمفعول بالياء والتاء اي يريهم الله تعالى ذلك بقدرته وقرئ فئة تقاتل وكافرة بالجر على البدل من فئتين وبالنصب على الاختصاص وعلى الحال من الضمير في التقتا رأي العين يعني رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات والله يؤيد بنصره كما ايد اهل بدر بتكثيرهم في عين العدو زين للناس المزين هو الله سبحانه وتعالى للابتلاء كقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ويدل عليها قراءة مجاهد زين للناس على تسمية الفاعل وعن الحسن الشيطان والله زينها لهم لانا لا نعلم احدا اذم لها من خالقها حب الشهوات جعل الاعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصا على الاستمتاع بها والوجه ان يقصد تخسيسها فيسميها شهوات لان الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية وقال زين للناس حب الشهوات ثم جاء بالتفسير ليقرر اولا في النفوس ان المزين لهم حبه ما هو الا شهوات لا غير ثم يفسره بهذه الاجناس فيكون اقوى لتخسيسها وادل على ذم

ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار

من مستغطها وتهالك عليها ويرجح طلبها على طلب ما عند الله والقنطار المال الكثير قيل ملء مسك ثور وعن سعيد بن جبير مائة الف دينار ولقد جاء الاسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا والمقنطرة مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم الف مؤلفة وبدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة او المطهمة او المرعية من اسام الدابة وسومها والانعام الازواج الثمانية ذلك المذكور متاع الحيوة ... كما تقول هل اذلكم على رجل عالم عندي رجل من صفته كيت وكيت ويجوز ان يتعلق اللام بخير واختص المتقين لانهم هم المنتفعون به ويرتفع جنات على هو جنات وتنصره قراءة من قرأ جنات بالجر على البدل من خير والله بصير بالعباد يثيب ويعاقب على الاستحقاق او بصير بالذين اتقوا وباحوالهم فلذلك اعد لهم الجنات الذين يقولون نصب على المدح او رفع ويجوز الجر صفة للمتقين او للعباد والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها وقد مر الكلام في ذلك وخص الاسحار لانهم كانوا يقدمون قيام الليل فيحسن طلب الحاجة بعده اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وعن الحسن كانوا يصلون في اول الليل حتى اذا كان السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار هذا نهارهم وهذا ليلهم شبهت دلالته على وحدانيته بافعاله الخاصة التي لا يقدر عليها غيره وبما اوحى من آياته الناطقة بالتوحيد كسورة الاخلاص وآية الكرسي وغيرهما بشهادة الشاهد في البيان والكشف وكذلك اقرار الملائكة واولي العلم بذلك واحتجاجهم عليه قائما بالقسط مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والآجال ويثيب ويعاقب وما يامر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم وانتصابه على انه حال مؤكدة منه كقوله وهو الحق مصدقا لم جاز افراده بنصب الحال دون المعطوفين عليه ولو قلت جاءني زيد وعمرو راكبا لم يجز

قلت

شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام

انما جاز هذا لعدم الالباس كما جاز في قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة ان انتصب نافلة حالا عن يعقوب ولو قلت جاءني زيد وهند راكبا جاز لتميزه بالذكورة او على المدح أليس من حق المنتصب على المدح ان يكون معرفة كقولك الحمد لله الحميد انا معشر الانبياء لا نورث

انا بني نهشل لا ندعي لاب

قد جاء نكرة كما جاء معرفة وانشد سيبويه مما جاء منه نكرة قول الهذلي

ويأوي الى نسوة عطل وشعثا مراضيع مثل السعالي

هل يجوز ان يكون صفة للمنفي كانه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو لا يبعد فقد راينا من يتسمح الفصل بين الصفة والموصوف قد جعلته حالا من فاعل شهد فهل يصح ان ينتصب حالا عن هو في الا هو نعم لانها حال مؤكدة والحال المؤكدة لا يستدعي ان يكون في الجملة التي هي زيادة في فائدتها عامل فيها كقولك انا عبد الله شجاعا وكذلك لو قلت لا رجل الا عبد الله شجاعا هو اوجه من انتصابه عن فاعل شهد وكذلك انتصابه على المدح هل دخل قيامه بالقسط في حكم شهادة الله والملائكة واولي العلم كما دخلت الوحدانية نعم اذا جعلته حالا من هو او نصبا على المدح منه او صفة للمنفي كانه قيل شهد الله والملائكة واولوا العلم انه لا اله الا هو وانه قائم بالقسط وقرأ عبد الله القائم بالقسط على انه بدل من هو او خبر مبتدأ محذوف وقرأ ابو حنيفة رضي الله عنه قيما بالقسط العزيز الحكيم صفتان مقررتان لما وصف به ذاته من الوحدانية والعدل يعني انه العزيز الذي لا يغالبه اله آخر الحكيم الذي لا يعدل عن العدل في افعاله ما المراد باولي العلم الذين عظمهم هذا التعظيم حيث جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله قلت هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد وقرئ انه بالفتح وان الدين بالكسر على ان الفعل واقع على انه بمعنى شهد الله على انه او بانه وقوله ان الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة مؤكدة للجملة الاولى ما فائدة هذا التوكيد

وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب

نايجا ان قوله لا اله الا هو توحيد وقوله قايما بالقسط تعديل فاذا اردفه
قوله ان الدين عند الله الاسلام فقد اذن ان الاسلام هو العدل والتوحيد
وهو الدين عند الله وما عداه فليس عنده من الدين وفيه ان من ذهب الي
تشبيه او ما يودي اليه كاجازة الروية او ذهب الي الجبر الذي هو محض الجور
لم يكن علي دين الله ~~الي تشبيه او ما يودي اليه كاجازة الي~~ الذي هو الاسلام وهذا
بين جلي به كما تري وقريا مفتوحين علي ان الثاني بدل من الاول كانه قيل
شهد الله ان الدين عند الله الاسلام والبدل هو المبدل منه في المعني فكان
بيانا صريحا لان دين الاسلام هو العدل والتوحيد وقرا الاول بالكسر و
الثاني بالفتح علي ان الفعل واقع علي ان وما بينهما اعتراض موكد وهذا شاهد
علي ان دين الاسلام هو العدل والتوحيد فتري القراآت كلها متعاضدة علي ذلك
وقرا عبد الله ان لا اله الا هو وقرا ابي ان الدين عند الله للاسلام وهي مقوية
لقراة من فتح الاول وكسر الثانية وقري شهداء لله بالنصب علي انه حال من المذكورين
قبله وبالرفع علي هم شهداء لله فعلام عطف علي هذه القراة والملايكة واولو
العلم علي الضمير في شهداء وجاز لوقوع الفاصل بينهما لم كرر قوله
لا اله الا هو ذكره اولا للدلالة علي اختصاصه بالوحدانية وانه لا اله
الا هو تلك الذات المتميزة ثم ذكره ثانيا بعد ما قرن باثبات الوحدانية اثبات العدل
للدلالة علي اختصاصه بالامرين كانه قال لا اله الا هذا الموصوف بالصفتين ولذلك
قرن به قوله العزيز الحكيم لتضمنهما معني الوحدانية والعدل الذين اوتوا الكتاب اهل
الكتاب من اليهود والنصاري واختلافهم انهم تركوا الاسلام وهو التوحيد والعدل من

فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين ءاسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا

من بعد ما جاءهم العلم انه الحق الذي لا محيد عنه فثلثت النصارى وقالت اليهود
عزير ابن الله وقالوا كنا احق بان تكون النبوة فينا من قريش هولاء عدهب وهولاء
بذهب الحسد بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فرق
ناسا يطون اعقابهم لا شبهة في الاسلام وقيل هو اختلافهم في نبوة محمد عليه السلام
حيث آمن به بعض وكفر بعض وقيل هو اختلافهم ان موسي عليه السلام حين
احتضر استودع التوراة سبعين حبرا من بني اسرايل وجعلهم امناء عليها واستخلف
يوشع فلما مضي قرن بعد قرن اختلف ابناء السبعين بعد ما جاءهم علم التوراة بغيا بينهم
وتحاسدا علي حظوظ الدنيا والرياسة وقيل هم النصاري واختلافهم في امر عيسي بعد
ما جاءهم العلم انه عبد الله ورسوله فان حاجوك فان جادلوك في الدين فقل اسلمت
وجهي لله اي اخلصت نفسي وجملتي لله وحده لم اجعل فيها لغيره شركا بان اعبده
وادعوه الها معه يعني ان ديني دين التوحيد وهو الدين القيم الذي ثبتت عندكم
صحته كما ثبتت عندي وما جيت بشي بديع حتي تجادلوني فيه ونحوه قل يا اهل الكتاب
تعالوا الي كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيا فهو دفع للمحاجة
بان ما هو عليه ومن معه من المومنين هو الحق اليقين الذي لا لبس فيه فما معنى المحاجة
فيه ومن اتبعن عطف علي التاء في اسلمت وحسن للفاصل ويجوز ان تكون الواو بمعني مع فيكون
مفعولا معه وقل للذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصاري والاميين والذين لا كتاب
لهم من مشركي العرب ءاسلمتم يعني انه قد اتاكم من البينات ما يوجب الاسلام ويقتضي حصوله
لا محالة فهل اسلمتم ام انتم بعد علي كفركم وهذا كقولك لمن لخصت له المسالة ولم تبق
من طرق الكشف والبيان طريقا الا سلكته فهل فهمتها لا ام لك ومنه قوله عز وجل فهل انتم

وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس

منتهون بعد ما ذكر الصوارف عن الخمر والميسر وفي هذا الاستفهام استقصار وتعيير بالمعاند وقلة الانصاف لان المنصف اذا تجلت له الحجة لم يتوقف اذعانه للحق وللمعاند بعد تجلي الحجة ما يضرب اسداداً بينه وبين الاذعان وكذلك في اهل فهمتها توبيخ بالبلادة وكلة القريحة وفي هل انتم منتهون بعد ما ذكر الصوارف عن الخمر والميسر وفي هذا الاستفهام استقصار وتعيير بالمعاند وقلة الانصاف لان المنصف اذا تجلت له الحجة لم يتوقف اذعانه للحق والمعاند بعد تجلي الحجة ما يضرب اسداداً بينه وبين الاذعان وكذلك في هل فهمتها توبيخ بالبلادة بالقاعد عن الانتهاء والحرص الشديد على تعاطي المنهي عنه فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم حيث خرجوا من الضلال الى الهدى ومن الظلمة الى النور وان تولوا لم يضروك فانك رسول منبه ما عليك الا ان تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى قرا الحسن يقتلون النبيين وقرا حمزة ويقاتلون الذين يامرون وقرا عبد الله وقاتلوا وقرا ابي يقتلون النبيين والذين يامرون وهم اهل الكتاب قتل اولوهم الانبياء وقتلوا اتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا حول قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين لولا عصمة الله وعن ابي عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذاباً يوم القيمة قال رجل قتل نبياً او رجلاً امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قراها ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبياً من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلاً من عباد بني اسرائيل فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعاً من آخر النهار في الدنيا والآخرة لان لهم اللعن والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة لم دخلت الفاء في خبر ان لتضمن اسمها معنى الجزاء كانه قيل الذين يكفرون فبشرهم بمعنى من يكفر فبشرهم وان لا تغير معنى الابتداء فكان دخولها كلا دخول ولو كان

فبشرهم بعذاب اليم اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله

وهم لا يعلمون

١٧٢

مكانها ليت ولعل لامتنع ادخال الفاء لتغير معنى الابتداء اوتوا نصيباً من الكتاب يريد احبار اليهود وانهم حصلوا نصيباً وافراً من التورية ومن اما للتبعيض واما للبيان او حصلوا من جنس الكتب المنزلة او من اللوح التورية وهي نصيب عظيم يدعون الى كتاب الله وهو التورية ليحكم بينهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مدراسهم فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت قال على ملة ابرهيم قالا ان ابرهيم كان يهوديا قال لهما ان بيننا وبينكم التورية فهلموا اليها فابيا وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه وعن الحسن وقتادة كتاب الله القرآن لانهم قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم بان الرجوع الى كتاب الله واجب وهم معرضون وهم قوم لا يزال الاعراض ديدنهم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول والوجه ان يراد ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من اسلم من احبارهم وبين من لم يسلم وانهم دعوا الى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم في صحته وهو التورية ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الذين لم يسلموا وذلك ان قوله ليحكم بينهم يقتضي ان يكون اختلافاً واقعاً فيما بينهم لا فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك التولي والاعراض بسبب تسهيلهم على انفسهم امر العقاب وطمعهم في الخروج من النار بعد ايام قلائل كما طمعت المجبرة والحشوية وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم كما غرت اولئك شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كبائرهم فكيف اذا جمعناهم فكيف يصنعون فكيف يكون حالهم وهو استعظام لما اعد لهم وتهويل لهم وانهم يقعون فيما لا حيلة في دفعه والتخلص منه وان ما حدثوا به انفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل وتطمع بما لا يكون وروي ان اول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم

بيدك الخير انك على كل شيء قدير

الي النار وهم لا يظلمون يرجع الي كل نفس علي المعني لانه في معني كل الناس كما تقول ثلثة انفس تريد ثلثة اناسي الميم في اللهم بدل من يا ولذلك لا يجتمعان وهذا بعض خصايص هذا الاسم كما اختص بالتاء في القسم وبدخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف وبقطع همزته في يا الله وبغير ذلك مالك الملك اي تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون تؤتي الملك من تشاء تعطي من تشاء النصيب الذي قسمت له واقتضته حكمتك من الملك وتنزع الملك ممن تشاء النصيب الذي اعطيته منه فالملك الاول عام شامل والملكان الاخران خاصان بعضان من الكل روي ان رسول الله صلي الله عليه وسلم حين افتتح مكة وعد امته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم هم اعز وامنع من ذلك وروي ان رسول الله صلي الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الي رسول الله صلي الله عليه وسلم يخبره فاخذ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكان مصباحا في جوف بيت مظلم وكبر وكبر المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي منها قصور صنعاء واخبرني جبرئيل ان امتي ظاهرة علي كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومداين كسري وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت كيف قال بيدك الخير فذكر الخير دون الشر لان الكلام انما وقع في الخير الذي يسوقه الي المومنين وهو الذي

انكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه اولياءك علي رغم من اعدايك او لان كل افعال الله من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة فهو خير كله كايتاء الملك ونزعه ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما وحال الحي والميت في اخراج احدهما من الاخر وعطف عليه رزقه بغير حساب دلالة علي ان من قدر علي تلك الافعال العظيمة المحيرة للافهام ثم قدر ان يرزق بغير حساب من يشاء من عباده فهو قادر علي ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم وفي بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم وهو معني قوله عليه السلام كما تكونون يولي عليكم نهوا ان يوالوا الكافرين لقرابة بينهم او صداقة قبل الاسلام او غير ذلك من الاسباب التي يتصادق بها ويتعاشر وقد كرر ذلك في القرآن ومن يتولهم منكم فانه منهم لا تتخذوا اليهود والنصاري اولياء لا تجد قوما يومنون بالله الاية والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم واصل من اصول الايمان من دون المومنين يعني ان لكم في موالاة المومنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا توثروهم عليهم ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ومن يوال الكفرة فليس من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية يعني انه منسلخ من ولاية الله راسا وهذا امر معقول فان موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيتان قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاؤه وقري تقية قيل للمتقي تقاة وتقية كقولهم ضرب الامير لمضروبه رخص لهم في موالاتهم اذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالقة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمين بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع

محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله

من تنثر العصا كقول عيسى عليه وعلى نبينا السلام كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه
فلا يتعرضوا لسخطه بموالاة اعدايه وهذا وعيد شديد ويجوز ان يضمن تتقوا معنى
تحذروا وتخافوا ويعدى بمن وينتصب تقاة او تقية على المصدر كقوله اتقوا الله حق
تقاته قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه من ولاية الكفار او غيرها مما لا يرضى الله
يعلمه ولم يخف عليه وهو الذي يعلم ما في السموات وما في الارض لا يخفى عليه منه شي قط
فلا يخفى عليه سركم وعلنكم والله على كل شي قدير فهو قادر على عقوبتكم وهذا بيان لقوله
ويحذركم الله نفسه لان نفسه وهي ذاته المتميزة من ساير الذوات متصفة بعلم ذاتي
لا يختص بمعلوم دون معلوم فهي متعلقة بالمعلومات كلها وبقدرة ذاتية لا يختص بمقدور دون
مقدور فهي قادرة على المقدورات كلها فكان حقها ان تحذر وتتقى فلا
يجسر احد على قبيح ولا يقصر عن واجب فان ذلك مطلع عليه لا محالة فلاحق به العقاب
ولو علم بعض عبيد السلطان انه اراد الاطلاع على احواله فوكل همته بما يورد ويصدر
ونصب عليه عيونا وبث من يتجسس عن بواطن اموره لاخذ حذره وتيقظ في امره واتقى
كل ما يتوقع فيه الاسترابة فما بال من علم ان العالم الذات الذي يعلم السر واخفى مهيمن
عليه وهو آمن اللهم انا نعوذ بك من اغترارنا بسترك يوم تجد منصوب بتود والضمير
في بينه لليوم اي يوم القيمة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى لو ان بينها
وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا ويجوز ان ينتصب يوم تجد بمضمر نحو اذكر ويقع
على ما عملت وحده ويرتفع وما عملت على الابتدا وتود خبره اي والذي عملته من سوء
تود هي لو تباعد ما بينها وبينه ولا يصح ان يكون ما شرطية لارتفاع تود ... ان
يكون شرطية على قراءة عبدالله ودت ... لا كلام في صحته ولكن الحمل على الابتداء والخبر

او وقع في المعنى لانه حكاية الكاين في ذلك اليوم واثبت لموافقة قراءة العامة ويجوز ان يعطف
وما عملت على ما عملت ويكون تود حالا اي يوم تجد عملها محضرا وادة تباعد ما بينها وبين
اليوم او عمل السوء محضرا كقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا يعني مكتوبا في صحفهم يقرؤونه ونحوه
قوله فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والامد المسافة كقوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين
وكرر قوله ويحذركم الله نفسه ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه والله رؤوف بالعباد يعني ان
تحذيره نفسه وتعريفه حالها من العلم والقدرة من الرافة العظيمة بالعباد لانهم اذا عرفوه
حق المعرفة وحذروه دعاهم ذلك الى طلب رضاه واجتناب سخطه وعن الحسن من رافته
بهم ان حذرهم نفسه ويجوز ان يريد انه مع كونه محذورا لعلمه وقدرته مرجو لسعة رحمته كقوله
ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم محبة العباد لله مجاز عن ارادة نفوسهم اختصاصه
بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها ومحبة الله عباده ان يرضى عنهم ويحمد فعلهم والمعنى ان كنتم
مريدين لعبادة الله على الحقيقة فاتبعوني حتى يصح ما تدعونه من ارادة عبادته يرض عنكم ويغفر لكم
وعن الحسن زعم اقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فاراد ان يجعل لقولهم
تصديقا من العمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه واذا
رايت من يذكر محبة الله ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر ويصعق فلا تشك في انه لا يعرف
ما الله ولا يدري ما محبة الله وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته الا انه تصور في نفسه الخبيثة صورة
مستملحة معشقة فسماها الله بجهله ودعارته ثم صفق وطرب ونعر وصعق على تصورها وربما
رايت المني قد ملا ازار ذلك المحب عند صعقته وحمقى العامة حواليه قد ملاوا اردانهم بالدموع
لما رققهم من حاله وترى يحبون ويحبكم ومحكم من حب يحب كذا احب ابانه وان من خبث تمره واعلم
ان الرفق بالجار ارفق وو الله لولا تمره ما حبيته ولا كان ادنى من عبيد ومشرق فان تولوا

ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين

فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى واني سميتها مريم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم

فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب

يحتمل ان يكون ماضيا وان يكون مضارعا بمعنى فان تتولوا ويدخل في جمله ما تقول الرسول لم آل
ابرهيم اسمعيل واسحق واولادهما وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر وقيل عيسى
ومريم بنت عمران بن ماثان وبين العمرانين الف وثمان مائة سنة وذرية بدل من آل ابرهيم
وآل عمران بعضها من بعض يعني ان الاولين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى
وهرون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوي ولاوي من يعقوب
ويعقوب من اسحق وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان بن سليمان بن داود بن ايشا بن
يهوذا بن يعقوب بن اسحق وقد دخل في آل ابرهيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل بعضها
من بعض في الدين كقوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض والله سميع عليم يعلم من يصلح للاصطفا
او يعلم ان بعضهم من بعض في الدين او سميع عليم لقول امراة عمران ونيتها واذ منصوب به وقيل
باضمار اذكر وامراة عمران هي امراة عمران بن ماثان ام مريم البتول جدة عيسى عليه السلام
وهي حنة بنت فاقوذ وقوله اذ قالت امراة عمران على اثر قوله وآل عمران مما يرجح ان عمران
هو عمران بن ماثان جد عيسى والقول الاخر يرجحه ان موسى يقرن بابرهيم كثيرا في الذكر
كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون ولعمران بن ماثان
مريم البتول فما ادراك ان عمران هذا هو ابو مريم البتول دون عمران ابي مريم التي هي اخت
موسى وهرون كفى بكفالة زكريا دليلا على انه عمران ابو البتول لان زكريا بن اذن و
عمران بن ماثان كانا في عصر واحد وقد تزوج زكريا بنته ايشاع اخت مريم وكان يحيى وعيسى
ابني خالة روي انها كانت عاقرا لم تلد الى ان عجزت فبينما هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم
فرخا له فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا شكرا ان رزقتني ولدا
ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك عمران وهي حامل

محررا معتقا لخدمة بيت المقدس لا يد لي عليه ولا استخدمه ولا اشغله بشيء وكان هذا
النوع من النذر مشروعا عندهم وروي انهم كانوا ينذرون هذا النذر فاذا بلغ الغلام خير
بين ان يفعل وان لا يفعل وعن الشعبي محررا مخلصا للعبادة وما كان التحرير الا للغلمان وانما
بنت الامر على التقدير او طلبت ان ترزق ذكرا فلما وضعتها الضمير لما في بطني وانما انث
على المعنى لان ما في بطنها كان انثى في علم الله تعالى او على تاويل الحبلة او النفس والنسمة
كيف جاز انتصاب انثى حالا من الضمير في وضعتها وهو كقولك وضعت الانثى
انثى الاصل وضعته انثى وانما انث لتانيث الحال لان الحال وذا الحال لشيء واحد كما
انث الاسم في ما كانت امك لتانيث الخبر ونظيره قوله تعالى فان كانتا اثنتين واما على
الحبلة او النسمة فهو ظاهر كانه قيل اني وضعت الحبلة او النسمة انثى لم قالت
اني وضعتها انثى وما ارادت الى هذا القول قالته تحسرا على ما رات من خيبة
رجائها وعكس تقديرها فتحزنت الى ربها لانها كانت ترجو وتقدر ان تلد ذكرا ولذلك
نذرته محررا للسدانة ولتكلمها بذلك على وجه التحزن والتحسر قال الله تعالى والله اعلم
بما وضعت تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بقدر ما وهب لها منه ومعناه والله اعلم بالشيء
الذي وضعت وما علق به من عظائم الامور وان يجعله وولده آية للعالمين وهي
جاهلة بذلك لا تعلم منه شيئا فلذلك تحسرت وفي قراءة ابن عباس والله اعلم بما وضعت
على خطاب الله لها اي انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما علم الله من عظم شانه
وعلو قدره وقرئ وضعت بمعنى ولعل لله فيه سرا وحكمة ولعل هذه الانثى خير
من الذكر تسلية لنفسها فما معنى قوله وليس الذكر كالانثى هو بيان
لما في قوله والله اعلم بما وضعت من التعظيم للموضوع والرفع منه وليس الذكر

الذي طلبت كالانثى التي وهبت لها واللام فيهما للعهد علام عطف
قوله واني سميتها مريم هو عطف على اني وضعتها انثى وما بينهما جملتان معترضتان
كقوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم فلم ذكرت تسميتها مريم لربها
لان مريم في لغتهم بمعنى العابدة فارادت بذلك التقرب والطلب اليه ان يعصمها
حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها وان يصدق فيها ظنها بها الا ترى كيف اتبعته
طلب الاعاذة لها ولولدها من الشيطان واغوائه وما يروى من الحديث ما من
مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه
الا مريم وابنها فالله اعلم بصحته فان صح فمعناه ان كل مولود يطمع الشيطان
في اغوائه الا مريم وابنها فانهما كانا معصومين وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله
لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين واستهلاله صارخا من مسه تخييل وتصوير
لطمعه فيه كانه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن اغويه ونحوه من التخييل
قول ابن الرومي لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد
واما حقيقة المس والنخس كما يتوهم اهل الحشو فكلا ولو سلط ابليس على الناس
ينخسهم لامتلات الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من نخسه فتقبلها ربها فرضي بها في
النذر مكان الذكر بقبول حسن فيه وجهان احدهما ان يكون القبول اسم ما يقبل
به الشيء كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو اختصاصه لها با
قامتها مقام الذكر في النذر ولم تقبل قبلها انثى في ذلك او بان تسلمها من امها
عقيب الولادة قبل ان تنشا وتصلح للسدانة روي ان حنة حين ولدت
مريم لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد فوضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم

في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها
لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤوس بني اسرائيل
واحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا انا احق بها عندي خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها
فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء
ورسبت اقلامهم والثاني ان يكون مصدرا على تقدير حذف المضاف بمعنى فتقبلها
بذي قبول حسن وهو الاختصاص ويجوز ان يكون فتقبلها فاستقبلها كقولك تعجل واستعجل وتقصاه
بمعنى استقصاه وهو كثير في كلامهم من استقبل الامر اذا اخذه باوله وعنفوانه قال القطامي
خير الامور ما استقبلت منه وليس بان تتبعه اتباعا ومنه المثل خذ الامر بقوابله اي فاخذها
في اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها
في جميع احوالها وقرئ وكفلها زكريا بوزن عملها وكفلها زكريا بتشديد الفاء ونصب زكريا والفعل
لله تعالى بمعنى وضمها اليه وجعله كافلا لها وضامنا لمصالحها ويؤيدها قراءة ابي واكفلها من قوله تعالى
اكفلنيها وقرا مجاهد فتقبلها ربها وانبتها وكفلها على لفظ الامر في الافعال الثلاثة ونصب ربها تدعوا بذلك
اي فاقبلها يا ربها وربها واجعل زكريا كافلا لها قيل بنى لها زكريا عليه السلام محرابا في المسجد اي غرفة
يصعد اليها بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس
وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وروي انه كان لا يدخل عليها الا هو وحده وكان اذا خرج
غلق عليها سبعة ابواب وجد عندها رزقا كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط فكان
يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء انى لك هذا من اين لك هذا الرزق
الذي لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت في غير حينه والابواب مغلقة عليك لا سبيل للداخل به اليك قالت
هو من عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت وهي صغيرة كما تكلم عيسى في المهد وعن النبي عليه السلام انه جاع

هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين

في زمن القحط فاهدت له فاطمة رضي الله عنها رغيفين وبضعة لحم اثرته بها فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوّ خبزا ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت من عند الله فقال لها صلى الله عليه وسلم انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال عليه السلام الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة بني اسرائيل ثم جمع رسول الله صلعم علي بن ابي طالب والحسن والحسين وجميع اهل بيته عليه حتى شبعوا وبقي الطعام كله كما هو فاوسعت فاطمة على جيرانها ان الله يرزق من جملة كلام مريم او من كلام رب العالمين عز من قائل بغير حساب بغير تقدير لكثرته او تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل بحسب الاستحقاق هنالك في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب او في ذلك الوقت وقد يستعاد مناوثمة وحيث للزمان لما رأى حال مريم في كرامتها على الله تعالى ومنزلتها رغب في ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولد اختها حنة في النجابة والكرامة على الله تعالى وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت اختها كذلك وقيل لما راى الفاكهة في غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر ذرية ولدا والذرية تقع على الواحد والجمع سميع الدعاء مجيبه وقرئ فناداه الملائكة وقيل ناداه جبريل وانما قيل الملائكة على قولهم فلان يركب الخيل ان الله يبشرك بالفتح على بان الله وبالكسر على ارادة القول وقرئ يبشرك ويبشرك من بشره وابشره ويبشرك بفتح الياء من بشره ويحيى ان كان اعجميا وهو الظاهر فمنع صرفه للتعريف والعجمة كموسى وعيسى وان كان عربيا فللتعريف ووزن الفعل كيعمر مصدقا بكلمة من الله مصدقا بعيسى مومنا به قيل هو اول من آمن به وسمي عيسى كلمة لانه لم يوجد الا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير سبب آخر وقيل مصدقا بكلمة من الله مومنا بكتاب منه وسمي الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته والسيد الذي يسود قومه اي يفوقهم في الشرف وكان يحيى فائقا لقومه وفائقا للناس كلهم في انه لم يركب سيئة قط ويا لها من سيادة والحصور الذي لا يقرب النساء حصرا لنفسه اي منعا لها

قال رب انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء قال رب اجعل لي آية قال آيتك الا تكلم الناس ثلثة ايام الا رمزا

من الشهوات وقيل هو الذي لا يدخل مع القوم في الميسر قال الاخطل وشارب مربح بالكاس نادمني لا بالحصور ولا فيها بسوار فاستعير لمن لا يدخل في اللعب واللهو وقد روي انه مر وهو طفل بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت من الصالحين ناشيا من الصالحين لانه كان من اصلاب الانبياء او كائنا من جملة الصالحين كقوله وانه في الآخرة لمن الصالحين انى يكون لي غلام استبعاد من حيث العادة كما قالت مريم وقد بلغني الكبر كقولهم ادركته السن العالية والمعنى اثر في الكبر واضعفني وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون كذلك اي يفعل الله ما يشاء من الافعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد بين الشيخ الفاني والعجوز العاقر او كذلك الله مبتدأ وخبر اي على نحو هذه الصفة الله ويفعل ما يشاء بيان له اي يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادة آية علامة اعرف بها الحبل لاتلقى النعمة اذا جاءت بالشكر قال آيتك ان لا تقدر على تكليم الناس ثلثة ايام وانما خص تكليم الناس ليعلمه انه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة مع ابقاء قدرته على التكلم بذكر الله ولذلك قال واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار يعني في ايام عجزك عن تكليم الناس وهي من الآيات الباهرة لم يحبس لسانه عن كلام الناس ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره توفرا منه على قضاء حق تلك النعمة الجسيمة وشكرها الذي طلب الآية من اجل الشكر قيل له آيتك ان يحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب واوقعه ما كان مشتقا من السؤال ومنتزعا منه الا رمزا الا اشارة بيد او رأس او غيرهما واصله التحرك يقال ارتمز اذا تحرك ومنه قيل للبحر الراموز وقرأ يحيى بن وثاب الا رمزا بضمتين جمع رموز كرسول ورسل وقرئ رمزا بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم وهو حال منه ومن الناس دفعة كقوله متى ما تلقني فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا بمعنى الا مترامزين كما يكلم الناس الاخرس بالاشارة ويكلمونه والعشي من حين تزول الشمس الى ان تغيب والابكار من طلوع الفجر الى وقت

ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون

الضحى وترى الابكار بالفتح جمع بكر كسحر يقال اتيته بكرًا بتنحي الرمز ليس من جنس
الكلام فكيف استثني منه لما ادى مؤدى الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمي كلامًا ويجوز ان
يكون استثناءً منقطعًا يا مريم روي انهم كلموها شفاهًا معجزةً لزكريا عليه السلام او ارهاصًا لنبوة
عيسى عليه السلام اصطفيك اولًا حين تقبلك من امك وربّاك واختصك بالكرامة السنية وطهرك
مما يستقذر من الافعال وما قرفتك به اليهود واصطفيك اخرًا على نساء العالمين بان وهب لك عيسى
من غير اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء امرت بالصلوة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيئات
الصلوة واركانها ثم قيل لها واركعي مع الراكعين بمعنى ولتكن صلوتك مع المصلين اي في الجماعة
او وانظمي نفسك في جملة المصلين وكوني معهم في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم ويحتمل ان يكون
في زمانها من كان يقوم ويسجد في صلوته ولا يركع وفيه من يركع فامرت بان تركع مع الراكعين ولا تكون
مع من لا يركع ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ زكريا ويحيى ومريم وعيسى يعني ان ذلك من الغيوب
التي لم تعرفها الا بالوحي لم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم بغير شبهة وترك نفي استماع
الانباء من حفاظها وهو موهوم كان معلومًا عندهم علمًا يقينًا انه ليس من اهل
السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحي فلم يبق الا المشاهدة وهي في غاية الاستبعاد والاستحالة
فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي مع علمهم بانه لا سماع له ولا قراءة ونحوه وما كنت بجانب
الغربي وما كنت بجانب الطور وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ازلامهم وهي قداحهم
التي طرحوها في النهر مقترعين وقيل هي الاقلام التي كانوا يكتبون بها التورية اختاروها للقرعة
تبركًا بها اذ يختصمون في شانها تنافسًا في التكفل بها ايهم يكفل بم يتعلق بمحذوف
دل عليه يلقون كانه قيل يلقونها ينظرون ايهم يكفل او ليعلموا او يقولون المسيح لقب من الالقاب
المشرفة كالصديق والفاروق واصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله وجعلني مباركًا

وكهلا ومن الصالحين قالت رب انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر

١٢٩

اينما كنت وكذلك عيسى معرب من ايشوع ومشتقهما من المسح والعيس كالراقم في الماء
اذ قالت بم يتعلق هو بدل من اذ قالت الملائكة ويجوز ان يبدل من اذ يختصمون
على ان الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا لم قيل
عيسى بن مريم والخطاب لمريم لان الابناء ينسبون الى الاباء لا الى الامهات
فاعلمت بنسبته اليها انه يولد من غير اب فلا ينسب الا الى امه وبذلك فضلت واصطفيت
على نساء العالمين لم ذكر ضمير الكلمة لان المسمى بها مذكر لم قيل
اسمه المسيح عيسى بن مريم وهذه ثلثة اشياء والاسم منها عيسى واما المسيح والابن فلقب وصفة
الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز من غيره فكانه قيل الذي يعرف به ويتميز عن
من سواه مجموع هذه الثلثة وجيهًا حال من كلمة وكذلك قوله ومن المقربين ويكلم ومن الصالحين
اي يبشرك به موصوفًا بهذه الصفات وصح انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة والوجاهة
في الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفي الاخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة وكونه من
المقربين رفعه الى السماء وصحبته للملائكة والمهد ما يمهد للصبي من مضجعه سمي بالمصدر وفي المهد
في محل النصب على الحال وكهلا عطف عليه بمعنى ويكلم الناس طفلًا وكهلًا ومعناه يكلم الناس
في هاتين الحالتين كلام الانبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها
العقل ويستنبأ فيها الانبياء ومن بدع التفاسير ان قولها رب نداء لجبرئيل بمعنى يا سيدي ونعلمه
عطف على يبشرك او على وجيهًا او على يخلق او هو كلام مبتدأ وقرأ عاصم ونافع ويعلمه بالياء
علام تحمل رسولًا ومصدقًا من المنصوبات المتقدمة وقوله اني قد جئتكم ولما بين يدي والمخالف
ان الرسول يابى حمله عليها هو من المضايق وفيه وجهان احدهما ان يضمر له وارسلت
على ارادة القول وتقديره ونعلمه الكتاب والحكمة ويقول ارسلت رسولًا باني قد جئتكم ومصدقًا لما

قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم باية من ربكم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم

يدي والثاني ان الرسول والمصدق فيهما معنى النطق فكانه قيل وناطقا باني قد جئتكم وناطقا باني اصدق ما بين يدي وقرا اليزيدي ورسول عطفا على كلمة اني قد جئتكم اصله ارسلت باني قد جئتكم فحذف الجار وانتصب بالفعل واني اخلق نصب بدل من اني قد جئتكم او جر بدل من اية او رفع على هي اني اخلق لكم وقرى اني بالكسر على الاستيناف اي اقدر لكم شيئا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا فيصير طيرا كسائر الطيور حيا طيارا او قرا عبد الله فانفخها قال كالهيئة في تنخي نفخ الفيها وقيل لم يخلق غير الخفاش الاكمه الذي ولد اعمى وقيل هو الممسوح العين وقيل لم يكن في هذه الامة اكمه غير قتادة بن دعامة السدوسي صاحب التفسير وروي انه ربما اجتمع عليه خمسون الفا من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما كانت مداواته الا بالدعاء وحده وكرر باذن الله دفعا لوهم من توهم فيه اللاهوتية وروي انه احيا سام بن نوح وهم ينظرون فقالوا هذا سحر فارنا اية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا وقرى تذخرون بالذال والتخفيف ولاحل رد على قوله باية من ربكم اي جئتكم باية من ربكم ولاحل لكم ويجوز ان يكون مصدقا مردودا عليه ايضا اي جئتكم باية وجئتكم مصدقا وما حرم الله عليهم في شريعة موسى عليه السلام الشحوم والثروب ولحوم الابل والسمك وكل ذي ظفر فاحل لهم عيسى بعض ذلك قيل احل لهم من السمك والطير ما لا صيصية له واختلفوا في احلاله لهم السبت وقرى حرم عليكم على تسمية الفاعل وهو ما بين يدي من التورية او الله عز وجل او موسى عليه السلام لان ذكر التورية دل عليه ولانه كان معلوما عندهم وقرى حرم بوزن كرم وجئتكم باية من ربكم شاهدة على صحة رسالتي وهي قوله ان الله ربي وربكم لان جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه وقرى بالفتح على البدل من اية قوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض كيف جعل هذا القول اية من ربه

١٨

لان الله تعالى جعله له علامة يعرف بها انه رسول كسائر الرسل حيث هداه للنظر في ادلة العقل والاستدلال ويجوز ان يكون تكريرا لقوله جئتكم باية من ربكم اي جئتكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم من خلق الطير والابراء والاحياء والانباء بالخفيات وبغيره من ولادتي بغير اب ومن كلامي في المهد ومن سائر ذلك وقرا عبد الله وجئتكم بايات من ربكم فاتقوا الله لما جئتكم به من الايات واطيعوني فيما ادعوكم اليه ثم ابتدا فقال ان الله ربي وربكم ومعنى قراءة من فتح لان الله تعالى ربي وربكم فاعبدوه كقوله لايلاف قريش فليعبدوا ويجوز ان يكون المعنى وجئتكم باية ان الله تعالى ربي وربكم وما بينهما اعتراض فلما احس فلما علم منهم الكفر علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس والى الله من صلة انصاري مضمنا معنى الاضافة كانه قيل من الذين يضيفون انفسهم الى الله ينصرونني كما ينصرني او يتعلق بمحذوف حالا من الياء اي من انصاري ذاهبا الى الله ملتجئا اليه نحن انصار الله اي انصار دينه ورسوله وحواري الرجل صفوته وخالصته ومنه قيل للحضريات الحواريات لخلوص لوانهن ونظافتهن قال فقل للحواريات يبكين غيرنا ولا يبكنا الا الكلاب النوابح وفي وزنه الحوالي وهو الكثير الحيلة وانما طلبوا منه شهادته باسلامهم تاكيدا لايمانهم لان الرسل يشهدون يوم القيمة لقومهم وعليهم مع الشاهدين مع الانبياء الذين يشهدون لاممهم او مع الذين يشهدون بالوحدانية وقيل مع امة محمد عليه السلام لانهم شهداء على الناس ومكروا الواو لكفار بني اسرائيل الذين احس منهم الكفر ومكرهم انهم وكلوا به من يقتله غيلة ومكر الله ان رفع عيسى الى السماء والقى شبهه على من اراد اغتياله حتى قتل والله خير الماكرين اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب الا قال الله

ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين

اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا ... الى يوم القيمة ثم الي مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون

وابنائنا وابنائكم ونسائنا ونسائكم

ظهر في خير الماكرين او لكيدا الله اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومعناه اني عاصمك
من ان يقتلك الكفار ومؤخرك الى اجل كتبته لك ومميتك حتف انفك لا قتلا بايديهم
ورافعك اليّ الى سمائي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم
وخبث صحبتهم وقيل متوفيك قابضك من الارض من توفيت مالي على فلان اذا استوفيته
وقيل مميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن وقيل متوفيك نفسك بالنوم من قوله والتي
لم تمت في منامها ورافعك وانت نائم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ وانت في السماء آمن مقرب
فوق الذين كفروا الى يوم القيمة يعلونهم بالحجة وفي اكثر الاحوال بها وبالسيف ومتبعوه هم المسلمون
لانهم متبعوه في اصل الاسلام وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى
فاحكم بينكم تفسير الحكم قوله فاعذبهم فنوفيهم اجورهم وقرئ فيوفيهم بالياء ذلك اشارة الى ما سبق من
نبا عيسى وغيره وهو مبتدا وخبره نتلوه ومن الآيات خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف ويجوز
ان يكون ذلك بمعنى الذي ونتلوه صلته ومن الآيات الخبر ويجوز ان ينتصب ذلك بمضمر يفسره نتلوه
والذكر الحكيم القرآن وصف بصفة من هو من سببه او كانه ينطق بالحكم لكثرة حكمه ان
مثل عيسى ان شان عيسى وحاله الغريبة كشان آدم وقوله خلقه من تراب جملة مفسرة لما له شبه
عيسى بآدم اي خلق آدم من تراب ولم يكن ثم اب ولا ام فكذلك حال عيسى كيف
شبه به وقد وجد بغير اب وآدم وجد بغير اب وام هو مثيله في احد الطرفين فلا يمنع
اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لان المماثلة مشاركة في بعض الاوصاف ولانه شبه به
في انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما في ذلك نظيران ولان الوجود من غير اب وام اغرب فشبه
الغريب بالاغرب ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه
وعن بعض العلماء انه اسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له قال فآدم اولى لانه

وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين

١٨١

لا ابوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل اولى لان عيسى احيا اربعة نفر واحيا حزقيل
ثمانية آلاف فقالوا كان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم
قام سالما خلقه من تراب قدّر جسدا من طين ثم قال له كن اي انشأه بشرا كقوله
ثم انشأناه خلقا آخر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك خبر مبتدا محذوف اي هو
الحق كقول اهل خيبر محمد والخميس ونهيه عن الامتراء وجل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يكون ممتريا من باب التهييج لزيادة الثبات والطمانينة وان يكون لطفا لغيره فمن حاجك
من النصارى فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم اي من البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا والمراد
المجيء بالراي والعزم كما تقول تعال نفكر في هذه المسالة ندع ابناءنا وابناءكم اي يدع كل مني
ومنكم ابناءه ونساءه ونفسه الى المباهلة ثم نبتهل ثم نتباهل بان نقول بهلة الله
على الكاذب منا ومنكم والبهلة بالفتح والضم اللعنة وبهله الله لعنه وابعده من
رحمته من قولك ابهله اذا اهمله وناقة باهل لا صرار عليها واصل الابتهال هذا
ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه وان لم يكن التعانا وروي انه لما دعاهم الى المباهلة
قالوا حتى نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رايهم يا عبد المسيح ما
ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل
من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم
لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى
بلادكم فاتوا رسول الله وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه
وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى
اني لارى وجوها لو شاء الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا

ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيمة فقالوا يا ابا القاسم رأينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك ونثبت على ديننا قال فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا قال فاني اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة الف في صفر والف في رجب وثلثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك وقال والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولولا عنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا وعن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله ثم فاطمة ثم علي ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت   ما كان دعاؤه الى المباهلة الا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه وذلك امر يختص به وبمن يكاذبه فما معنى ضم الابناء والنساء   ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض اعزته وافلاذ كبده واحب الناس اليه لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته هلاك الاستيصال ان تمت المباهلة وخص الابناء والنساء لانهم اعز الاهل والصقهم بالقلوب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل ومن ثم كانوا يسوقون مع انفسهم الظعائن في الحروب لتمنعهم من الهرب ويسمون الذادة عنها بارواحهم حماة الحقائق وقدمهم في الذكر على الانفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وليؤذن بانهم مقدمون على الانفس مفدون بها وفيه دليل لا شيء اقوى منه على فضل اصحاب الكساء عليهم السلام وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبي عليه السلام لانه لم يرو احد من موافق ولا مخالف انهم اجابوا الى ذلك

ان

١٨٢

قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابرهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده افلا تعقلون

ان هذا الذي قص عليك من نبأ عيسى لهو القصص الحق وقرئ لهو بتحريك الهاء على الاصل وبالسكون لان اللام تنزل من هو منزلة بعضه فخفف كما خفف عضد وهو اما فصل بين اسم ان وخبرها واما مبتدأ والقصص الحق خبره والجملة خبر ان   لم جاز دخول اللام على الفصل   اذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل اجوز لانه اقرب الى المبتدأ منه واصلها ان تدخل على المبتدأ ومن في قوله وما من اله الا الله بمنزلة البناء على الفتح في لا اله الا الله في افادة معنى الاستغراق والمراد الرد على النصارى في تثليثهم فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون يا اهل الكتاب قيل هم اهل الكتابين وقيل وفد نجران وقيل يهود المدينة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها القرآن والتورية والانجيل وتفسير الكلمة قوله ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله يعني تعالوا اليها حتى لا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا ولا نطيع احبارنا فيما احدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ما شرع الله كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وعن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله فقال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك وعن الفضيل لا ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة وقرئ كلمة بسكون اللام وقرأ الحسن سواء بالنصب بمعنى استوت استواء فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فوجب عليكم ان تعترفوا وتسلموا بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب في جدال او صراع او غيرهما اعترف باني انا الغالب وسلم لي الغلبة ويجوز ان يكون من باب التعريض ومعناه اشهدوا واعترفوا بانكم كافرون حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره زعم كل فريق من اليهود والنصارى

ان ابرهيم كان منهم وجادلوا رسول الله والمومنين فيه فقيل لهم ان اليهودية انما حدثت بعد نزول
التورية والنصرانية بعد نزول الانجيل وبين ابرهيم وموسى الف سنة وبينه وبين عيسى الفا سنة
فكيف يكون ابرهيم على دين لم تحدث الا بعد عهده بازمنة متطاولة افلا تعقلون حتى لا تجادلوا مثل
هذا الجدال المحال ها انتم هاؤلاء ها للتنبيه وانتم مبتداء وهؤلاء خبره وحاججتم جملة مستانفة مبينة
للجملة الاولى يعنى انتم هؤلاء الاشخاص الحمقى وبيان حماقتكم وقلة عقولكم انكم جادلتم فيما لكم به علم
مما نطق به التورية والانجيل فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ولا ذكر له في كتابيكم من دين ابرهيم
وعن الاخفش ها انتم هو أانتم على الاستفهام فقلبت الهمزة هاء ومعنى الاستفهام التعجب من حماقتهم
وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته والله يعلم ما حاججتم فيه وانتم جاهلون به اعلمهم انه
بريء من دينهم وما كان الا حنيفا مسلما وما كان من المشركين كما لم يكن منكم اوارادبالمشركين
اليهود والنصارى لاشراكهم به عزيرا والمسيح ان اولى الناس بابرهيم ان اخصهم به و
اقربهم منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه في زمانه وبعده وهذا النبي خصوصا
والذين آمنوا من امته وقرى وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه اي اتبعوه واتبعوا
هذا النبي وبالجر عطفا على ابرهيم ودت طائفة من اليهود دعوا حذيفة وعمارا الى اليهودية
وما يضلون الا انفسهم وما يعود وبال الاضلال الا عليهم لان العذاب يضاعف لهم بضلالهم و
اضلالهم او وما يقدرون على اضلال المسلمين وانما يضلون امثالهم من اشياعهم بايات الله
بالتورية والانجيل وكفرهم بها انهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وغيرها وانتم تشهدون انها ايات الله او تكفرون بالقران ودلايل نبوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تكفرون بايات الله جميعا
وانتم تعلمون انها حق قرى تلبسون بالتشديد وقرا يحيى بن وثاب تلبسون بفتح الباء اي

ان اولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المومنين ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله وانتم تشهدون
يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم

اي تلبسون الحق مع الباطل كقوله عليه السلام كلابس ثوبي زور وقوله اذ هو بالمجد ارتدي
وتأزرا وجه النهار اوله قال من كان مسرورا بمقتل مالك فليات نسوتنا بوجه نهار
المعنى اظهروا الايمان بما انزل على المسلمين في اول النهار واكفروا آخره واكفروا به
في آخره لعلهم يشكون في دينهم ويقولون ما رجعوا وهم اهل كتاب وعلم الا لامر قد تبين
لهم فيرجعون برجوعكم وقيل تواطأ اثنا عشر رجلا من احبار يهود خيبر وقال بعضهم لبعض
ادخلوا في دين محمد اول النهار من غير اعتقاد واكفروا آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا
وشاورنا فوجدنا ليس بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه وبطلان دينه فاذا فعلتم ذلك شك
اصحابه في دينهم وقيل هذا في شان القبلة لما صرفت الى الكعبة قال كعب بن الاشرف لاصحابه آمنوا
بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم اكفروا به في آخره وصلوا الى الصخرة
لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعوا ولا تؤمنوا متعلق بقوله ان يؤتى احد وما
بينهما اعتراض اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم
ارادوا اسروا تصديقكم بان المسلمين قد اوتوا من كتب الله مثل ما اوتيتم ولا تفشوه الا الى
اشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم الى
الاسلام او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى والضمير في يحاجوكم لاحد لانه في معنى الجمع بمعنى ولا
تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين يحاجونكم يوم القيمة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة فامعنى
الاعتراض معناه ان الهدى هدى الله من شاء ان يلطف به حتى يسلم او يزيد ثباته
على الاسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله قل ان الفضل
بيد الله يؤتيه من يشاء يريد الهداية والتوفيق او يتم الكلام عند قوله الا لمن تبع دينكم على معنى
ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر وهو ايمانهم وجه النهار الا لمن تبع دينكم على معنى الا لمن كانوا تابعين لدينكم

ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يوده اليك ومنهم من ان تامنه بدينار لا يوده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل

ممن اسلموا منكم لان رجوعهم كان ارجى عندهم من رجوع من سواهم ولان اسلامهم كان اغيظ لهم وقوله
ان يؤتى معناه لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه لا لشيء آخر يعني ان ما بكم من الحسد
والبغي ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم الى ان قلتم ما قلتم والدليل
عليه قراءة ابن كثير أأن يؤتى احد بزيادة همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ والمعنى ألان يؤتى
احد مثل ما اوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم ويجوز ان يكون هدى الله
بدلا من الهدى وان يؤتى احد خبر ان على معنى قل ان هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
او يحاجوكم حتى يحاجوكم عند ربكم فيقرعوا باطلكم بحقهم ويدحضوا حجتكم وقرئ ان يؤتى على ان النافية
وهو متصل بكلام اهل الكتاب اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما
اوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم يعني ما يؤتون مثله فلا يحاجونكم ويجوز ان ينتصب ان يؤتى بفعل
مضمر يدل عليه قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم كانه قيل قل ان الهدى هدى الله فلا تنكروا ان
يؤتى احد مثل ما اوتيتم لان قولهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم انكار لان يؤتى احد مثل
ما اوتوا عن ابن عباس من ان تامنه بقنطار هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من
قريش الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومن ان تامنه بدينار فنحاص بن عازوراء
استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه وقيل المأمونون على الكثير النصارى لغلبة
الامانة عليهم والخائنون في القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم الا ما دمت عليه قائما الا مدة
دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على راسه متوكلا عليه بالمطالبة والتعنيف او بالرفع الى
الحاكم واقامة البينة عليه وقرئ يؤده بكسر الهاء والوصل وبكسرها من غير وصل وبسكونها
وقرأ يحيى بن وثاب تيمنه بكسر التاء وقرئ دمت بكسر الدال من دام يدام ذلك اشارة الى ترك
الاداء الذي دل عليه لم يؤده اي تركهم اداء الحقوق بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل

ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون بلى من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين

سبيل اي لا يتطرق علينا عتاب وذم في شان الاميين يعنون الذين ليسوا من اهل الكتاب
وما فعلنا بهم من حبس اموالهم والاضرار بهم لانهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم
ويقولون لم يجعل لهم في كتابنا حرمة وقيل بايع اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا
تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك
في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية
الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر وعن ابن عباس انه سأله رجل
فقال انا نصيب في الغزو من اهل الذمة الدجاجة والشاة قال فتقولون ماذا قال نقول ليس
علينا في ذلك باس قال هذا كما قال اهل الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل انهم اذا ادوا الجزية
لم تحل لكم اموالهم الا بطيبة انفسهم ويقولون على الله الكذب بادعائهم ان ذلك في كتابهم
وهم يعلمون انهم كاذبون بلى اثبات لما نفوه من السبيل عليهم في الاميين اي بلى عليهم سبيل فيهم
وقوله من اوفى بعهده جملة مستانفة مقررة للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير في بعهده
راجع الى من اوفى على ان كل من اوفى بما عاهد عليه واتقى الله في ترك الخيانة والغدر فان الله يحبه
فان قلت فهذا عام يخيل انه لو وفى اهل الكتاب بعهودهم وتركوا الخيانة لكسبوا محبة الله
قلت اجل لانهم اذا وفوا بالعهود وفوا اول شيء بالعهد الاعظم وهو ما اخذ عليهم في كتابهم من الايمان
برسول مصدق لما معهم ولو اتقوا الله في ترك الخيانة لاتقوه في ترك الكذب على الله
وتحريف كلمه ويجوز ان يرجع الضمير الى الله على ان من وفى بعهد الله واتقاه فان
الله يحبه ويدخل في ذلك الايمان وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه من الكفر
واعمال السوء فاين الضمير الراجع من الجزاء الى من قلت عموم المتقين
قام مقام رجوع الضمير وعن ابن عباس نزلت في عبد الله بن سلام وبحيرا الراهب

الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم

ونظرآء بما في مسلة لعل للكتاب يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من
الايمان بالرسول المصدق لما معهم وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به و
لننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا الترؤس والارتشاء ونحو ذلك وقيل نزلت في ابي
رافع ولبابة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب حرفوا التورية وبدلوا صفة رسول الله
واخذوا الرشوة على ذلك وقيل جاءت جماعة من اليهود الى كعب بن الاشرف في سنة اصابتهم
ممتارين فقال لهم هل تعلمون ان هذا الرجل رسول الله عليه السلام قالوا نعم قال قد هممت
ان اميركم واكسوكم فحرمكم الله خيرا كثيرا فقالوا لعله شبه علينا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا
فكتبوا صفة غير صفته ثم رجعوا اليه وقالوا قد غلطنا وليس هو بالنعت الذي نعت
لنا ففرح ومارهم وعن الاشعث بن قيس نزلت في كانت بيني وبين رجل خصومة في بئر
فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شاهداك او يمينه فقلت اذن يحلف ولا يبالي
فقال عليه السلام من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان وقيل نزلت
في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اعطي عليه ما لم يعطه والوجه ان نزولها في اهل
الكتاب وقوله بعهد الله يقوي رجوع الضمير في بعهدهم الى الله ولا ينظر اليهم مجاز عن الاستهانة
بهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر الى فلان تريد نفي اعتداده واحسانه اليه ولا يزكيهم ولا
يثني عليهم لكن فرق بين استعماله فيمن يجوز عليه النظر وفيمن لا يجوز اصله
فيمن يجوز عليه النظر الكناية لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعاره نظر عينيه ثم كثر حتى
صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثمة نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا
لمعنى الاحسان مجازا عما وقع الكناية عنه فيمن يجوز عليه النظر لفريقا هم كعب بن الاشرف ومالك
بن الصيف وحيي بن اخطب وغيرهم يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته عن الصحيح الى

وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون

المحرف وقرأ اهل المدينة يلوّون بالتشديد كقوله لوّوا رؤسهم وعن ابن كثير ومجاهد يلون ووجهه
انها قلبا الواو المضمومة همزة ثم خففوها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها الا ام يرجع
الضمير في قوله لتحسبوه الى ما دل عليه يلوون ألسنتهم بالكتاب وهو المحرف ويجوز ان يراد
يعطفون ألسنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وقرئ ليحسبوه بالياء والمعنى
يفعلون ذلك ليحسبه المسلمون من الكتاب ويقولون هو من عند الله تاكيد لقوله هو من الكتاب
وزيادة تشنيع عليهم وتسجيل بالكذب ودلالة على انهم لا يعرضون ولا يورّون وانما يصرحون بانه
في التورية هكذا وقد انزله الله على موسى كذلك لفرط جرأتهم على الله وقساوة قلوبهم ويأسهم من
الآخرة وعن ابن عباس هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف غيروا التورية وكتبوا كتابا
بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم ما
كان لبشر تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد من نصارى نجران
قالا يا رسول الله اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله او نأمر بغير عبادة الله
فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا بعضا
افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله والحكم هو الحكمة
وهي السنة ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف
والنون كما تقول رقباني ولحياني وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته وعن محمد بن الحنفية انه
قال حين مات ابن عباس اليوم مات رباني هذه الامة وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء وقيل علماء
معلمين وكانوا يقولون الشارع الرباني العالم المعلم العامل بما كنتم بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم
دارسين للعلم اوجب ان تكون الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة
وكفى به دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه وكد روحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل فكان مثله

ما كان لبشر ... بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون

ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة

مثل من غرس شجرة حسناء تؤنقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها وقرئ تعلمون من التعليم وتعلمون من التعلم تدرسون تقرؤون وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون على أن أدرس بمعنى درس كأكرم وكرم وأنزل ونزل وتدرسون من التدرس ويجوز أن يكون معناه ومعنى تدرسون بالتخفيف تدرسونه على الناس كقوله لتقرأه على الناس فيكون معناه معنى تدرسون من التدريس وفيه أن من علم ودرس العلم ولم يعمل به فليس من الله في شيء وأن السبب بينه وبين ربه منقطع حيث لم يثبت النسبة إليه إلا للتمسك بطاعته وقرئ ولا يأمركم بالنصب عطفا على ثم يقول وفيه وجهان أحدهما أن تجعل لا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر أن يستنبئه الله وينصبه للدعاء إلى اختصاص الله بالعبادة وترك الأنداد ثم يأمر الناس بأن يكونوا عبادا له ويأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا كما تقول ما كان لزيد أن أكرمه ثم يهينني ولا يستخف بي والثاني أن تجعل لا غير مزيدة والمعنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح فلما قالوا له أنتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر أن يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والأنبياء والقراءة بالرفع على ابتداء الكلام أظهر وينصرها قراءة عبد الله ولن يأمركم والضمير في ولا يأمركم للبشر وقيل لله والهمزة في أيأمركم للإنكار بعد إذ أنتم مسلمون دليل على أن المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين كانوا استأذنوه أن يسجدوا له وإذ أخذ الله ميثاق النبيين قيل إنه على ظاهره من أخذ الميثاق على النبيين بذلك والثاني أن يضيف الميثاق إلى النبيين إضافته إلى الموثق لا إلى الموثق عليه كما تقول ميثاق الله وعهد الله كأنه قيل وإذ أخذ الله الميثاق الذي وثقه الأنبياء على أممهم والثالث أن يراد ميثاق أولاد النبيين وهم بنو إسرائيل على حذف المضاف والرابع أن النبيين مستهزئا بأهل الكتاب وسماهم النبيين ويدل عليه قراءة أبي وابن مسعود وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب واللام في لما آتيتكم لام التوطئة لأن أخذ الميثاق في معنى الاستحلاف

ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين

وفي لتؤمنن لام جواب القسم وما يحتمل أن تكون المتضمنة لمعنى الشرط ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا وأن تكون موصولة بمعنى للذي آتيتكموه لتؤمنن به وقرئ لما آتيناكم وقرأ حمزة لما آتيتكم بكسر اللام ومعناه لأجل إيتائي إياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به على أن ما مصدرية والفعلان معها بمعنى آتيناكم وجاءكم في معنى المصدرين واللام داخلة للتعليل على معنى أخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لأجل أني آتيتكم الحكمة وأن الرسول الذي آمركم بالإيمان به ولنصرته موافق لكم غير مخالف ويجوز أن تكون ما موصولة كيف يجوز ذلك والعطف على آتيتكم وهو قوله ثم جاءكم لا يجوز أن يدخل تحت حكم الصلة لأنك لا تقول للذي جاءكم رسول مصدق لما معكم قلت بلى لأن ما معكم في معنى ما آتيناكم فكأنه قيل للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرأ سعيد بن جبير لما آتيتكم بالتشديد بمعنى حين آتيتكم بعض الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له وجب عليكم الإيمان به ونصرته وقيل أصله لمن ما فاستثقلوا اجتماع ثلث ميمات وهي الميمان والنون المنقلبة ميما بإدغامها في الميم فحذفوا إحديها فصارت لما ومعناها لمن أجل ما آتيتكم لتؤمنن به وهو أيضا نحو من قراءة حمزة في المعنى إصري عهدي وقرئ أصري بالضم وهي إما لغة فيه كعبر وعبر أو يكون جمع إصار فاشهدوا فليشهد بعضكم على بعض بالإقرار وأنا على ذلك من إقراركم وتشاهدكم من الشاهدين وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع إذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل الخطاب للملائكة فمن تولى بعد ذلك الميثاق والتوكيد فأولئك هم الفاسقون أي المتمردون من الكفار دخلت همزة الإنكار على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى فأولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما ويجوز أن يعطف على محذوف تقديره أيتولون فغير دين الله يبغون وقدم المفعول الذي هو غير دين الله على فعله لأنه أهم من حيث إن الإنكار الذي هو معنى الهمزة

قولوا آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي عيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون

متوجهًا إلى المعبد بالباطل روي أن أهل الكتاب اختصموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا فيه من دين إبراهيم عليه أفضل الصلوة والسلام وكل واحد من الفريقين ادعى أنه أولى به فقال رسول الله عليه السلام كلا الفريقين بريء من دين إبراهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فنزلت وقرئ يبغون بالياء وترجعون بالتاء وهي قراءة أبي عمرو لأن الباغين هم المتولون والراجعون جميع الناس وقرئا بالتاء وبالياء طوعًا وكرهًا طوعًا بالنظر في الأدلة والانصاف من نفسه وكرهًا بالسيف وبمعاينة ما يلجئ إلى الإسلام كنتق الجبل على بني إسرائيل وإدراك الغرق فرعون والإشفاء على الموت فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وانتصب طوعًا وكرهًا على الحال بمعنى طائعين ومكرهين أمر رسول الله صلعم بأن يخبر عن نفسه وعن من معه بالإيمان فلذلك وحد الضمير في قل وجمع في آمنا ويجوز أن يؤمر بأن يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك إجلالًا من الله لقدر نبيه

لم عدي أنزل في هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها بحرف الانتهاء لوجود المعنيين جميعًا لأن الوحي ينزل من فوق وينتهي إلى رسول الله فجاء تارة بأحد المعنيين وأخرى بالآخر وإنما قيل علينا في قوله قل وإلينا في قوله قولوا لفرقه بين الرسول والمؤمنين لأن الرسول يأتيه الوحي على طريق الاستعلاء ويأتيهم على وجه الانتهاء فقد تعسف الأمر ألا ترى إلى قوله بما أنزل إليك وأنزلنا إليك الكتاب وإلى قوله آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا ونحن له مسلمون موحدون مخلصون أنفسنا له لا نجعل له شريكًا في عبادتنا ثم قال ومن يبتغ غير الإسلام يعني التوحيد وإسلام الوجه لله دينًا فلن يقبل منه من الخاسرين من الذين وقعوا في الخسران مطلقًا من غير تقييد للشياع وقرئ ومن يبتغ غير الإسلام بالادغام كيف يهدي الله قومًا كيف يلطف بهم وليسوا من أهل اللطف لما علم الله من تصميمهم على كفرهم ودل على تصميمهم بأنهم كفروا بعد إيمانهم وبعد ما شهدوا بأن الرسول حق وبعد ما جاءتهم الشواهد من القرآن وسائر المعجزات التي تثبت بمثلها النبوة وهم اليهود كفروا بالنبي صلعم بعد أن كانوا مؤمنين به وذلك حين عاينوا

والله لا يهدي القوم الظالمين أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم

ما يوجب قوة إيمانهم من البينات وقيل نزلت في رهط كانوا أسلموا ثم رجعوا عن الإسلام ولحقوا بمكة منهم طعمة بن أبيرق ووحوح بن الأسلت والحرث بن سويد بن الصامت علام عطف قوله وشهدوا فيه وجهان أن يعطف على ما في إيمانهم من معنى الفعل لأن معناه بعد أن آمنوا كقوله تعالى فأصدق وأكن وكقول الشاعر مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب ويجوز أن يكون الواو للحال بإضمار قد بمعنى كفروا وقد شهدوا أن الرسول حق والله لا يهدي لا يلطف بالقوم الظالمين المعاندين الذين علم أن اللطف لا ينفعهم إلا الذين تابوا من بعد ذلك الكفر العظيم والارتداد وأصلحوا ما أفسدوا أو دخلوا في الصلاح قيل نزلت في الحرث بن سويد حين ندم على ردته وأرسل إلى قومه أن سلوا هل لي من توبة فأرسل إليه أخوه الجلاس بالآية فأقبل إلى المدينة فتاب وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته ثم ازدادوا كفرًا هم اليهود كفروا بعيسى والإنجيل بعد إيمانهم بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرًا بكفرهم بمحمد والقرآن أو كفروا برسول الله صلعم بعد ما كانوا مؤمنين قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرًا بإصرارهم على ذلك وطعنهم فيه في كل وقت وعداوتهم له ونقضهم ميثاقه وفتنتهم للمؤمنين وصدهم عن الإيمان به وسخريتهم بكل آية تنزل وقيل نزلت في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة وازديادهم الكفر أن قالوا نتربص بمحمد ريب المنون وإن أردنا الرجعة نافقنا بإظهار التوبة قد علم أن المرتد كيف ما ازداد كفرًا فإنه مقبول التوبة إذا تاب فما معنى لن تقبل توبتهم جعلت عبارة عن الموت على الكفر لأن الذي لا تقبل توبته من الكفار هو الذي يموت على الكفر كأنه قيل إن اليهود أو المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا مائتون على الكفر داخلون في جملة من لا تقبل توبتهم فلم قيل في إحدى الآيتين لن تقبل بغير فاء وفي الأخرى فلن تقبل قد أوذن بالفاء أن الكلام بني على الشرط والجزاء وأن سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر وبتركها

ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين كيف يهدي الله

ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين

وقيل معناه كل ما يتعامل به الناس في الارض وذلك حسم لطمع
الكفار بالنفع المقصود الانجر

الفاء ان الكلام مبتدا وخبر ولا دليل فيه على التسبيب كما تقول الذي جاءني له درهم لم تجعل
المجي سببا في استحقاق الدرهم بخلاف قولك فله درهم فحين كان معنى لن
تقبل توبتهم بمعنى الموت على الكفر فهلا جعل الموت على الكفر مسببا عن ارتدادهم
وازديادهم الكفر لما في ذلك من قساوة القلب وركوب الرين وجر الى الموت على الكفر
لانه كم من مرتد مزداد الكفر يرجع الى الاسلام ولا يموت على الكفر فاي
فايدة في هذه الكناية اعني ان كنى عن الموت على الكفر بامتناع قبول التوبة
الفايدة فيها جليلة وهي التغليظ في شان اولئك الفريق من الكفار وابراز حالهم في صورة
حال الايسين من الرحمة التي هي اغلظ الاحوال واشدها الا ترى ان الموت على
الكفر انما يخاف من اجل الياس من الرحمة ذهبا نصب على التمييز وقرا الاعمش ذهب
بالرفع ردا على ملء كما يقال عندي عشرون نفسا رجال كيف موقع قوله
ولو افتدى به هو كلام محمول على المعنى كانه قيل فلن تقبل من احدهم
فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا ويجوز ان يراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو
ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف كثيرا في كلامهم كقولك
ضربته ضرب زيد تريد مثل ضربه وابو يوسف ابو حنيفة تريد مثله ولا هيثم الليلة
للمطي وقضية ولا ابا حسن لها تريد ولا مثل هيثم ولا مثل ابي حسن كما انه
يزاد في نحو قولهم مثلك لا يفعل كذا تريد انت وذلك ان المثلين يسد احدهما
مسد الاخر فكانا في حكم شي واحد وان يراد فلن يقبل من احدهم ملء الارض
ذهبا على البناء للفاعل وهو الله عز وجل ونصب ملء ومل الارض بتخفيف
الهمزتين لن تنالوا البر لن تبلغوا حقيقة البر ولن تكونوا ابرارا وقيل لن تنالوا

لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم

بر الله وهو ثوابه حتى تنفقوا مما تحبون حتى تكون نفقتكم من اموالكم التي تحبونها
وتوثرونها كقوله انفقوا من طيبات ما كسبتم وكان السلف رحمهم الله اذا احبوا شيا جعلوه
لله وروي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحا
فضعها يا رسول الله حيث اراك الله فقال صلعم بخ بخ ذاك مال رابح او مال رايح
واني ارى ان تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها في
اقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها
رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد فكان زيدا وجد في نفسه وقال
انما اردت يا رسول الله ان اتصدق به فقال رسول الله اما ان الله تعالى قد قبلها
منك وكتب عمر الى ابي موسى الاشعري ان يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم
فتحت مداين كسرى فلما جاءت اعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى
تنفقوا مما تحبون فاعتقها ونزل بابي ذر ضيف فقال للراعي ايتني بخير ابلي
فجاء بناقة مهزولة فقال خنتني قال وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم
اليه فقال ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي وقرا عبد الله حتى تنفقوا بعض
ما تحبون وهذا دليل على ان من في مما تحبون للتبعيض ونحوه اخذت من المال
ومن في من شيء لتبيين ما تنفقوا اي من اي شيء كان طيب تحبونه او خبيث تكرهونه
فان الله عليم بكل شيء تنفقونه فمجازيكم بحسبه كل الطعام كل المطعومات او كل
انواع الطعام والحل مصدر يقال حل الشيء حلا كقولك ذلت الدابة ذلا
وعز الرجل عزا وفي حديث عايشة كنت اطيبه لحله وحرمه ولذلك استوى
في الوصف به المذكر والمونث والواحد والجمع قال الله تعالى لا هن حل لهم والذي

كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين

حَرَّمَ اسرائيل وهو يعقوب عليه السلام على نفسه لحوم الابل والبانها وقيل العروق كان به عرق النسا فنذر ان شفي ان يحرم على نفسه احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه تحريمه وقيل اشارت عليه الاطباء باجتنابه ففعل وكان ذلك باذن الله فهو كتحريم الله ابتداء والمعنى ان المطاعم كلها لم تزل حلالا لبني اسرائيل من قبل انزال التورية وتحريم ما حرم عليهم منها لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها شي قبل ذلك غير المطعوم الواحد الذي حرمه ابوهم اسرائيل على نفسه فتبعوه على تحريمه وهو رد على اليهود وتكذيب لهم حيث ارادوا براءة ساحتهم مما نعي عليهم في قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الى قوله عذابا اليما وفي قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم وجحود ما غاظهم واشمازوا منه وامتعضوا مما نطق به القرآن من تحريم الطيبات عليهم لبغيهم وظلمهم فقالوا لسنا باول من حرمت عليه وما هو الا تحريم قديم كانت محرمة على نوح وعلى ابرهيم ومن بعده من بني اسرائيل وهلم جرا الى ان انتهى التحريم الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم بالبغي والظلم والصد عن سبيل الله واكل الربوا واخذ اموال الناس بالباطل وما عدد من مساويهم التي كلما ارتكبوا منها كبيرة حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم قل فاتوا بالتورية فاتلوها امر بان يحاجهم بكتابهم ويبكتهم بما هو ناطق به وان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب بغيهم وظلمهم لا تحريم قديم كما يدعونه وروي انهم لم يجسروا على اخراج التورية وبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك الحجة البينة على صدق النبي صلعم وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه فمن افترى

فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون قل صدق الله فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين

على الله الكذب بزعمه ان ذلك كان محرما على بني اسرائيل قبل انزال التورية من بعد ما لزمهم من الحجة القاطعة فاولئك هم الظالمون المكابرون الذين لا ينصفون من انفسهم ولا يلتفتون الى البينات قل صدق الله تعريض بكذبهم كقوله ذلك جزيناهم ببغيهم وانا الصادقون اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وهي ملة الاسلام التي عليها محمد ومن آمن معه حتى تخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم الى تحريف كتاب الله لتسوية اغراضكم والزمتكم تحريم الطيبات التي احلها الله لابرهيم ولمن تبعه وضع للناس صفة لبيت والواضع هو الله عز وجل تدل عليه قراءة من قرأ وضع للناس بتسمية الفاعل وهو الله عز وعلا ومعنى وضع الله بيتا للناس انه جعله متعبدا لهم فكانه قال ان اول متعبد للناس الكعبة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن اول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وعن علي رضي الله عنه ان رجلا قال له اهو اول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة واول من بناه ابرهيم صلوات الله عليه ثم بناه قوم من العرب من جرهم ثم هدم فبنته العمالقة ثم هدم فبناه قريش وعن ابن عباس هو اول بيت حج بعد الطوفان وقيل هو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والارض خلقه قبل الارض بالفي عام وكان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الارض من تحته وقيل هو اول بيت بناه آدم في الارض وقيل لما اهبط آدم قالت له الملائكة طف حول هذا البيت فلقد طفنا قبلك بالفي عام وكان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح فرفع في الطوفان الى السماء الرابعة يطوف به ملائكة

ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين

السموات للذي ببكة وهي علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان فيه نحو قولهم النبيط والنميط في اسم موضع بالدهنا وهي علم ونحوه من الاعتقاب امر راتب وراتم وحمى مخطة ومغبطة وقيل مكة البلد وبكة اسم موضع المسجد وقيل اشتقاقها من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيها وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضا الرجال والنساء يصلي بعضهم بين يدي بعض لا يصلح ذلك الا بمكة كانها سميت ببكة وهي الزحمة قال اذا الشريب اخذته الاكة فخله حتى يبك بكة وقيل تبك اعناق الجبابرة اي تدقها لم يقصدها جبار الا قصمه الله مباركا كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وانتصابه على الحال من المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه المقدر في الظرف من فعل الاستقرار وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم مقام ابرهيم عطف بيان لقوله آيات بينات كيف صح بيان الجماعة بالواحد فيه وجهان احدهما ان يجعل وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شانه وقوة دلالته على قدرة الله ونبوة ابرهيم عليه السلام من تاثير قدمه في حجر صلد كقوله تعالى ان ابراهيم كان امة والثاني اشتماله على ايات لان اثر القدم في الصخرة الصماء اية وغوصه فيها الى الكعبين اية والانة بعض الصخرة دون بعض اية وابقاؤه دون سائر آيات الانبياء عليهم السلام لابرهيم خاصة وحفظه مع كثرة اعدائه من المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوف سنين اية ويجوز ان يراد فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله وكثير سواهما ونحوه في طي الذكر قول جرير كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها ومنه قوله عليه السلام حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة وقرا ابن عباس وابي ومجاهد وابو جعفر المدني في رواية قتيبة اية بينة على التوحيد وفيها دليل على ان مقام ابرهيم واقع

فيه آيات بينات مقام ابرهيم ومن دخله كان امنا

وحده عطف بيان كيف اجزت ان يكون مقام ابرهيم وقوع الامن عطف بيان للآيات وقوله تعالى ومن دخله كان امنا جملة مستانفة اما ابتدائية واما شرطية اجزت ذلك من حيث المعنى لان قوله ومن دخله كان امنا دل على امن داخله فكانه قيل فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن داخله الا ترى انك لو قلت فيه اية بينة من دخله كان امنا صح لانه في معنى قولك فيه آية بينة امن من دخله كيف كان سبب هذا الاثر فيه وجهان احدهما انه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف ابرهيم عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امراة اسماعيل انزل حتى يغسل راسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق راسه ثم حولته الى شقه الايسر فوضع قدمه اليسرى عليه حتى غسلت الشق الآخر فبقي اثر قدميه عليه ومعنى ومن دخله كان امنا معنى قوله اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة ابرهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد امنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجا الى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي الله عنه قال لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه وعند ابي حنيفة من لزمه القتل في الحل بقصاص او ردة او زنا فالتجا الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل امنا من النار وعن النبي صلى الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة امنا وعنه عليه السلام الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة

فالمدينة وعن ابن مسعود رضي الله عنه وقف النبي صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت عنه جهنم مسيرة مائتي عام من استطاع بدل من الناس روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وكذا عن ابن عباس وابن عمر وعليه اكثر العلماء وعن ابن الزبير هو على قدر القوة ومذهب مالك ان الرجل اذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له ولا زاد وعن الضحاك اذا قدر ان يوجر نفسه فهو مستطيع وقيل له في ذلك فقال ان كان لبعضهم ميراث بمكة اكان يتركه بل كان ينطلق اليه ولو حبوا وكذلك يجب عليه الحج والضمير في اليه للبيت او الحج وكل ما اتى الى شيء فهو سبيل اليه وفي هذا الكلام انواع من التوكيد والتشديد منها ولله على الناس حج البيت يعني انه حق واجب لله في رقاب الناس لا ينفكون عن ادائه والخروج من عهدته ومنها انه ذكر الناس ثم ابدل عنه من استطاع اليه وفيه ضربان من التوكيد احدهما ان الابدال تثنية للمراد وتكرير له والثاني ان الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال ايراد له في صورتين مختلفتين ومنها قوله ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم

ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا

191

وحده عطف بيان كيف اجزت ان يكون مقام ابرهيم ووقوع الامن عطف بيان للآيات وقوله تعالى ومن دخله كان امنا جملة مستانفة اما ابتدائية واما شرطية اجزت ذلك من حيث المعنى لان قوله ومن كان امنا دل على امن داخله فكانه قيل فيه آيات بينات عليه السلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا ونحوه من التغليظ ومن ترك الصلاة متعمدا فقد كفر ومنها ذكر الاستغناء عنه وذلك مما يدل على المقت والسخط والخذلان ومنها قوله عن العالمين ولم يقل عنه وما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لانه اذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة ولانه يدل على الاستغناء الكامل فكان ادل على عظم السخط الذي وقع عبارة عنه وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب وروي انه لما نزل قوله ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزلت ومن كفر وعن النبي عليه السلام حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة وروي حجوا قبل ان لا تحجوا حجوا قبل ان يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت قبل ان تنبت في البادية شجرة لا تاكل منها دابة الا نفقت وعن عمر رضي الله عنه لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا الا اي كانهم خرجوا عن الملة الحنيفية فلا يمهلون بالحج الذي هو من اركان الاسلام وقرئ حج البيت بالكسر والله شهيد الواو للحال والمعنى لم تكفرون بآيات الله التي دلتكم على صدق محمد والحال ان الله شهيد على اعمالكم فيجازيكم عليها وهذه الحال توجب ان لا تجسروا على الكفر بآياته قرا الحسن تصدون من اصده عن سبيل الله عن دين حق علم انه سبيل الله التي امر

ومن كفر فان الله غني عن العالمين قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله والله شهيد على ما تعملون قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا

بسلوكها وهو الاسلام كانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويبغون من اراد
الدخول فيه بجهدهم وقيل اتت اليهود الاوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية
من العداوات والحروب ليعودوا لمثله تبغونها عوجا تطلبون لها اعوجاجا وميلا عن
القصد والاستقامة كيف تبغونها عوجا وهو محال فيه معنيان احدهما انكم
تلبسون على الناس حتى توهموهم ان فيها عوجا بقولكم ان شريعة موسى لا تنسخ
وبتغييركم صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك والثاني انكم تتعبون
انفسكم في اخفاء الحق وابتغاء ما لا يتأتى لكم من وجود العوج فيما هو اقوم من كل مستقيم
وانتم شهداء انها سبيل الله التي لا يصد عنها الا ضال مضل وانتم شهداء بين اهل
دينكم عدول يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في عظائم امورهم وهم الاحبار
وما الله بغافل وعيد ومحل تبغونها نصب على الحال قيل مر شاس بن قيس
اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من الانصا
ر من الاوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون فغاظه ذلك حيث تالفوا وتحدثوا واجتمعوا
بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار
فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه
من الاشعار وكان يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس ففعل
فتنازع القوم عند ذلك وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح فبلغ النبي
صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين والانصار فقال اتدعون الجاهلية
وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف
بينكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح وبكوا

وانتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين

وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان يوم اقبح اولا
واحسن آخرا وانتج ~~اولا من ذلك اليوم~~ وكيف تكفرون معنى الاستفهام فيه الانكار و
التعجب والمعنى من اين يتطرق اليكم الكفر والحال ان آيات الله وهي القرآن المعجز تتلى عليكم على
لسان الرسول غضة طرية وبين اظهركم رسول الله ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم ومن
يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه ويجوز ان يكون حثا لهم على الالتجاء اليه في دفع
شرور الكفار ومكايدهم فقد هدي فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول اذا
جئت فلانا فقد افلحت كان الهدى قد حصل له فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى
التوقع في ظاهره لان المعتصم بالله متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح
عنده حق تقاته واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم
ونحوه فاتقوا الله ما استطعتم يريد بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها
شيئا وعن عبد الله هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وروي
مرفوعا وقيل هو ان لا ياخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابنه
او ابيه وقيل لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة
من اتأد ولا تموتن معناه ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت
كما تقول لمن تستعين به على لقاء العدو لا تاتني الا وانت على حصان فلا تنهاه عن
الاتيان ولكنك تنهاه عن خلاف الحال التي شرطت عليه في وقت الاتيان قولهم
اعتصمت بحبله يجوز ان يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بحمايته بامتثال المتدلي
من مكان مرتفع بحبل وثيق يامن انقطاعه وان يكون الحبل استعارة لعهده والا
عتصام لوثوقه بالعهد او ترشيحا لاستعارة الحبل بما يناسبه والمعنى واجتمعوا

يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا ... وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون

على استعانتكم بالله دونوهم وكلهم به ولا تفرقوا عنه او واجتمعوا على التمسك بعهده الى عباده وهو الايمان والطاعة او بكتابه لقول النبي صلى الله عليه وسلم القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجايبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي الى صراط مستقيم ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى او كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين يعادي بعضكم بعضا و يحاربه او لا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والالفة التي انتم عليها مما يأباه جامعكم والمؤلف بينكم وهو اتباع الحق والتمسك بالاسلام كانوا في الجاهلية بينهم الاحن والعداوة والحروب المتواصلة فالف الله بين قلوبهم بالاسلام وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا وصاروا اخوانا متراحمين متناصحين مجتمعين على امر واحد قد نظم بينهم وازال الاختلاف وهو الاخوة في الله وقيل هم الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام فوقعت بينهما العداوة وتطاولت الحروب مائة و عشرين سنة الى ان اطفأها الله ذلك بالاسلام والف بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنتم على شفا حفرة من النار وكنتم مشفين على ان تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر فانقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا وانما انث لاضافته الى الحفرة وهو منها كما قال كما شرقت صدر القناة من الدم وشفا الحفرة وشفتها حرفها بالتذكير والتانيث ولامها واو لانها في المذكر مقلوبة وفي المؤنث محذوفة ونحو الشفا الشفه والجانب والجانبة كيف جعلوا على حرف حفرة من النار لو ماتوا على ما كانوا عليه وقعوا في النار فمثلت حياتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بالقعود على حرفها مشفين على الوقوع فيها كذلك مثل البيان البليغ يبين لكم اياته

لعلكم تهتدون ارادة ان تزدادوا هدى ولتكن منكم امة من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات ولانه لا يصلح له الا من علم المعروف والمنكر علم كيف يرتب الامر في اقامته وكيف يباشر فان الجاهل ربما نهى عن معروف وامر بمنكر وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده انكاره الا تماديا وعلى من الانكار عليه عبث كالانكار على اصحاب المآصر والجلادين واضرابهم وقيل من للتبيين بمعنى وكونوا امة تامرون كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون واولئك هم المفلحون هم الاخصاء بالفلاح دون غيرهم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل وهو على المنبر من خير الناس قال امرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم وعنه عليه السلام من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن علي رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وعن حذيفة يأتي على الناس زمان يكون فيهم جيفة الحمار احب اليهم من مؤمن يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وعن سفيان الثوري اذا كان الرجل محببا في جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن والامر بالمعروف تابع للمامور به ان كان واجبا فواجب وان كان ندبا فندب واما النهي عن المنكر فواجب كله لان جميع المنكر تركه واجب لاتصافه بالقبح

ما طريق الوجوب اختلف فيه الشيخان فعند ابي علي السمع والعقل وعند ابي هاشم السمع وحده ما شرايط النهي ان يعلم الناهي ان ما ينكره قبيح لانه اذا لم يعلم لم يأمن ان ينكر الحسن وان لا يكون ما ينهى عنه واقعا لان الواقع

ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ... واولئك هم المفلحون

لا يحسن النهي عنه وانما يحسن الذم عليه والنهي عن امثاله وان لم يغلب على ظنه ان المنهي عنه يزيد في منكراته وان لا يغلب على ظنه ان نهيه لا يؤثر لانه عبث فما شرط الوجوب ان يغلب على ظنه وقوع المعصية نحو ان يرى الشارب قد هيا آلات شرب الخمر باعداد الآلة وان لا يغلب على ظنه انه ان انكر لحقته مضرة عظيمة كيف يباشر الانكار يبتدى بالسهل فان لم ينفع ترقى الى الصعب لان الغرض كف المنكر قال الله تعالى فاصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا من يباشر كل مسلم تمكن منه واختص بشرايطه وقد اجمعوا على ان من راى غيره تاركا للصلاة وجب عليه الانكار لانه معلوم قبحه لكل احد واما الانكار الذي بالقتال فالامام وخلفاؤه اولى به لانهم اعلم بالسياسة ومعهم عدتها فمن يؤمر وينهى كل مكلف وغير المكلف اذا هم بضرر غيره منع كالصبيان والمجانين وينهى الصبيان عن المحرمات حتى لا يتعودوها كما لا يؤخذون بالصلاة ليمرنوا عليها هل يجب على مرتكب المنكر ان ينهى عما يرتكب نعم يجب عليه لان ترك ارتكابه وانكاره واجبان عليه فبتركه احد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الآخر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن الحسن انه سمع مطرف بن عبد الله يقول لا اقول ما لم افعل فقال واينا يفعل ما يقول ود الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يامر احد بمعروف ولا ينهى عن منكر كيف قيل يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف الدعاء الى الخير عام في التكاليف من الافعال والتروك والامر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص فجيء بالعام ثم عطف عليه الخاص ايذانا بفضله كقوله والصلاة الوسطى كالذين تفرقوا واختلفوا وهم اليهود والنصارى من بعد ما جاءهم البينات الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهي كلمة الحق وقيل هم مبتدعوا اهل

الامة وهم المشبهة والمجبرة والحشوية واشباههم يوم تبيض وجوه نصب بالظرف وبقولهم او اذكروا وقرئ تبيض وتسود بكسر حروف المضارعة وتبياض وتسواد والبياض من النور والسواد من الظلمة فمن كان من اهل نور الحق وسم ببياض اللون واسفاره واشراقه وابيضت صحيفته واشرقت وسعى النور بين يديه وبيمينه ومن كان من اهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكسوفه وكمده واسودت صحيفته واظلمت واحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ بالله وبسعة رحمته من ظلمات الباطل واهله اكفرتم يقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر انهم اهل الكتاب وكفرهم بعد الايمان تكذيبهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعترافهم به قبل مجيئه وعن عطاء تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه بني قريظة والنضير وقيل هم المرتدون وقيل اهل البدع والاهواء وعن ابي امامة رضي الله عنه هم الخوارج ولما راهم على درج دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب النار هؤلاء شر قتلى تحت اديم السماء وخير قتلى تحت اديم السماء الذين قتلهم هؤلاء فقال له ابو غالب اشيء تقوله برايك ام شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بل سمعته من رسول الله غير مرة قال فما شانك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام وكفروا ثم قرا هذه الآية ثم اخذ بيده فقال ان بارضك منهم كثيرا فاعاذك الله منهم وقيل هم جميع الكفار لاعراضهم عما اوجبه الاقرار حين اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى ففي رحمة الله ففي نعمته وهي الثواب المخلد كيف موقع قوله هم فيها خالدون بعد قوله ففي رحمة الله موقع الاستيناف كانه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون تلك آيات الله الواردة في الوعد والوعيد نتلوها عليك ملتبسة بالحق والعدل من جزاء المحسن والمسيء بما يستوجبانه وما الله

يريد ظلمًا فياخذ احدًا بغير جرم او يزيد في عقاب مجرم او ينقص من ثواب محسن ونكر

ظلمًا وقال للعالمين على معنى ما يريد شيئًا من الظلم لاحدٍ من خلقه فسبحان من يحلم عمن

يصفه بارادة القبايح والرضى بها كان عبارة عن وجود الشيء في زمان ماضٍ على سبيل

الابهام وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع طاري ومنه قوله تعالى وكان

الله غفورًا رحيمًا ومنه قوله كنتم خير امةٍ كانه قيل وُجِدتم خير امةٍ وقيل كنتم في علم خير

امةٍ وقيل كنتم في الامم قبلكم مذكورين بانكم خير امةٍ موصوفون به اخرجت اظهرت

وقوله تامرون كلام مستانف يبين به كونهم خير امةٍ كما تقول زيد كريم يطعم الناس

ويكسوهم ويقوم بمصالحهم وتؤمنون جعل الايمان بكل ما يجب الايمان به ايمانا بالله لان

من امن ببعض ما يجب الايمان به من رسولٍ او كتابٍ او بعثٍ او حسابٍ او عقابٍ او

ثوابٍ او غير ذلك لم يعتد بايمانه فكانه غير مومن بالله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض

ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلًا اولئك هم الكافرون حقا والدليل عليه قوله ولو

امن اهل الكتاب اي بالرسول مع ايمانهم بالله لكان خيرًا لهم لكان الايمان خيرًا مما هم عليه

لانهم انما اثروا دينهم على دين الاسلام حبًّا للرياسة واستتباع العوام ولو امنوا لكان خيرًا لهم

من الرياسة والاتباع وحظوظ الدنيا مما هو خير مما اثروا دين الباطل لاجله مع الفوز بما وعدوا

على الايمان من ايتاء الاجر مرتين منهم المومنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون

المتمردون في الكفر لن يضروكم الا اذى الا ضررًا مقتصرًا على الاذى بقولٍ من طعنٍ في

الدين او تهديدٍ او نحو ذلك وان يقاتلوكم يولوكم الادبار منهزمين ولا يضروكم بقتلٍ او اسرٍ

ثم لا ينصرون ثم لا يكون لهم نصر من احدٍ ولا يمنعون منكم فيه تثبيت لمن اسلم منهم لانهم كانوا

يوذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم بانهم لا يقدرون ان يتجاوزوا الاذى

يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون

١٩٥

بالقول الى ضرر يبالى به مع انه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل

هلا جزم المعطوف في قوله ثم لا ينصرون   عدل به عن حكم الجزاء الى حكم الاخبار

ابتداءً كانه قيل ثم اخبركم انهم لا ينصرون   اي فرق بين رفعه وجزمه في المعنى

لو جزم لكان نفي النصر مقيدًا بمقاتلتهم كتولية الادبار وحين رفع كان نفي النصر وعدًا مطلقًا

كانه قال ثم شانهم وقصتهم التي اخبركم عنها وابشركم بها بعد التولية انهم مخذولون منتفٍ

عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعدها بجناحٍ ولا يستقيم لهم امر وكان كما اخبر في حال بني قريظة

والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر   فما الذي عطف عليه هذا الخبر   جملة

الشرط والجزاء كانه قيل اخبركم انهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم اخبركم انهم لا ينصرون

فما معنى التراخي في ثم   التراخي في المرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم اعظم

من الاخبار بتوليتهم الادبار   ما موقع الجملتين اعني منهم المومنون ولن يضروكم

هما كلامان واردان على طريق الاستطراد عند اجراء ذكر اهل الكتاب كما يقول القايل وعلى

ذكر فلانٍ فان من شانه كيت وكيت ولذلك جاء من غير عاطفٍ بحبلٍ من الله في محل النصب على

الحال بتقدير الا معتصمين او متمسكين او ملتبسين بحبل الله وهو استثناء من اعم عام الاحوال

والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا في حال اعتصامهم بحبلٍ وحبل الناس يعني ذمة

الله وذمة المسلمين اي لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من الجزية

وباؤا بغضب من الله استوجبوه وضربت عليهم المسكنة كما يضرب البيت على اهله فهم ساكنون

في المسكنة غير ظاعنين عنها وهم اليهود عليهم لعنة الله وغضبه ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب

الذلة والمسكنة والبواء بغضب الله اي ذلك كائن بسبب كفرهم بايات الله وقتلهم الانبياء

ذلك بما عصوا اي ذلك كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم حدوده ليعلم ان الكفر وحده

تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ولله ما في السموات وما في الأرض وإلى الله ترجع الأمور
كنتم خير أمة أخرجت للناس

ليس بسبب في استحقاق سخط الله وأن سخط الله يستحق بسبب ركوب المعاصي كما يستحق بالكفر

ونحوه مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس با

لباطل الضمير في ليسوا لأهل الكتاب أو ليس أهل الكتاب مستوين وقوله من أهل الكتاب أمة

قائمة كلام مستأنف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تأمرون بالمعروف بيانا لقوله

كنتم خير أمة قائمة مستقيمة عادلة من قولك أقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين

أسلموا منهم وعبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن في ساعات الليل مع السجود لأنه أبين لما يفعلون

وأدل على حسن صورة أمرهم وقيل عني صلاة العشاء لأن أهل الكتاب لا يصلونها

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أخر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العشاء ثم خرج

إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة فقال أما إنه ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله

تعالى هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الآية وقوله يتلون ويؤمنون في محل الرفع صفتان

لأمة أي أمة قائمة تالون مؤمنون وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة آيات الله

بالليل ساجدين ومن الإيمان بالله لأن إيمانهم به كلا إيمان لإشراكهم به عزيرا وكفرهم ببعض

الكتب والرسل دون بعض ومن الإيمان بالله واليوم الآخر لأنهم يصفونه بخلاف صفته

ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنهم كانوا مداهنين ومن المسارعة في الخيرات لأنهم

كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها والمسارعة في الخيرات فرط الرغبة فيها لأن من رغب

في الأمر سارع في توليته والقيام به وآثر الفور على التراخي وأولئك الموصوفون بما وصفوا

به من جملة الصالحين الذين صلحت أحوالهم عند الله ورضيهم واستحقوا ثناءه عليهم

ويجوز أن يراد بالصالحين المسلمين فلن تكفروه لما جاء وصف الله عز وعلا بالشكر في قوله

والله شكور حليم في معنى توفية الثواب نفى عنه نقيض ذلك لتعدى إلى مفعولين

تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون
وأكثرهم الفاسقون لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون

وشكر وكفر يتعديان إلا إلى واحد تقول شكر النعمة وكفرها ضمن معنى الحرمان فكأنه قيل

فلن تحرموه بمعنى فلن تحرموا جزاءه وقرئ يفعلوا ويكفروه بالياء والتاء والله عليم بالمتقين بشارة

للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على أنه لا يفوز عنده إلا أهل التقوى الصر الريح الباردة نحو

الصرصر قال لا تعدلن أتاويين تضربهم نكباء صر بأصحاب المحلات كما قالت ليلى الأخيلية

ولم تغلب الخصم الألد وتملأ الجفان سديفا يوم نكباء صرصر فما معنى قوله كمثل

ريح فيها صر فيه أوجه أحدها أن الصر في صفة الريح بمعنى الباردة فوصف بها القرة

بمعنى فيها قرة صر كما تقول برد بارد على المبالغة والثاني أن يكون الصر مصدرا في الأصل

بمعنى البرد فجيء به على أصله والثالث أن يكون من قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة

حسنة ومن قولك إن ضيعني فلان ففي الله كاف وكافل وفي الرحمن للضعفاء كاف شبه

ما كانوا ينفقون من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس

لا يبتغون به وجه الله بالزرع الذي حسه البرد فذهب حطاما وقيل هو ما كانوا يتقربون

إلى الله مع كفرهم وقيل ما أنفقوا في عداوة رسول الله فضاع عنهم لأنهم لم يبلغوا

بإنفاقه ما أنفقوه لأجله وشبهه بحرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلك عقوبة لهم على معاصيهم

لأن الإهلاك عن سخط أشد وأبلغ الغرض تشبيه ما أنفقوا في قلة جدواه

وضياعه بالحرث الذي ضربته الصر والكلام غير مطابق للغرض حيث جعل ما ينفقون

ممثلا بالريح هو من التشبيه المركب الذي مر في تفسير قوله كمثل الذي

استوقد نارا ويجوز أن يراد مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح أو مثل ما ينفقون

كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون بالتاء وما ظلمهم الله الضمير للمنفقين على

معنى وما ظلمهم الله بأن لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث لم يأتوا بها مستحقة

للقبول او لاصحاب الحرث الذي ظلموا انفسهم اي وما ظلمهم الله باهلاك حرثهم ولكن
ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن بالتشديد بمعنى ولكن انفسهم
يظلمونها هم ولا يجوز ان يراد ولكنه انفسهم يظلمون على اسقاط ضمير الشان لانه انما يجوز
في الشعر بطانة الرجل ووليجته خصيصه وصفيه الذي يفضي اليه بشقوره ثقة به
شبه ببطانة الثوب كما يقال فلان شعاري وعن النبي صلى الله عليه وسلم الانصار شعار و
الناس دثار من دونكم من دون ابناء جنسكم وهم المسلمون ويجوز تعلقه بلا تتخذوا
وبطانة على الوصف اي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم لا يالونكم خبالا يقال الا في
الامر يالوا اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين في قولهم لا الوك نصحا ولا
الوك جهدا على التضمين والمعنى لا امنعك نصحا ولا انقصكه والخبال الفساد ودوا
ما عنتم ودوا عنتكم على ان ما مصدرية والعنت شدة الضرر والمشقة و
اصله انهياض العظم بعد جبره اي تمنوا ان يضروكم في دينكم اشد الضرر وابلغه
قد بدت البغضاء من افواههم لانهم لا يتمالكون مع ضبطهم انفسهم وتحاملهم عليها
ان ينفلت من السنتهم ما يعلم به بغضهم المسلمين وعن قتادة قد بدت البغضاء لاوليائهم
من المنافقين والكفار لاطلاع بعضهم بعضا على ذلك وفي قراءة عبد الله قد بدا
البغضاء قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة اولياء
الله ومعاداة اعدائه ان كنتم تعقلون ما بين لكم فعملتم به كيف موقع هذه الجمل
يجوز ان يكون لا يالونكم صفة للبطانة وكذلك قد بدت البغضاء كانه قيل بطانة
غير آليكم خبالا بادية بغضاؤهم واما قد بينا فكلام مبتدا واحسن منه وابلغ ان تكون
مستانفات كلها على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة ها انتم اولاء تحبونهم

اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة منافقي اهل الكتاب وقوله تحبونهم ولا يحبونكم بيان
لخطائهم في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لاهل البغضاء وقيل اولاء موصول تحبونهم صلته و
الواو في تؤمنون للحال وانتصابها من لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كله مع ذلك يبغضونكم
فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم وفيه توبيخ شديد بانهم في باطلهم اصلب منكم في
حقكم ونحوه فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون ويوصف المغتاظ والنادم
بعض الانامل والبنان والابهام قال الحارث بن ظالم المري فاقتل اقواما لياما اذلة
يعضون من غيظ رؤس الاباهم قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بان يزداد غيظهم حتى
يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوة الاسلام وعز اهله وما لهم في
ذلك من الخزي والذل والتبار ان الله عليم بذات الصدور فهو يعلم ما في صدور
المنافقين من الحنق والبغضاء وما يكون منهم في حال خلو بعضهم ببعض وهو كلام داخل
في جملة المقول او خارج منها فكيف معناه على الوجهين اذا كان داخلا في
جملة المقول فمعناه اخبرهم بما يسرونه من عضهم الانامل غيظا اذا خلوا وقل لهم ان
الله عليم بما هو اخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور فلا تظنوا ان شيئا من
اسراركم يخفى عليه واذا كان خارجا فمعناه قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعي
اياك على ما يسرون فاني اعلم ما هو اخفى من ذلك وهو ما اضمروه في صدورهم ولم
يظهروه بالسنتهم ويجوز ان لا يكون ثم قول وان يكون قوله قل موتوا بغيظكم امرا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله ان يهلكوا
غيظا باعزاز الاسلام واذلالهم به كانه قيل حدث نفسك بذلك ان تمسسكم حسنة الرخاء و
الخصب والنصرة والغنيمة ونحوها من المنافع والتيسير كما ان تنكم ذلك وهذا

ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويامرون بالمعروف وينهون
عن المنكر ويسارعون في الخيرات

وأولئك من الصالحين وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون

بيان لفرط معاداتهم حيث يحسدونهم على ما نالهم من الخير ويشمتون بهم فيما أصابهم من
الشدة كيف وصفت الحسنة بالمس والسيئة بالإصابة المس مستعار لمعنى
الإصابة فكان المعنى واحدا ألا ترى إلى تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة ما
أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه
الخير منوعا وإن تصبروا على عداوتهم وتتقوا ما نهيتم عنه من موالاتهم أو وإن تصبروا
على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله في اجتنابكم محارمه كنتم في كنف الله فلا يضركم
كيدهم وقرئ لا يضركم من ضاره يضيره ويضركم على أن ضمة الراء لاتباع ضمة الضاد
كقولك مد يا هذا وروى المفضل عن عاصم لا يضركم بفتح الراء وهذا تعليم من الله
وإرشاد إلى أن يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقد قالت الحكماء إذا
أردت أن تكبت عدوك فازدد فضلا في نفسك إن الله بما تعملون من الصبر والتقوى
وغيرهما محيط ففاعل بكم ما أنتم أهله وقرئ بالياء بمعنى أنه عالم بما يعملون في عداوتكم
فمعاقبهم عليه وإذ غدوت واذكر إذ غدوت من أهلك بالمدينة وهو غدوه إلى أحد من حجرة
عائشة رضي الله عنها روي أن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء فاستشار رسول
الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ودعا عبد الله بن أبي بن سلول ولم يدعه قط قبلها
فاستشاره فقال عبد الله وأكثر الأنصار يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج
إليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه
فكيف وأنت فينا فدعهم فإن أقاموا أقاموا بشر محبس وإن دخلوا قاتلهم الرجال
في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وإن رجعوا رجعوا خائبين وقال
بعضهم يا رسول الله اخرج بنا إلى هذه الأكلب لا يرون أنا قد جبنا عنهم وقال

مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله

عليه السلام إني رأيت في منامي بقرا مذبحة حولي فأولتها خيرا ورأيت في ذباب
سيفي ثلما فأولته هزيمة ورأيت كأني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة
فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر وأكرمهم
الله بالشهادة يوم أحد اخرج بنا إلى أعدائنا فلم يزالوا به حتى دخل فلبس لأمته
فلما رأوه قد لبس لأمته ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله والوحي
يأتيه فقالوا يا رسول الله اصنع ما رأيت فقال ما ينبغي لنبي أن يلبس لأمته فيضعها
حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة وأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف
من شوال فمشى على رجليه فجعل يصف أصحابه للقتال كأنما يقوم بهم القدح إن رأى صدرا
خارجا قال تأخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره إلى أحد
وأمر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من
ورائنا تبوئ المؤمنين تنزلهم وقرأ عبد الله للمؤمنين بمعنى تسوي لهم وتهيئ
مقاعد للقتال مواطن ومواقف وقد اتسع في قعد وقام حتى أجريا مجرى
صار واستعمل المقعد والمقام في معنى المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق
قبل أن تقوم من مقامك أي من مجلسك وموضع حكمك والله سميع
لأقوالكم عليم بنياتكم وضمائركم إذ همت بدل من إذ غدوت أو عمل فيه معنى
سميع عليم والطائفتان حيان من الأنصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من
الأوس وهما الجناحان خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ألف وقيل في تسع
مائة وخمسين والمشركون في ثلاثة آلاف ووعدهم الفتح إن صبروا فانخزل
عبد الله بن أبي بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل أنفسنا وأولادنا

وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا

فتبعهم عمرو بن حازم الانصاري فقال اذكركم الله في نبيكم وانفسكم فقال الله لو نعلم قتالا
لاتبعناكم فهمّ الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن ابن عباس رضي الله عنه اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا والظاهر
انها ما كانت الا همة وحديث نفس وكما لا تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع
ثم يردها صاحبها الى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال المكروه كما قال عمرو بن الا
طنابة اقول لها اذا جشأت وجاشت مكانك تحمدي وتستريحي حتى قال معاوية عليكم
بحفظ الشعر فقد كدت اضع رجلي في الركاب يوم صفين فما ثبتني الا قول
عمرو بن الاطنابة ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية والله يقول والله وليهما ويجوز
ان يراد والله ناصرهما ومتولي امرهما فما لهما يفشلان ولا يتوكلان على الله
ما معنى ما روي من قول بعضهم عند نزول الآية والله ما يسرنا انا لم نهم بما
هممنا به وقد اخبرنا الله بانه ولينا معنى ذلك فرط الاستبشار بما حصل
لهم من الشرف بثناء الله وانزاله فيهم آية ناطقة بصحة الولاية وان تلك الهمة غير
الماخوذ بها لانها لم تكن عن عزيمة وتصميم كانت سببا لنزولها والفشل الجبن والخور
وهوى عبد الله والله وليهم كقوله وان طائفتان من المومنين اقتتلوا امرهم بان لا
يتوكلوا الا عليه ولا يفوضوا امورهم الا اليه ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل مما يسر لهم
من الفتح يوم بدر وهم في حال قلة وذلة والاذلة جمع قلة والذلان جمع الكثرة
وجاء بجمع القلة ليدل انهم على ذلتهم كانوا قليلا وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال
وقلة السلاح والمال والركوب وذلك انهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على
البعير الواحد وما كان معهم الا فرس واحد وقلتهم انهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر

ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم

وكان عدوهم في حال كثرة زهاء الف مقاتل ومعهم مائة فرس والشكة والشوكة و
بدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به فاتقوا الله في الثبات
مع رسوله لعلكم تشكرون وبتقواكم ما انعم عليكم من نصرته او لعلكم ينعم الله عليكم نعمة اخرى
تشكرونها فوضع الشكر موضع الانعام لانه سبب له اذ تقول ظرف لنصركم على ان تقول
لهم ذلك يوم بدر او بدل ثان من اذ غدوت على ان تقول لهم يوم احد كيف
يصح ان يقول لهم يوم احد ولم تنزل فيه الملائكة قال لهم مع اشتراط الصبر
والتقوى عليهم فلم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا حيث خالفوا امر رسول الله فلذلك
لم تنزل الملائكة ولو تموا على ما شرط عليهم لنزلت وانما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة
لتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله ومعنى الن يكفيكم انكار ان لا
يكفيهم الامداد بثلاثة الف من الملائكة انما جيء بلن الذي هو لتاكيد النفي للاشعار
بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين من النصرة وبلى ايجاب
لما بعد لن يعني بلى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ثم قال ان تصبروا وتتقوا
يمددكم باكثر من ذلك العدد مسومين للقتال ويأتوكم يعني المشركين من فورهم
هذا من قولك قفل من غزوته وخرج من فوره الى غزوة اخرى وجاء فلان ورجع
من فوره ومنه قول ابي حنيفة الامر على الفور لا على التراخي وهو مصدر من فارت
القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت به الحالة التي لاريث فيها ولا تعريج على
شيء من صاحبها فقيل خرج من فوره كما تقول من ساعته لم يلبث والمعنى انهم ان ياتوكم
من ساعتهم وهذا يمددكم ربكم من الملائكة في حال اتيانهم لا يتاخر نزولهم عن
اتيانهم يريد ان الله يعجل نصرتكم وييسر فتحكم ان صبرتم واتقيتم وقرئ منزلين

ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط

بالتشديد ومنزلين بكسر الزاء بمعنى منزلين النصر ومسومين بفتح الواو وكسرها
بمعنى معلَمين ومعلِمين انفسهم او خيلهم قال الكلبي معلمين بعمايم صفر مرخاة على
اكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الابيض في نواصي الدواب واذنابها وعن
مجاهد مجزوزة اذناب خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن
الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملايكة كذلك وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال لاصحابه تسوموا فان الملايكة قد تسومت
وما جعله الله الا بشرى لكم اي وما جعل الله امدادكم بالملايكة الا بشارة لكم
بانكم تنصرون ولتطمئن به قلوبكم كما كانت السكينة لبني اسرائيل بشارة بالنصر
وطمانينة لقلوبهم وما النصر الا من عند الله لا من عند المقاتلة اذا تكاثروا
ولا من عند الملايكة والسكينة ولكن ذكر ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة والطمع
في الرحمة ويربط على قلوب المجاهدين العزيز الذي لا يغالب في حكمه الحكيم
الذي يعطي النصر ويمنعه لما يرى من المصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا
ليهلك طايفة منهم بالقتل والاسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر
سبعين من روساء قريش وصناديدهم او يكبتهم او يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة
فينقلبوا خايبين غير ظافرين بمبتغاهم ونحوه ورد الله الذين كفروا بغيظهم
لم ينالوا خيرا ويقال كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل
في قول ابي الطيب لاكبت حاسدا واري عدوا فهو من الكبد والرية
واللام متعلقة بقوله ولقد نصركم الله او بقوله وما النصر الا من عند الله
او يتوب عطف على ما قبله وليس لك من الامر شيء اعتراض والمعنى ان الله مالك امرهم

واذ غدوت من اهلك تبوئ المومنين مقاعد للقتال والله سميع عليم

فاما ان يهلكهم او يهزمهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك
من امرهم شيء انما انت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم قيل او يتوب منصوب باضمار ان
وان يتوب في حكم اسم معطوف بأو على الامر او على شيء اي ليس لك من امرهم شيء او التوبة
الله عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم فتشتفي منهم وقيل شجه عتبة بن ابي وقاص يوم احد
وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى ابي حذيفة يغسل الدم عن وجهه
ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت وقيل
اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه ان فيهم من يؤمن وعن الحسن رحمه الله يغفر لمن يشاء
بالتوبة ولا يشاء ان يغفر الا للتايبين ويعذب من يشاء ولا يشاء ان يعذب الا المستوجبين
للعذاب وعن عطا يغفر لمن يتوب اليه ويعذب من لقيه ظالما قوله او يتوب عليهم و
اتباعه او يعذبهم فانهم ظالمون تفسير بين لمن يشاء وانهم المتوب عليهم او الظالمون ولكن
اهل الاهواء والبدع يتصامون ويتعامون عن ايات الله فيخبطون خبط عشواء
ويطيبون انفسهم بما يفترونه على ابن عباس من قولهم يهب الذنب الكبير لمن يشاء و
يعذب من يشاء على الذنب الصغير لا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة نهي عن الربا
مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله زاد في الاجل
فاستغرق بالشيء الطفيف مال المديون واتقوا النار التي اعدت للكافرين كان
ابو حنيفة يقول هي اخوف اية في القران حيث اوعد الله المومنين بالنار المعدة للكافرين
ان لم يتقوه في اجتناب محارمه وقد امد ذلك بما اتبعه من تعليق رجاء المومنين لرحمته
بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله ومن تامل هذه الاية وامثالها لم يحدث نفسه بالا
طماع الفارغة والتمني على الله تعالى وفي ذكره تعالى لعل وعسى في نحو هذه المواضع

وان قال الناس فيه ما قالوا بالا يخفى على العارف الفطن من دقة مسلك التقوى وصعوبة
اصابة رضا الله تعالى وعزة التوصل الى رحمته وثوابه وفي مصاحف اهل المدينة والشام
سارعوا بغير واو وقرا الباقون بالواو وتنصره قراة ابي وعبد الله وسابقوا ومعنى المسارعة
الى المغفرة والجنة الاقبال على ما تستحقان به عرضها السموات والارض اي عرضها عرض
السموات والارض كقوله عرضها كعرض السما والارض والمراد وصفها بالسعة والبسطة
فشبهت باوسع ما علمه الناس من خلقه وابسطه وخص العرض لانه في العادة ادنى
من الطول للمبالغة كقوله بطاينها من استبرق وعن ابن عباس رضي الله عنه كسبع سموات
وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض في السرا والضرا في حال الرخا وحال الضيقة
والعسر لا يخلوا في كلتي الحالتين ما قدروا عليه من كثير وقليل كما يحكى عن بعض السلف
انه ربما تصدق ببصلة وعن عايشة رضي الله عنها انها تصدقت بحبة عنب او في جميع
الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة لا يمنعهم حال فرح وسرور ولا حال
محنة وبلاء عن المعروف وسوا كان الواحد منهم في عرس او في حبس فانه لا يدع الا
حسان وافتتح بذكر الانفاق لانه اشق شي على النفس وادل على الاخلاص ولانه كان
في ذلك الوقت اعظم الاعمال للحاجة اليه في مجاهدة العدو ومواساة فقرا المسلمين
كظم القربة اذا ملاها وشد فاها وكظم البعير اذا لم يجتر ومنه كظم الغيظ وهو ان
يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له اثرا وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم
غيظا وهو يقدر على انفاذه ملا الله قلبه امنا وايمانا وعن عاينة رضي الله عنها ان
خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء والعافين عن الناس
اذا جنى عليهم احد لم يواخذوه وروي ينادي مناد يوم القيمة اين الذين كانت اجورهم

على الله فلا يقوم الا من عفا وعن ابن عيينة انه رواه للرشيد وقد غضب على رجل
فخلاه وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هولا في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا
كثيرا في الامم التي مضت والله يحب المحسنين يجوز ان يكون الكلام للجنس فيتناول
كل محسن ويدخل تحته هولا المذكورون وان يكون للعهد فتكون اشارة الى
هولا والذين عطف على المتقين اي اعدت للمتقين والتائبين وقوله اوليك اشارة
الى الفريقين ويجوز ان يكون والذين مبتدا خبره اوليك فاحشة فعلة متزايدة القبح
او ظلموا انفسهم اي اذنبوا اي ذنب كان مما يواخذون به وقيل الفاحشة الزنا وظلم
النفس ما دونه من القبلة واللمسة ونحوهما وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة
ذكروا الله تذكروا عقابه او وعيده او نهيه او حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحيا
منه فاستغفروا لذنوبهم فتابوا عنها لقبحها نادمين عازمين ومن يغفر الذنوب الا الله
وصف لذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة وان التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له
وانه لا مفزع للمذنبين الا فضله وكرمه وان عدله يوجب المغفرة للتائب لان العبد
اذا بالغ في الاعتذار والتنصل باقصى ما يقدر عليه اوجب العفو والتجاوز وفيه
تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة وبعث عليها وردع عن الياس والقنوط وان
الذنوب وان جلت فان عفوه اجل وكرمه اعظم والمعنى انه وحده معه
مصححات المغفرة وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه ولم يصروا ولم
يقيموا على قبيح فعلهم غير مستغفرين وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر
ولو عاد في اليوم سبعين مرة ولا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الا
صرار وهم يعلمون حال من فعل الاصرار وحرف النفي منصب عليهما معا والمعنى

ولیسوا ممن یصرون علی الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهی عنها والوعید علیها لانه قد یعذر من لا یعلم قبح القبیح وفی هذه الآیات بیان قاطع ان الذین آمنوا علی ثلث طبقات متقون وتائبون ومصرون فان الجنة للمتقین والتائبین منهم دون المصرین ومن خالف فی ذلک فقد کابر عقله وعاند ربه قال اجر العاملین بعد قوله جزاؤهم لانهما فی معنی واحد وانما خالف بین اللفظین لزیادة التنبیه علی ان ذلک جزاء واجب علی عمل واجر مستحق علیه لا کما یقول المبطلون وروی ان الله عز وجل اوحی الی موسی علیه السلام ما اقل حیاء من یطمع فی جنتی بغیر عمل کیف اجود برحمتی علی من یبخل بطاعتی وعن شهر بن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء الرحمة ممن لا یطاع حمق وجهالة وعن الحسن یقول الله تعالی یوم القیمة جوزوا الصراط بعفوی وادخلوا الجنة برحمتی واقتسموها باعمالکم وعن رابعة البصریة انها کانت تنشد ترجو النجاة ولم تسلک مسالکها ان السفینة لا تجری علی الیبس والمخصوص بالمدح محذوف تقدیره ونعم اجر العاملین ذلک یعنی المغفرة والجنات قد خلت من قبلکم سنن یرید ما سنه الله فی الامم المکذبین من وقائعه کقوله وقتلوا تقتیلا سنة الله فی الذین خلوا من قبل ثم لا یجدون ولیا ولا نصیرا سنة الله التی قد خلت من قبل هذا بیان للناس ایضاح لسوء عاقبة ما هم علیه من التکذیب یعنی حثهم علی النظر فی سوء عواقب المکذبین قبلهم والاعتبار بما یعاینون من آثار هلاکهم وهدی وموعظة للمتقین یعنی انه مع کونه بیانا وتنبیها للمکذبین فهو زیادة تثبیت وموعظة للذین اتقوا من المؤمنین ویجوز ان یکون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث علی الایمان وما یستحق به ما ذکر من اجر العاملین ویکون قوله هذا

بیان اشارة الی ما لخص وبین من امر المتقین والتائبین والمصرین ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلیة من الله لرسوله والمؤمنین عما اصابهم یوم احد وتقویة من قلوبهم یعنی ولا تضعفوا عن الجهاد لما اصابکم ای لا یورثنکم ذلک وهنا وجبنا ولا تبالوا به ولا تحزنوا علی من قتل منکم وجرح وانتم الاعلون شانا وحالکم انکم اعلی منهم واغلب لانکم اصبتم یوم بدر اکثر مما اصابوا منکم یوم احد او وانتم الاعلون شانا لان قتالکم لله ولاعلاء کلمته وقتالهم للشیطان ولاعلاء کلمة الکفر ولان قتلاکم فی الجنة وقتلاهم فی النار او هی بشارة لهم فی العلو والغلبة ای وانتم الاعلون فی العاقبة وان جندنا لهم الغالبون ان کنتم مؤمنین متعلق بالنهی یعنی ولا تهنوا ان صح ایمانکم علی ان صحة الایمان توجب قوة القلب والثقة بصنع الله وقلة المبالاة باعدائه او بالاعلون ان کنتم مصدقین بما یعدکم الله ویبشرکم به من الغلبة قرح قرئ بفتح القاف وضمها وهما لغتان کالضعف والضعف وقیل هو بالفتح الجراح وبالضم المها وقرأ ابو السمال قرح بفتحتین وقیل القرح والقرح کالطرد والطرد والمعنی ان نالوا منکم یوم احد فقد نلتم منهم قبله یوم بدر ثم لم یضعف ذلک قلوبهم ولم یثبطهم عن معاودتکم بالقتال فانتم اولی ان لا تضعفوا ونحوه فانهم یالمون کما تالمون وترجون من الله ما لا یرجون وقیل کان ذلک یوم احد وقد نالوا منهم قبل ان یخالفوا امر رسول الله صلی الله علیه وسلم کیف قیل قرح مثله وما کان قرحهم یوم احد مثل قرح المشرکین بلی کان مثله ولقد قتل یومئذ خلق من الکفار الا تری الی قوله تعالی ولقد صدقکم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتی اذا فشلتم وتنازعتم فی الامر وعصیتم من بعد ما اراکم ما تحبون وتلک الایام مبتدا والایام

صفة وتداولها خبر ويجوز ان يكون تلك الايام مبتدا وخبر كما تقول هي الايام تبلي
كل جديد والمراد بالايام اوقات الظفر والغلبة نداولها نصرفها بين الناس نديل
تارة لهولاء وتارة لهولاء كقوله وهو من ابيات الكتاب فيوما علينا ويوما لنا ويوما
نساء ويوما نسر وفي امثالهم الحرب سجال وعن ابي سفيان انه صعد الجبل يوم احد
فمكث ساعة ثم قال اين ابن ابي كبشة اين ابن ابي قحافة اين ابن الخطاب فقال عمر هذا
رسول الله وهذا ابو بكر وها انا عمر فقال ابو سفيان يوم بيوم والايام دول والحرب
سجال فقال عمر لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال انكم تزعمون ذلك
فان يكن كذلك فقد خبنا اذا وخسرنا والمداولة مثل المعاورة قال يرد المياه
فلا يزال مداولا في الناس بين نهل وعلل يقال داولت بينهم الشي فتداولوه و
ليعلم الله الذين امنوا منكم فيه وجهان احدهما ان يكون المعلل محذوفا معناه وليتميز
الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك وهو من باب التمثيل بمعنى فعلنا
ذلك فعل من يريد ان يعلم من الثابت على الايمان منكم من غير الثابت والا فالله عز
وجل لم يزل عالما بالاشيا قبل كونها وقيل معناه وليعلم علما يتعلق به الجزا وهو ان
يعلمهم موجودا منهم الثبات والثاني ان يكون العلة محذوفة وهذا عطف عليه معناه
وفعلنا ذلك ليكون كيت وكيت وليعلم الله وانما حذف للايذان بان المصلحة فيما
فعل ليست بواحدة ليسليهم عما جرى عليهم وليبصرهم ان العبد ليسوءه ما جرى
عليه من المصايب ولا يشعر ان لله في ذلك من المصالح ما هو غافل عنه ويتخذ منكم شهداء
وليكرم منكم ناسا بالشهادة يريد المستشهدين يوم احد او ويتخذ منكم من يصلح للشهادة
على الامم يوم القيمة بما يبتلي به صبركم على الشدايد من قوله تعالى لتكونوا شهداء على

الناس والله لا يحب الظالمين اعتراض بين بعض التعليل وبعض ومعناه والله لا يحب من
ليس من هولاء الثابتين على الايمان المجاهدين في سبيله الممحصين من الذنوب والتمحيص التطهير من
الذنوب والتصفية ويمحق الكافرين ويهلكهم ان كانت الدولة على المومنين فللتميز
والاستشهاد والتمحيص وغير ذلك مما هو اصلح لهم وان كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو
اثارهم ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها للانكار ولما يعلم الله بمعنى ولما تجاهدوا لان العلم
متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لانه منتف بانتفايه يقول الرجل ما علم الله
في فلان خيرا يريد ما فيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم الا ان فيه ضربا من التوقع فدل
على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل وتقول وعدني ان يفعل كذا و
لما يفعل تريد ولم يفعل وانا اتوقع فعله وقرئ ولما يعلم الله بفتح الميم اراد النون
الخفيفة ولما يعلمن فحذفها ويعلم الصابرين نصب باضمار ان والواو بمعنى الجمع كقولك
تاكل السمك وتشرب اللبن وقرا الحسن بالجزم على العطف وروى عبد الوارث عن ابي عمرو
ويعلم بالرفع على ان الواو للحال كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد
كنتم تمنون الموت خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا فكانوا يتمنون ان يحضروا مشهدا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا من كرامة الشهادة ما نال شهداء بدر وهم
الذين الحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى المشركين وكان رايه
الاقامة بالمدينة يعني وكنتم تمنون الموت قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة
مقاساته فقد رايتموه وانتم تنظرون اي رايتموه معاينين مشاهدين له حين قتل
بين ايديكم من قتل من اخوانكم واقاربكم وشارفتم ان تقتلوا وهذا توبيخ لهم على
تمنيهم الموت وعلى تسببهم لخروج رسول الله بالحاحهم عليه ثم انهزموا عنه وقلة

كيف يجوز تمني الشهادة وفي تمنيها غلبة الكافرين للمسلمين فقد نباتهم عنه

متمني الشهادة الي نيل كرامة الشهداء لا غير ولا يذهب وهله الي ذلك المتضمن كما

ان من شرب دواء الطبيب النصراني قاصدا الي حصول المامول من الشفاء ولا يخطر بباله

ان فيه جر منفعة واحسان الي عدو الله وتنفيقا لصناعته ولقد قال عبد الله بن رواحة

رضي الله عنه حين نهض الى موتة في سرية وقيل له ردكم شعر لكنني اسال الرحمن مغفرة

وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا وطعنة بيدي حران مجهزة بحربة تنفذ الاحشاء و

الكبدا حتى يقولوا اذا مروا على جدثي ارشدك الله من غاز وقد رشدا

لما رمى عبد الله بن قمية الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر وكسر رباعيته

وشج وجهه واقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر

ويوم احد حتى قتله ابن قمية وهو يرى انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت

محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل وقيل كان الصارخ الشيطان ففشا في الناس

خبر قتله فانكفأوا وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الي عباد الله حتى انحازت

اليه طايفة من اصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يا رسول الله فديناك باباينا وامهاتنا

اتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فنزلت وروي انه لما صرخ الصارخ

قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن ابي ياخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس

من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن النضر

عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون

بالحياة بعد رسول الله صلعم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم

قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هولاء وابرا اليك مما جاء به هولاء ثم شد بسيفه

وقاتل حتى قتل قال انس بن مالك لقد وجدنا فيه سبعين ضربة ما عرفه الا اخته

عرفت ببيانه وعن بعض المهاجرين انه مر بانصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان اشعرت

ان محمدا قد قتل فقال ان كان قد قتل فقد بلغ فقاتلوا على دينكم والمعنى وما محمد

الا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا وكما ان اتباعهم بقوا متمسكين

بدينهم بعد خلوهم فعليكم ان تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض من بعثة الرسول

تبليغ والزام الحجة لا وجوده بين اظهر قومه افان مات الفاء معلقة للجملة الشرطية

بالجملة قبلها على معنى التسبيب والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا

لانقلابهم علي اعقابهم بعد هلاكه بموت او قتل مع علمهم ان خلو الرسل قبله

وبقاء دينهم متمسكا به يجب ان يجعل سببا للتمسك بدين محمد صلعم للانقلاب عنه

لم ذكر القتل وقد علم لا يقتل لكونه مجوزا عند

المخاطبين اما علمه من ناحية قوله والله يعصمك من الناس

هذا امما يختص بالعلماء منهم وذوي البصيرة الا ترى انهم سمعوا بخبر قتله فهربوا

علي انه يحتمل العصمة من فتنة الناس واضلالهم والانقلاب علي الاعقاب

والادبار عما كان رسول الله صلعم يقوم من امر الجهاد وغيره وقيل الارتداد

وما ارتد احد من المسلمين في ذلك اليوم الا ما كان من قول المنافقين ويجوز

ان يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف عن رسول

الله صلى الله عليه وسلم واسلامه فلن يضر الله شيئا يعني فما ضر الا نفسه لان

الله تعالي لا يجوز عليه المضار والمنافع وسيجزي الله الشاكرين الذين لم

ينقلبوا كانس بن النضر واضرابه وسماهم شاكرين لانهم شكروا نعمة الاسلام

فيما فعلوا المعنى ان موت الانفس محال ان يكون الا بمشية الله واخرجه مخرج فعل
لا ينبغي لاحد ان يقدم عليه الا ان ياذن الله فيه تمثيلا ولان ملك الموت هو الموكل
بذلك فليس له ان يقبض نفسا الا باذن الله وهو على معنيين احدهما تحريضهم على
الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو باعلامهم ان الحذر لا ينفع وان احدا لا يموت قبل
بلوغ اجله وان خاض المهالك واقتحم المعارك والثاني ما صنع الله برسوله عند
غلبة العدو والتفافهم عليه واسلام قومه له نهزة المختلس من الحفظ والكلاءة
وتاخير الاجل كتابا مصدر موكد لان المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا موقتا
له اجل معلوم لا يتقدم ولا يتاخر ومن يرد ثواب الدنيا تعريض بالذين شغلتهم
الغنائم يوم احد نؤته منها اي من ثوابها وسنجزي الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة
فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وقرئ يؤته وسيجزي بالياء فيهما وقرئ قاتل وقتل وقتّل
بالتشديد والفاعل ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه بمعنى قاتلا معه ربيون
وقراءة بالتشديد تنفر الوجه الاول عن سعيد بن جبير ما سمعنا بنبي قتل
في القتال والربيون الربانيون وقرئ بالحركات الثلث بالفتح على القياس والضم
والكسر من تغييرات النسب وقرئ فما وهنوا بكسر الهاء والمعنى فما وهنوا
عند قتل النبي صلعم وما ضعفوا عن الجهاد بعده وما استكانوا للعدو وهذا
تعريض بما اصابهم من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول صلعم و
بضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حتى ارادوا ان
يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابي في طلب الامان من ابي سفيان وما كان
قولهم الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين

هضما لها واستقصارا والدعاء بالاستغفار منها مقدما على تثبيت طلب الاقدام
في مواطن الحرب والنصر على العدو ليكون طلبهم الى ربهم وخضوع اقرب الى الاستجابة
فاتاهم الله ثواب الدنيا من النصرة والغنيمة وطيب الذكر وخص ثواب الاخرة
بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وانه هو المعتد به عنده تريدون عرض الدنيا
والله يريد الاخرة ان تطيعوا الذين كفروا قال علي رضي الله عنه نزلت في قول
المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وعن
الحسن ان تستنصحوا اليهود والنصارى وتقبلوا منهم لانهم كانوا يستغوونهم و
يوقعون لهم الشبهة في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما اصابه
ما اصابهم وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه وعن السدي
ان تستكينوا لابي سفيان واصحابه وتستامنوهم يردوكم الى دينهم وقيل
هو عام في جميع الكفار وان على المؤمنين ان يجانبوهم ولا يطيعوهم في شيء
ولا ينزلوا على حكمهم ومشورتهم حتى لا يستجروهم الى موافقتهم بل الله مولاكم
اي ناصركم ولا تحتاجون معه الى نصرة احد وولايته وقرئ بالنصب على
بل اطيعوا الله مولاكم سنلقي وقرئ بالنون والياء والرعب بسكون العين
وضمها قيل قذف الله في قلوب المشركين الخوف يوم احد فانهزموا
الى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا الى مكة فلما
كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن
قاهرون ارجعوا فاستاصلوهم فلما عزموا على ذلك القى الله الرعب
في قلوبهم فامسكوا بما اشركوا بسبب اشراكهم اي كان السبب في القاء الله

الرعب في قلوبهم اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا آلهة لم ينزل الله باشراكها
حجة كان هناك حجة حتى ينزلها الله فيصح لهم الاشتراك

لم يرد ان هناك حجة الا انها لم تنزل عليهم لان الشرك لا يستقيم ان تقوم عليه
حجة وانما المراد نفي الحجة ونزولها معا كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر ولقد صدقكم
وعده وعدهم الله النصر بشرط الصبر والتقوى في قوله ان تصبروا وتتقوا
ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ويجوز ان يكون الوعد قوله سنلقي في قلوب
الذين كفروا الرعب فلما فشلوا وتنازعوا لم يرعبوهم وقيل لما رجعوا الى
المدينة قال ناس من المؤمنين من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل احدا خلف ظهره واستقبل
المدينة واقام الرماة عند الجبل وامرهم ان يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت
الدولة للمسلمين او عليهم فلما اقبل المشركون جعل الرماة يرشقون
خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم
تحسونهم اي تقتلونهم قتلا ذريعا حتى اذا فشلتم والفشل الجبن وضعف
الرأي وتنازعوا فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا ههنا وقال
بعضهم لا نخالف امر رسول الله صلعم فممن ثبت مكانه عبد الله بن جبير
امير الرماة في نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله ومنكم من يريد الآخرة
ونفر تركوا مواضعهم طلبا للنهب وهم الذين ارادوا الدنيا فكر المشركون
بالرماة وقتلوا عبد الله بن جبير واقبلوا على المسلمين وحالت الريح دبورا
وكانت صبا حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله ثم صرفكم عنهم

ليبتليكم ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم على الاسلام عندها ولقد عفا
عنكم لما علم من ندمكم على ما فرط منكم من عصيان امر رسول الله صلعم والله
ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو وهو متفضل عليهم في جميع الا
حوال سواء اديل لهم او اديل عليهم لان الابتلاء رحمة كما ان النصرة رحمة اين
متعلق حتى اذا محذوف تقديره حتى اذا فشلتم منعكم نصره و
يجوز ان يكون المعنى صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم اذ تصعدون نصب
بصرفكم او بقوله ليبتليكم او باضمار اذكروا والاصعاد الذهاب في الارض والابعاد
فيها يقال صعد في الجبل واصعد في الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة و
قرأ الحسن تصعدون يعني في الجبل وتعضد الاولى قراءة ابي اذ تصعدون
في الوادي وقرأ ابو حيوة تصعّدون بفتح التاء وتشديد العين من تصعّد
في السلم وقرأ الحسن تلون بواو واحدة وقد ذكرنا وجهها وقرئ يصعدون
ويلوون بالياء والرسول يدعوكم كان يقول الي عباد الله الي عباد الله انا رسول
الله من يكر فله الجنة في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى وهي المتأخرة يقال
جئت في آخر الناس واخراهم كما تقول في اولهم واولاهم بتأويل مقدمتهم و
جماعتهم الاولى فاثابكم عطف على صرفكم اي فجازاكم الله غما حين صرفكم عنهم
وابتلاكم بسبب غم اذقتموه رسول الله بعصيانكم له او غما مضاعفا غما بعد غم
وغما متصلا بغم من الاغتمام بما ارجف به من قتل رسول الله صلعم والجرح و
القتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر لكيلا تحزنوا لتتمرنوا على تجرع الغموم
وتضروا باحتمال الشدائد ولا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على

مصيبٌ من المضار ويجوز ان يكون الضمير في فاثابكم للرسول اي فآساكم في الاغتمام
وكما غمكم ما نزل به من كسر الرباعية والشجة وغيرهما غمه ما نزل بكم فاثابكم
غما اغتمه لاجلكم بسبب غمٍ اغتممتوه لاجله ولم يثربكم علي عصيانكم ومخالفتكم لامره
وانما فعل ذلك ليسليكم وينفس عنكم ليلا تحزنوا علي ما فاتكم من نصر الله ولا ما
اصابكم من غلبة العدو وانزل الله الامن علي المومنين وازال عنهم الخوف الذي
كان بهم حتى نعسوا وغلبتهم النوم عن ابي طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافنا
فكان السيف يسقط من يد احدنا فياخذه ثم يسقط فياخذه وما احد الا
يميل تحت حجفته وعن الزبير ولقد رايتني مع رسول الله صلعم حين اشتد علينا
الخوف فارسل الله علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس
يغشاني يقول لو كان لنا من الامر ما قتلنا هاهنا والامنة الامن وقرئ امْنة
بسكون الميم كانها المرة من الامن ونعاسا بدل من امنة ويجوز ان يكون هو المفعول
وامنة حالا لانه مقدمة عليه كقولك رايت رجلا راكبا او مفعولا له بمعنى نعستم
امنة ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع آمن كبار
وبررة ويغشى قرئ بالياء والتاء ردا على النعاس او على الامنة طايفة منكم هم
اهل الصدق واليقين وطايفة هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم ما بهم الا
هم انفسهم لا هم الدين ولا هم رسول الله والمومنين او قد اوقعتهم انفسهم
وما حل بهم من الهم والاشجان فهم في التشاكي والتباث غير الحق في حكم المصدر
ومعناه تظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به وظن الجاهلية
بدل منه ويجوز ان يكون المعنى تظنون بالله ظن الجاهلية وغير الحق تاكيد

ليظنون لقولك هذا القول غير ما تقول وهذا القول لا قولك وظن الجاهلية
كقولك حاتم الجود ورجل صدق تريد الظن المختص بالله الجاهلية ويجوز
ان يراد ظن اهل الجاهلية اي لا يظن مثل ذلك الظن الا اهل الشرك الجاهلون
بالله يقولون لرسول الله يسلونه هل لنا من الامر من شيء معناه هل لنا معاشر
المسلمين من امر الله نصيب قط يعنون النصر والاظهار علي العدو قل ان
الامر كله لله ولاوليائه المومنين وهو النصر والغلبة كتب الله لاغلبن انا
ورسلي وانا جندنا لهم الغالبون يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك
معناه يقولون لك فيما يظهرون هل لنا من الامر من شيء سوال المومنين المسترشدين
وهم فيما يبطنون علي النفاق يقولون في انفسهم او بعضهم لبعض منكرين لقولك
لهم ان الامر كله لله ولاوليائه لو كان لنا من الامر شيء اي لو كان الامر كما قال
محمد ان الامر كله لله ولاوليائه وانهم الغالبون لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين
من قتل في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم يعني من علم الله منه انه يقتل
ويصرع في هذه المصارع وكتب ذلك في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعد
تم في بيوتكم لبرز من بينكم الذين من علم الله انهم يقتلون الي مضاجعهم وهي
مصارعهم ليكون ما علم الله انه يكون والمعنى ان الله كتب في اللوح من يقتل
من المومنين وكتب مع ذلك انهم الغالبون لعلمه ان العاقبة في الغلبة لهم
وان دين الاسلام يظهر علي الدين كله وان ما ينكبون به في بعض الاوقات
تمحيص لهم وترغيب في الشهادة وحرصهم علي الشهادة ومما يحرضهم علي القتال
فتحصل الغلبة وقيل معناه هل لنا من التدبير من شيء يعنون لم نملك شيئا من

التدبير حيث خرجنا من المدينة الى احد وكان علينا ان نقيم ولا نبرح كما كان
راي عبد الله بن ابي وغيره ولو ملكنا من التدبير شيئا لما قتلنا في هذه المعركة
قل ان التدبير كله لله يريد ان الله عز وعلا قد دبر الامر كما جرى ولو اقمتم
بالمدينة ولم تخرجوا من بيوتكم لما نجا من القتل من قتل منكم وترى كتب عليهم
القتال وكتب عليهم القتل على البناء للفاعل ولبرز بالتشديد وضم البآء و
ليبتلي الله وليمتحن ما في صدور المؤمنين من الاخلاص ويمحص ما في قلوبهم
من وساوس الشيطان او فعل ذلك لمصالح جمة وللابتلاء والتمحيص
كيف موقع الجمل التي بعد قوله وطائفة　　　　قد اهمتهم صفة لطائفة و
يظنون صفة اخرى او لحال بمعنى قد اهمتهم انفسهم ظانين او استيناف على
وجه البيان للجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون　　　　كيف صح ان يقع ما
هو مسئلة عن الامر بدلا من الاخبار بالظن　　　　كانت مسئلتهم صادرة
عن الظن فلذلك جاز ابداله منه ويخفون حال من يقولون وقل ان الامر
كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال ويقولون بدل من يخفون والاجود
ان يكون استينافا استزلهم طلب منهم الزلل ودعاهم اليه ببعض ما كسبوا
من ذنوبهم ومعناه ان الذين انهزموا يوم احد كان السبب في توليتهم
انهم كانوا اطاعوا الشيطان فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعتهم التاييد وتقوية
القلوب حتى تولوا وقيل استزلال الشيطان اياهم هو التولي وانما دعاهم اليه
بذنوب قد تقدمت لهم لان الذنب يجر الى الذنب كما ان الطاعة تجر الى
الطاعة ويكون لطفا فيها وقال الحسن استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة

وقيل ببعض ما كسبوا تركهم المركز الذي امرهم رسول الله صلعم بالثبات فيه
فجرهم ذلك الى الهزيمة وقيل ذكرهم تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله معها فاخروا الجهاد
حتى يصلحوا امرهم ويجاهدوا على حال مرضية　　　　لما قيل ببعض ما كسبوا
كقوله تعالى ويعفوا عن كثير ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم والله غفور للذنوب
حليم لا يعاجل بالعقوبة وقالوا لاخوانهم اي لاجل اخوانهم كقوله وقال الذين كفروا للذين
آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ومعنى الاخوة اتفاق الجنس او النسب اذا ضربوا في الارض
اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها او كانوا غزا جمع غاز كعاف وعفى في قوله
كما عفى الكلاب اجوت وقرى بتخفيف الزاء على حذف التاء من غزاة　　　　كيف
قيل اذا ضربوا في الارض مع قالوا　　　　هو على حكاية الحال الماضية
كقولك حين يضربون في الارض　　　　بما يتعلق ليجعل　　　　اي قالوا ذلك
واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم على ان اللام مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا
ولا تكونوا بمعنى لا يكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعله الله حسرة
في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم　　　　ما معنى اسناد الفعل الى الله تع
معناه ان الله عز وجل عند اعتقادهم ذلك المعتقد الفاسد يضع الغم
والحسرة في قلوبهم ويضيق صدورهم عقوبة فاعتقادهم فعلهم وما يكون عنه
من الغم والحسرة وضيق الصدر فعل الله عز وعلا لقوله تعالى يجعل صدره
ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى ما دل
عليه النهي اي لا يكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم لان مخالفتهم
فيما يقولون ويعتقدون في مضادتهم مما يغمهم ويغيظهم فالله يحيي ويميت رد

لقولهم اى الامر بيده وتذكير المسافر والغازى ويميت المتم والقاعد وكما نيا

وعن خالد بن الوليد انه قال عند موته ما في موضع شبر الا وفيه طعنة او ضربة

وها انا ذا اموت كما يموت العير فلا نامت اعين الجبناء والله بما تعملون بصير فلا

تكونوا مثلهم وقرئ بالياء يعني الذين كفروا والمغفرة جواب القسم وهو ساد مسد جواب

الشرط وكذلك لالى الله تحشرون كذب الكافرين اولاً في زعمهم ان من سافر

من اخوانهم او غزا لو كانوا بالمدينة لما مات ونهى المسلمين عن ذلك لانه سبب

التقاعد عن الجهاد ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت او

القتل في سبيل الله فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل خير مما

تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وعن ابن عباس خير من طلاع الارض

ذهبة حمراء وقرئ بالياء اى يجمع الكفار لالى الله تحشرون لالى الرحيم

هذا الموقع مع تقديمه وادخال اللام على الحرف المتصل به شان ليس بالخفي

وقرئ متم بضم الميم وكسرها من مات يموت ومات يمات ما مزيد للتاكيد

والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله ونحوه فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم

ومعنى الرحمة ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم حتى اثابهم غماً بغم و

اساءتهم بالمبالاة بعد ما خالفوه وعصوا امره وانهزموا وتركوه ولو كنت فظاً

جافياً غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك لا يبقى حولك احد منهم

فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم وشاورهم

في الامر يعني امر الحرب ونحوها مما لم ينزل عليك فيه وحي لتستظهر برأيهم ولما فيه من

تطييب نفوسهم والرفع من اقدارهم وعن الحسن انه قد علم الله انه ما به اليهم حاجة ولكنه

اراد ان يستن به من بعده وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما تشاور قوم قط الا هدوا

الارشد امرهم وعن ابي هريرة ما رايت احدا اكثر مشاورة من اصحاب رسول الله صلى

الله عليه وسلم وقيل سادات العرب كانوا اذا لم يشاوروا في الامر شق عليهم فامر رسول الله

بمشاورة اصحابه لئلا يثقل عليهم استبداده بالراي دونهم وقرئ وشاورهم في بعض الامر

فاذا عزمت فاذا قطعت الراي على شيء بعد الشورى فتوكل على الله في امضاء امرك

على الارشد الاصلح فان ما هو اصلح لك لا يعلمه الا الله لا انت ولا من تشاور وقرئ فاذا

عزمت بضم التاء يعني فاذا عزمت لك على شيء وارشدتك اليه فتوكل على الله ولا

تشاور بعد ذلك احدا ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا احد يغلبكم وان

يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم وهذا تنبيه على ان الامر كله

وعلى وجوب التوكل عليه ونحوه ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك

فلا مرسل له من بعده من بعد خذلانه وقرأ عبيد بن عمير وهو من قولك ليس لك

من يحسن اليك بعد فلان تريد اذا جاوزته وقرأ عبيد بن عمير وان يخذلكم

من اخذله اذا جعله مخذولاً وفيه ترغيب في الطاعة وفيما يستحقون به النصر

من الله والتاييد وتحذير من المعصية ومما يستوجبون به العقوبة والخذلان

وعلى الله وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض اليه لعلمهم انه لا ناصر لهم

سواه ولان ايمانهم يوجب ذلك ويقتضيه يقال غل شيئا من المغنم غلولاً واغل

اغلالاً اذا اخذه في خفية يقال اغل الجازر اذا سرق من اللحم شيئا مع الجلد والغل

الحقد الكامن في الصدر ومنه قوله عليه السلام من بعثناه على عمل فغل شيئا جاء يوم

الغنيمة يحمله على عنقه وقوله هذا ايها الولاة غلول ومنه ليس على المستعير غير المغل ضمان ومنه لا اغلال ولا اسلال ويقال اغل اذا وجد غالاً كقولك ابخلته واجبنته ومعنى وما كان لنبي ان يغل وما صح له ذلك ان النبوة تنافي الغلول وكذلك من قرا على البناء للمفعول فهو راجع الى معنى الاول لان معناه وما صح له ان يوجد الا هكذا غالا وفيه وجهان احدهما ان يبرئ رسول الله صلعم من ذلك وينزهه وينبه على عصمته بان النبوة والغلول متنافيان لئلا يظن به ظان شيئا منه وان لا يستريب به احد كما روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلعم اخذها وروي انها نزلت في غنائم احد حين ترك الرماة المركز وطلبوا الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلعم من اخذ شيئا فهو له وان لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم الا تتركوا المركز حتى ياتيكم امري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال عليه السلام بل ظننتم انا نغل ولا نقسم لكم والثاني ان يكون مبالغة في النهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما روي انه بعث طلائع فغنمت الغنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلت يعني وما كان لنبي ان يعطي قوما ويمنع اخرين بل عليه ان يقسم بالسوية وسمي حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الامر ولو قرى ان يغل من اغل يعني غل جائيات بما غل يوم القيمة يات بالشيء الذي غله بعينه يحمله كما جاء في الحديث جاء يحمله يوم القيمة على عنقه وروي الا لا اعرفن احدكم يوم القيمة ياتي ببعير له رغاء وبقرة لها خوار وشاة لها ثغاء تنادي يا محمد يا محمد فاقول لا املك لكم من الله شيئا

فقد

فقد بلغتك وعن بعض جفاة الاعراب انه سرق نافجة مسك فتليت عليه الاية فقال اذن احملها طيبة الريح خفيفة المحمل ويجوز ان يراد يات بما احتمل من وباله وتبعته واثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت ليتصل به جيء بعام دخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى وهو ابلغ واثبت لانه اذا علم الغال ان كل كاسب خيرا او شرا مجزي موفى جزاؤه علم انه غير متخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب وهم لا يظلمون اي يعدل بينهم في الجزاء كل جزاؤه على قدر كسبه هم درجات اي هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات كقوله انصب للمنية يعتريهم رجالي ام هم درج السيول وقيل ذوو درجات والمعنى تفاوت منازلهم ومنازل المعاقبين او التفاوت بين الثواب والعقاب والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها فمجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين على من امن مع رسول الله من قومه وخص المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون بمبعثه من انفسهم من جنسهم عربيا مثلهم وقيل من ولد اسمعيل كما انهم من ولده فان قلت ما وجه المنة عليهم في ان كان من انفسهم قلت اذا كان منهم كان اللسان واحدا فسهل اخذ ما يجب عليهم اخذه عنه وكانوا واقفين على احواله في الصدق والامانة فكان ذلك اقرب لهم الى تصديقه والوثوق به وفي كونه من انفسهم شرف لهم كقوله وانه لذكر لك ولقومك وفي قراءة رسول الله صلعم وقراءة فاطمة رضي الله عنها من انفسهم اي من اشرفهم لان عدنان ذروة ولد اسمعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة قريش محمد صلى الله عليه وسلم وفيما خطب به ابو طالب في تزويج خديجة رضي الله عنها وقد حضره بنو هاشم ورؤساء مضر الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع

اسمعيل من خيفى معد وعنصر مضر وجعلنا حضنه بيته وسوابن حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله من لا يوزن به فتى من قريش الارجح به وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقوى لمن من الله على المومنين لانبعث فيهم وفيه وجهان احدهما ان يراد لمن من الله على المومنين منه اوبعثه لانبعث فيهم فحذف لقيام الدلالة له او يكون لاذ في محل الرفع كاذ في قولك اخطب ما يكون الامير اذا كان قايما بمعنى لمن من الله على المومنين وقت بعثه يتلوا عليهم آياته بعد ما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي ويزكيهم ويطهرهم من دنس القلوب بالكفر ونجاسة ساير الجوارح بملابسة المحرمات والخبايث وقيل ما خذ منهم الزكوة ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة بعد ما كانوا اجهل الناس وابعدهم من دراسة العلم وان كانوا من قبل بعثة الرسول لفي ضلال ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينهما وبين النافية وتقديره ان الشان والحديث كانوا من قبل لفي ضلال مبين ظاهر لا شبهة فيه اصابتكم مصيبة يريد ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم قد اصبتم مثليها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين ولما نصب بقلتم واصابتكم في محل الجر باضافة لما اليه وتقديره اقلتم حين اصابتكم وانى هذا نصب لانه مقول و الهمزة للتقرير والتقريع علامة عطف الواو هذه الجملة على ما مضى من قصة احد من قوله ولقد صدقكم الله وعده ويجوز ان يكون معطوفة على محذوف كانه قيل افعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا انى هذا من اين هذا كقوله انى لك هذا هو من عند انفسكم وقوله من عند الله وللمعنى انتم السبب

فيما اصابكم لاختياركم الخروج من المدينة او لتخليتكم المركز وعن على رضي الله عنه لاخذكم الفدا من اسارى بدر قبل ان يوذن لكم ان الله على كل شي قدير فهو قادر على النصر وعلى منعه وعلى ان يصيب بكم تارة ويصيب منكم مرة اخرى وما اصابكم يوم احد يوم التقى الجمعان جمعكم وجمع المشركين فهو كاين باذن الله اي بتخليته استعار الاذن لتخليته الكفار وانه لم يمنعهم منهم ليبتليهم لان الاذن مخل بين المأذون له ومراده وليعلم وهو كاين لتمييز المومنين والمنافقين وليظهر ايمان هولاء ونفاق هولاء وقيل لهم من جملة الصلة عطف على نافقوا وانما لم يقل فقالوا لانه جواب لسوال اقتضاه دعا المومنين لهم الى القتال كانه قيل فماذا قالوا لهم فقيل قالوا لو نعلم ويجوز ان يكون نقتصر الصلة على نافقوا قيل لهم كلاما مبتداء قسم الامر بين ان يقاتلوا للآخرة كما يقاتل المومنين وبين ان يقاتلوا ان لم يكن بهم غم الآخرة دفعا عن انفسهم واهليهم واموالهم فابوا القتال وجحدوا القدرة عليه رأسا لنفاقهم ودغلهم وذلك ان ما روي ان عبد الله بن ابي انخزل مع حلفايه فقيل له فقال ذلك وقيل او ادفعوا العدو بتكثيركم سواد المجاهدين وان لم يقاتلوا لان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه وعن سهل بن سعد الساعدي وقد كف بصره لو امكنني لبعت داري ولحقت بثغر من ثغور المسلمين فكنت بينهم وبين عدوهم قيل وكيف وقد ذهب بصرك قال لقوله او ادفعوا اراد كثروا سوادهم وجه آخر وهو ان يكون معنى قولهم لو نعلم قتالا لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم يعنون ان ما انتم فيه لخطا رأيكم وزللكم عن الصواب ليس بشي ولا يقال لمثله قتال انما هو القاء بالانفس الى الهلاك لان راي عبد الله

كانا في الاقامة بالمدينة وما كانا يستشعرون الخروج هم للكفر يومئذ اقرب منهم
للايمان يعني انهم قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون بالايمان وما ظهرت منهم امارة
تؤذن بكفرهم فلما انخذلوا عن عسكر المومنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك
عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم
لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المسلمين بالانخذال تقوية للمشركين يقولون
بافواههم لا يتجاوز ايمانهم افواههم ومخارج الحروف منهم ولا تعي قلوبهم منه شيئا
وذكر الافواه مع القلوب تصوير لنفاقهم وان ايمانهم موجود في افواههم معدوم
في قلوبهم خلاف صفة المؤمنين مواطاة قلوبهم افواههم والله اعلم بما يكتمون
من النفاق وبما يجري بعضهم مع بعض من ذم المؤمنين وتجهيلهم وتخطئة رأيهم
والشماتة بهم وغير ذلك لانكم تعلمون بعض ذلك علما مجملا بامارات وانا اعلم
كله علم احاطة بتفاصيله وكيفياته الذين قالوا في اعرابه اوجه ان يكون نصبا
على الذم او على الرد على الذين نافقوا او رفعا على هم الذين نافقوا او على
الابدال من واو يكتمون ويجوز ان يكون مجرورا بدلا من الضمير في افواههم او
قلوبهم على وجود لضعف بالمادحات لاخوانهم لاجل اخوانهم من جنس المنافقين
المقتولين يوم احد واخوانهم في النسب في سكنى الدور وقعدوا اي قالوا
وقد قعدوا عن القتال لو اطاعنا اخواننا فيما امرناهم به من القعود ووافقونا
فيه لما قتلوا كما لم نقتل قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين معناه
قل ان كنتم صادقين في انكم وجدتم الى دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال
فجدوا الى دفع الموت سبيلا يعني ان ذلك الدفع غير مغن عنكم لانكم ان دفعتم

القتال الذي هو احد اسباب الموت لم تقدروا على دفع سائر اسبابه المبثوثة
ولا بد لكم من ان يتعلق بكم بعضها وروي انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا
فعلى كانوا صادقين في انهم دفعوا القتل عن انفسهم بالقعود فما معنى
قوله ان كنتم صادقين   معناه ان النجاة من القتل يجوز ان يكون سببها القعود
عن القتال وان يكون غيره وان اسباب النجاة كثيرة وقد يكون قتال الرجل سبب
نجاته ولو لم يقاتل لقتل فما يدريكم ان سبب نجاتكم القعود وانكم صادقون
في مقالتكم وما انكرتم ان يكون السبب غيره ووجه آخر ان كنتم صادقين في قولكم
لو اطاعونا وقعدوا ما قتلوا يعني انهم لو اطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين
كما قتلوا مقاتلين وقوله قل فادرءوا عن انفسكم الموت استهزاء بهم اي ان كنتم
رجالا دافعين لاسباب الموت فادرءوا جميع اسبابه حتى لا تموتوا ولا تحسبن
الخطاب لرسول الله او لكل احد وقرئ بالياء ولا يحسبن رسول الله ولا
يحسبن حاسب ويجوز ان يكون الذين قتلوا فاعلا ويكون التقدير ولا يحسبنهم
الذين قتلوا امواتا ولا تحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا   كيف جاز
حذف المفعول الاول   هو في الاصل مبتدأ فحذف كما حذف المبتدأ
في قوله احياء والمعنى هم احياء لدلالة الكلام عليهما وقرئ يحسبن بفتح السين
وقتلوا بالتشديد واحياء بالنصب على معنى بل احسبهم احياء عند ربهم مقربون
عنده ذوو زلفى كقوله فالذين عند ربك يرزقون مثل ما يرزق سائر الاحياء
يأكلون ويشربون وهو تأكيد لكونهم احياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم
برزق الله فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو التوفيق في الشهادة وما ساق اليهم من

جواز حذف احد مفعولي باب الحسبان مذهب الاخفش خلافا لسيبويه وقد ذكر ذلك في سورة النور قوله على معنى بل احسبهم احياء طعن ابو علي الفارسي فيه فقال لا يجوز ذلك لانه امر بالشك والامر بالشك غير جائز على الله تعالى ويمكن ان يجاب عنه بان الحسبان امر ظني وامر الله بالظن جائز لان تكليفنا جميع المجتهدات بالظن

الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم احياء مقربين معجّل لهم رزق الجنة ونعيمها
وعن النبي صلى الله عليه وسلم اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف
طير خضر تدور في انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب معلقة في
ظل العرش ويستبشرون باخوانهم المجاهدين من الذين لم يلحقوا بهم اي لم يقتلوا
فيلحقوا بهم من خلفهم يريد الذين من خلفهم قد بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم وقيل
لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم الا خوف عليهم بدل من الذين والمعنى ويستبشرون
بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم يبعثون آمنين يوم القيامة بشرهم
الله بذلك فهم مستبشرون به وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين
بعدهم على ازدياد الطاعة والجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء و
اصابة فضلهم واحماد لحال من يرى نفسه في خير فيتمنى مثله لاخوانه في الله وبشرى للمؤمنين
بالفوز في المآب وكرر يستبشرون ليعلق به ما هو بيان لقوله الا خوف عليهم ولا هم يحزنون
من ذكر النعمة والفضل وان ذلك اجر لهم على ايمانهم يجب في عدل الله وحكمته ان يحصل
لهم ولا يضيع وقرئ وان الله بالفتح على النعمة والفضل وبالكسر على الاستئناف وعلى
ان الجملة اعتراض وهي قراءة الكسائي ويعضدها قراءة عبد الله والله لا يضيع اجر
الذين استجابوا مبتدأ خبره للذين احسنوا صفة للمؤمنين او نصب على المدح و
روي ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا
بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلعم فاراد ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوة
فندب اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان وقال لا يخرجن معنا احد الا من حضر
يومنا بالامس فخرج صلعم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية

اميال وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب
في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت ومن في للذين احسنوا منهم للتبيين مثلها في قوله
تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان الذين استجابوا لله
والرسول قد احسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم وعن عروة بن الزبير قال قالت
لي عائشة رضي الله عنها ان ابويك لمن الذين استجابوا لله والرسول تعني ابا بكر والزبير
الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم روي ان ابا سفيان نادى عند انصرافه
من احد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم ان
شاء الله فلما كان القابل خرج ابو سفيان في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فالقى
الرعب في قلبه فبدا له ان يرجع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال
يا نعيم اني واعدت محمدا ان نلتقي بموسم بدر وان هذا عام جدب ولا يصلحنا
الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن فثبطهم ولك عندي عشرة من الابل فخرج
نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالرأي اتوكم في دياركم وقراركم
فلم يفلت منكم احد الا شريد افتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم
فوالله لا يفلت منكم احد وقيل مر بابي سفيان ركب من عبد القيس يريدون
المدينة للميرة فجعل لهم حمل بعير من الزبيب ان ثبطوهم وكره المسلمون الخروج
فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين
راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل وقيل هي الكلمة التي قالها ابراهيم الخليل
صلوات الله عليه حين القي في النار حتى وافوا بدرا واقاموا بها ثماني ليال وكانت معهم
تجارات فباعوها واصابوا خيرا ثم انصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ورجع ابو سفيان

الي مكة فنتي اهل مكة جيشه جيش السويق فقالوا انما خرجتم لتشربوا السويق
فالناس الاولون المثبطون والاخرون ابو سفيان واصحابه كيف قيل الناس انما كان
نعيم هو المثبط وحده قلت قيل ذلك لان من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل
ويلبس البرود وما له الا فرس واحد وبرد فرد ولانه حين قال ذلك لم يخل عن اناس
من اهل المدينة يضامونه ويصلون جناح كلامه ويثبطون مثل تثبيطه الام يرجع
المستكن في فزادهم الي المقول الذي هو ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كانه
قيل لهم هذا الكلام فزادهم ايمانا او الي مصدر قالوا كقولك من صدق كان خيرا
له او الي الناس اذا اريد به نعيم وحده كيف زادهم نعيم او مقوله ايمانا
لما لم يسمعوا قوله ولخلصوا عنده النية والعزم علي الجهاد واظهروا حمية الاسلام كان
ذلك اثبت ليقينهم واقوي لاعتقادهم كما يزداد الايقان بتناصر الحجج ولان خروجهم
علي اثر تثبيطه الي وجهة العدو طاعة عظيمة والطاعات من جملة الايمان لان الايمان
اعتقاد واقرار وعمل وعن ابن عمر قلنا يا رسول الله ان الايمان يزيد وينقص قال نعم
يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وعن عمر انه كان
ياخذ بيد الرجل فيقول قم بنا نزدد ايمانا وعنه لو وزن ايمان ابي بكر بايمان هذه
الامة لرجح به حسبنا الله محسبنا انه اي كافينا الله يقال احسبه الشي اذا كفاه والدليل
علي انه بمعنى المحسب انك تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لان اضافته لكونه
في معنى اسم الفاعل غير حقيقية ونعم الوكيل ونعم الموكول عليه هو الله فانقلبوا فرجعوا
من بدر بنعمة من الله وهي السلامة وحذر العدو منهم وفضل وهو الربح في التجارة
كقوله ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم لم يمسسهم سوء لم يلقوا ما يسوءهم

من كيد عدو واتبعوا رضوان الله بجراءتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل
عليهم بالتوفيق فيما فعلوا وفي ذلك تحسير لمن تخلف عنهم واظهار لخطاء رايهم حيث حرموا
انفسهم ما فاز به هولاء وروي انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب
الغزو ورضي عنهم الشيطان خبر ذلك بمعنى انما ذلكم المثبط هو الشيطان ويخوف اولياءه
جملة مستانفة بيان لشيطنته والشيطان صفة لاسم الاشارة ويخوف الخبر والمراد
بالشيطان نعيم وابو سفيان ويجوز ان يكون علي تقدير حذف المضاف بمعنى انما ذلكم
قول الشيطان اي قول ابليس لعنه الله يخوف اولياءه اي يخوفكم اولياءه الذين هم
ابو سفيان واصحابه ويدل عليه قراءة ابن عباس وابن مسعود يخوفكم اولياءه قوله فلا
تخافوهم وقيل يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله صلعم فالام
يرجع الضمير في فلا تخافوهم علي هذا التفسير الي الناس في قوله ان الناس
قد جمعوا لكم فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافون فجاهدوا مع رسول
الله وسارعوا الي ما يامركم به ان كنتم مومنين يعني ان الايمان يقتضي ان توثروا خوف
الله علي خوف الناس فلا تخشون احدا الا الله يسارعون في الكفر يقعون فيه
سريعا ويرغبون فيه اشد رغبة وهم الذين نافقوا من المتخلفين وقيل هم قوم ارتدوا
عن الاسلام فما معنى قوله ولا يحزنك ومن حق الرسول ان يحزن بنفاق من نافق
وارتداد من ارتد معناه فلا يحزنك خوف ان يضروك ويعينوا عليك الا ترى
قوله انهم لن يضروا الله شيئا يعني انهم لا يضرون بمسارعتهم في الكفر غير انفسهم وما
وبال ذلك عائد الي غيرهم ثم بين كيف يعود وباله عليهم بقوله يريد الله ان لا يجعل لهم
حظا في الاخرة اي نصيبا من الثواب ولهم بدل الثواب عذاب عظيم وذلك اعظم

ماضرب الاشان ثنيه . هلا قيل لايجعل الله لهم حظا في الآخرة واي فايدة
في ذكر الارادة . فايدته الاشعار بان الداعي الي حرمانهم وتعذيبهم
قد خلص خلوصا لم يبق معه صارف قط حين سارعوا في الكفر تنبيها علي تماديهم في
الطغيان وبلوغهم الغاية فيه حتي ان ارحم الراحمين يريد ان لا يرحمهم ان الذين اشتروا الكفر
بالايمان اما ان يكون تكريرا لذكرهم للتاكيد والتسجيل عليهم بما اضاف اليهم واما ان
يكون عاما للكفار والاول خاصا فيمن نافق من المتخلفين وارتد عن الاسلام او
علي العكس وشيئا نصب علي المصدر لان المعني شيئا من الضرر وبعض الضرر
الذين كفروا فيمن قرأ بالتاء نصب وانما نملي لهم خير لانفسهم بدل منهم اي ولا
تحسبن انما نملي للكافرين خير لهم وان مع ما في حيزه ينوب عن المفعولين كقوله ام تحسب
ان اكثرهم يسمعون وما مصدرية بمعني ولا تحسبن ان املانا خير لهم وكان حقها
في قياس علم الخط ان تكتب مفصولة وقد كتبت في الامام متصلة فلا تخالف وتتبع
سنة الامام في خط المصاحف . كيف صح مجي البدل ولم يذكر الا احد المفعولين
ولا يجوز الاقتصار بفعل الحسبان علي مفعول واحد . صح ذلك من حيث ان
التعويل علي البدل والمبدل منه في حكم المنحي الا تراك تقول جعلت متاعك بعضه فوق
بعض مع امتناع سكوتك علي متاعك ويجوز ان يقدر مضاف محذوف علي ولا
تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن حال
الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم ومن قرأ بالياء رفع والفعل متعلق
بان وما في حيزه والاملاء لهم تخليتهم وشانهم مستعار من املي لفرسه اذا ارخي له
الطول ليرعي كيف شاء وقيل هو امهالهم واطالة عمرهم والمعني ولا تحسبن ان الاملاء

خير لهم من منعهم او قطع اجالهم انما نملي لهم ما هذه حقها ان تكتب متصلة لانها كافة
دون الاولي وهذه جملة مستانفة تعليل للجملة قبلها كانه قيل ما بالهم يحسبون الاملاء
خيرا لهم فقيل انما نملي لهم ليزدادوا اثما . كيف جاز ان يكون ازديادهم الاثم
غرضا لله تعالي في املائه لهم . هو علة للاملاء وما كل علة بغرض الا تراك
تقول قعدت عن الغزو للعجز والفاقة وخرجت من البلد لمخافة الشر وليس
شي منها بغرض لك وانما هي علل واسباب وكذلك ازدياد الاثم جعل علة للامهال
وسببا فيه . كيف يكون ازدياد الاثم علة للاملاء كما كان العجز علة للقعود
عن الحرب . لما كان في علم الله المحيط بكل شي انهم يزدادون اثما فكان
الاملاء وقع من اجله وبسببه علي طريق المجاز وقرأ يحيي بن وثاب بكسر الاولي
وفتح الثانية ولا تحسبن بالياء علي معني ولا تحسبن الذين كفروا ان املاءنا لازدياد
الاثم كما يفعلون وانما هو ليتوبوا ويدخلوا في الايمان وقوله انما نملي لهم خير لانفسهم
اعتراض بين الفعل ومعموله ومعناه ان املاءنا خير لانفسهم ان عملوا فيه وعرفوا
انعام الله عليهم بتفسيح المدة وترك المعاجلة بالعقوبة . فما معني قوله ولهم
عذاب مهين علي هذه القراءة معناه ولا تحسبن ان املاءنا لزيادة الاثم والتعذيب
والواو للحال كانه قيل ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين اللام لتاكيد النفي
علي ما انتم عليه من اختلاط المؤمنين المخلصين والمنافقين حتي يميز الخبيث من الطيب
حتي يعزل المنافق عن المخلص وقرئ يميز من ميز وفي رواية عن ابن كثير يميز
من اماز بمعني ميز . لمن الخطاب في انتم . للمصدقين جميعا من اهل
الاخلاص والنفاق كانه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم علي الحال التي انتم

عليها من اختلاط بعضكم ببعض وانه لا يعرف مخلصكم من منافقكم على التقديرين جميعًا
حتى يميزهم منكم بالوحي الى نبيه واخباره باحوالكم ثم قال وما كان الله يطلعكم على
الغيب اي ما كان الله ليوتي احدًا منكم علم الغيوب فلا تتوهموا عند اخبار الرسول
بنفاق الرجل واخلاص الاخر انه يطلع على ما في القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها
وايمانها ولكن الله يرسل الرسول فيوحي اليه ويخبره بان بالغيب كذا وان فلانا
في قلبه النفاق وفلانا في قلبه الاخلاص فيعلم ذلك من جهة اخبار الله لا من جهة
اطلاعه على المغيبات ويجوز ان يراد لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب
بان يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها الا الخلص الذين امتحن الله قلوبهم
كبذل الارواح في الجهاد وانفاق الاموال في سبيل الله فيجعل ذلك عيارًا على عقايدكم
وشاهدًا لضمايركم حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض من طريق الاستدلال لا من
جهة الوقوف على ذات الصدور والاطلاع عليها فان ذلك مما استاثر الله به
وما كان الله ليطلع احدًا منكم على الغيب ومضمرات القلوب حتى
يعرف صحيحها من فاسدها مطلعا عليها ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيخبره
ببعض المغيبات فآمنوا بالله ورسله بان تقدروه حق قدره وتعلموه وحده
مطلعا على الغيوب وان تنزلوهم منازلهم بان تعلموهم عبادًا مجتبين لا يعلمون
الا ما علمهم الله ولا يخبرون الا بما اخبرهم الله به من الغيوب وليسوا من علم الغيب
في شيء وعن السدي قال الكافرون ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن
بالله منا ومن يكفر ولا يحسبن من قرا بالتاء قدر مضافا محذوفا اي ولا
تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذلك من قرا بالياء وجعل يحسبن ضمير

رسول الله او ضمير احد ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان المفعول الاول
عنده محذوفا تقديره ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم هو خيرا لهم والذي سوغ
حذفه دلالة يبخلون عليه وهو فصل وقرا الاعمش بغير هو سيطوقون تفسير
لقوله هو شر لهم اي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وفي امثالهم تقلدها
طوق الحمامة اذا جاء بهنة يسب بها ويذم وقيل يجعل ما بخل به من الزكاة
حية يطوقها في عنقه يوم القيمة تنهشه من راسه الى قدمه وتنقر راسه وتقول انا مالك
وعن النبي صلى الله عليه وسلم في مانع الزكوة يطوق بشجاع اسود وعن النخعي سيطوقون
بطوق من نار ولله ميراث السموات والارض اي وله ما فيهما مما يتوارثه اهلهما من
مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله ونحوه قوله تعالى فانفقوا
مما جعلكم مستخلفين فيه وقري بما يعملون بالتاء والياء على طريقة الالتفات وهي
ابلغ في الوعيد والياء على الظاهر فان ذلك اليهود حين سمعوا قول الله تعالى
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ولا يخلوا ان يقولوه عن اعتقاد ذلك او
استهزاء بالقرآن وايهما كان فالكلمة العظيمة لا يقدر قدرها متمردين في كفرهم
ومعنى سماع الله له انه لم يخف عليه وانه اعد له كفاءه من العذاب سنكتب
ما قالوا في صحايف الحفظة او سنحفظه او نثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب
كيف قال لقد سمع الله ثم قال سنكتب وهلا قيل ولقد كتبنا
ذكر وجود السماع اولا موكدًا بالقسم ثم قال سنكتب على جهة
الوعيد بمعنى لن يفوتنا ابدًا اثباته وتدوينه كما لن يفوتنا قتلهم الانبياء و
جعل قتلهم الانبياء قرينة له ايذانا بانهما في العظم اخوان وبان هذا ليس باول

ما ركبوه من العظايم وانهم اصلاء في الكفر ولهم فيه سوابق وان من قتل الانبياء لم
يستبعد منه الاجترآء على مثل هذا القول روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب
مع ابي بكر الصديق رضي الله عنه الى اليهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام
الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص اليهودي ان الله
فقير حين سالنا القرض فلطمه ابو بكر في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد
لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت ونحو
قولهم يد الله مغلولة ونقول ذوقوا وننتقم منهم بان نقول لهم يوم القيمة ذوقوا
عذاب الحريق كما اذقتم المسلمين الغصص تقال للمنتقم منه احسن وذق وقال ابو
سفيان لحمزة ذق عقق وقرا حمزة سيكتب بالياء على البناء للمفعول ويقول بالياء وقرا
الحسن والاعرج سيكتب بالياء وتسمية الفاعل وقرا ابن مسعود ويقال ذوقوا
ذلك اشارة الى ما تقدم من عقابهم وذكر الايدي لان اكثر الاعمال تزاول بهن فجعل
كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب فلم عطف قوله وان الله ليس
بظلام للعبيد على ما قدمت ايديكم وكيف جعل كونه غير ظلام للعبيد شريكا لاجترامهم
السيئات في استحقاق التعذيب معنى كونه غير ظلام للعبيد انه عادل عليهم و
من العدل ان يعاقب المسيء منهم ويثيب المحسن عهد الينا امرنا في التوراة
واوصانا بان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بهذه الآية خاصة وهو ان يرينا قربانا
تنزل نار من السماء فتاكله كما كان انبياء بني اسرائيل تلك آيتهم كان احدهم
يقرب القربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار من السماء فتاكله وهذه دعوى
باطلة وافتراء على الله لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان للرسول الآتي

به الا كونه آية ومعجزة فهو اذا وسائر الآيات سواء فلا يجوز ان يعينه الله تعالى
من بين الآيات وقد الزمهم الله ان انبياءهم جاؤوهم بالبينات الكثيرة التي اوجبت
عليهم التصديق وجاؤوهم ايضا بهذه الآية التي اقترحوها فلم قتلوهم ان كانوا
صادقين ان الايمان يلزمهم باتيانها وقرئ بقربان بضمتين ونظيره السلطان
فما معنى قوله وبالذي قلتم معناه وبمعنى الذي قلتموه من قولكم قربان تاكله
النار ومؤداه كقوله ثم يعودون لما قالوا اي لمعنى ما قالوا في مصاحف
اهل الشام وبالزبر وهي الصحف والكتاب المنير التوراة والانجيل والزبور
وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه وتكذيب اليهود وقرا
اليزيدي ذائقة الموت على الاصل وقرا الاعمش ذائقة الموت بطرح التنوين
مع النصب كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا كيف اتصل به قوله وانما توفون
اجوركم اتصاله به على ان كلكم تموتون لابد لكم من الموت ولا توفون
اجوركم على طاعتكم ومعاصيكم عقيب موتكم وانما توفونها يوم قيامكم من القبور
فهذا يوهم نفي ما يروى ان القبر روضة من رياض الجنة او حفرة
من حفر النار كلمة التوفية تزيل هذا الوهم لان المعنى توفية الاجور
وتكميلها تكون ذلك اليوم وما يكون قبل ذلك فبعض الاجور الزحزحة التنحية
والابعاد تكرير الزح وهو الجذب بعجلة فقد فاز فقد حصل له الفوز
المطلق المتناول لكل ما يراد ولا غاية للفوز وراء النجاة من سخط والعذاب
السرمد ونيل رضوان الله والنعيم المخلد اللهم وفقنا لما ندرك به عندك
الفوز في المآب وعن النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل

الجنة فلنذركم منية وسو يومن بالله واليوم الآخر ويأتي للناس ما يحبان
نوكي له وهذا تأمل للمحافظة على حقوق الله وحقوق العباد الدنيا
بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين فساده ورداءته
والشيطان هو المدلس الغرور وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن آثرها على الآخرة
فاما من طلب الآخرة فانها متاع بلاغ خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا انفسهم
على ما سيلقون من الاذى والشدائد والصبر عليها حتى اذا لقوها لقوها وهم
مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها
نفسه والبلاء في الانفس الاسر والقتل والجراح وما يرد عليها من انواع
المخاوف والمصائب وفي الاموال الانفاق في سبيل الله وما يقع فيها من الآفات
وما يسمعون من اهل الكتاب من المطاعن في الدين الحنيف وصد من اراد
الايمان وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الاشرف من هجائه لرسول الله صلعم
وتحريض المشركين ومن فنحاص ومن بني قريظة والنضير فان ذلك فان الصبر
والتقوى من عزم الامور او مما عزم الله ان يكون يعني ان ذلك عزمة من عزمات
لا بد لكم ان تصبروا وتتقوا واذ اخذ الله واذكر وقت اخذ الله ميثاق
اهل الكتاب ليبيننه للناس الضمير للكتاب اكد عليهم ايجاب بيان الكتاب
واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل اذا عزم عليه وقيل له لتفعلن فنبذوه
وراء ظهورهم فنبذوا الميثاق وتأكيده عليهم يعني لم يراعوه ولم يلتفتوا اليه
والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد ونقيضه وجعل نصب
عينيه والقى بين عينيه وكفى به دليلا على انه مأخوذ على العلماء ان يبينوا

الحق للناس وما علموه وان لا يكتموا منه شيئا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة
وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارهم او لجر منفعة من حطام دنيا او لتقية
مما لا دليل عليه ولا امارة او لبخل بالعلم وغيرة ان ينسب اليه غيرهم وعن النبي
صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن طاوس انه قال
لوهب اني ارى الله سوف يعذبك بهذه الكتب وقال والله لو كنت
نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرأيت ان الله سيعذبك وعن محمد بن كعب
لا يحل لاحد من العلماء ان يسكت على علمه ولا يحل لجاهل ان يسكت
على جهله حتى يسأل وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل
ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا وقرئ ليبيننه للناس
ولا يكتمونه بالياء لانهم غيب وبالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله وقضينا
الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض ولا تحسبن خطاب لرسول
الله صلعم واحد المفعولين الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا
تحسبنهم تأكيد تقديره لا تحسبنهم فائزين وقرئ لا تحسبن فلا يحسبنهم بضم
الباء على خطاب المؤمنين ولا يحسبن ولا يحسبنهم بالياء وفتح الباء فيهما على ان
الفعل للرسول وقرأ ابو عمرو وبالياء فيهما وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني
على الفعل للذين يفرحون والمفعول الاول محذوف على لا يحسبنهم الذين
يفرحون بمفازة يعني لا يحسبن انفسهم الذين يفرحون فائزين فلا يحسبنهم
تأكيد بما اتوا بما فعلوا واتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال الله انه كان
وعده مأتيا لقد جئت شيئا فريا وتدل عليه قراءة ابي يفرحون بما فعلوا وقرئ

ولله ملك السموات والارض والله على كل شيء قدير ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب

اتوا بمعنى اعطوا وعن علي رضي الله عنه بما اتوا وبمعنى مفازة من العذاب بنجاة
منه روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وسال اليهود عن شي مما في التوراة
فكتموا الحق واخبروه بخلافه وأروه انهم قد صدقوا واستحمدوا اليه وفرحوا
بما فعلوا فاطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما انزل من وعيدهم اي لا تحسبن
اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون ان تحمدهم بما لم يفعلوا
من اخبارك بالصدق عما سالتهم عنه ناجين من العذاب ويعني يفرحون بما
اوتوا بما اوتوا من علم التوراة وقيل يفرحون بما فعلوا من كتمان بعث
رسول الله ويحبون ان تحمدوا بما لم يفعلوا من اتباع دين ابرهيم عليه السلام
حيث ادعوا ان ابرهيم كان على اليهودية وانهم على دينه وقيل هم قوم
يتخلفون عن الغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قفل اعتذروا اليه
بتركهم الخروج وقيل هم المنافقون يفرحون بما اتوا من اظهار الايمان للمسلمين
ومنافقتهم وتوصلهم بذلك الى اغراضهم ويستحمدون اليهم بالايمان الذي لم
يفعلوا على الحقيقة لابطانهم الكفر ويجوز ان يكون شاملا لكل من ياتي
بحسنة فيفرح بها فرح اعجاب ويحب ان يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانة
والزهد وبما ليس فيه ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم وهو على
كل شي قدير فهو يقدر على عقابهم لايات لادلة واضحة على الصانع
وعظيم قدرته وباهر حكمته لاولي الالباب الذين يفتحون بصائرهم للنظر
والاستدلال والاعتبار ولا ينظرون اليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب
الفطر وفي النصائح الصغار املا عينيك من زينة هذه الكواكب واجلها

في جملة هذه العجايب متفكرا في قدرة مقدرها متدبرا حكمة مدبرها قبل ان يسافر
بك القدر ويحال بينك وبين النظر وعن ابن عمر رضي الله عنه قال قلت لعايشة رضي الله
عنها اخبريني باعجب ما رايت من رسول الله صلعم فبكت فاطالت ثم قالت كل امره
عجب اتاني في ليلتي فدخل في لحافي حتى الصق جلده بجلدي ثم قال يا عايشة هل
لك ان تاذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك واحب
هواك فقد اذنت لك فقام الى قربة ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء
ثم قام يصلي فقرا من القران وجعل يبكي حتى بلغت الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله
واثنى عليه وجعل يبكي حتى رايت دموعه قد بلغت الارض فاتاه بلال يوذنه
بصلاة الغداة فراه يبكي فقال له يا رسول الله اتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من
ذنبك وما تاخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال وما لي ان لا ابكي
وقد انزل الله علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض ثم قال ويل
لمن قراها ولم يتفكر فيها وروي ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتاملها وعن علي رضي الله عنه
ان النبي صلعم كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق
السموات والارض وحكي ان الرجل من بني اسرائيل كان اذا عبد الله ثلثين
سنة اظلته سحابة فعبدها فتى من فتيانهم فلم تظلله السحابة فقالت له امه لعلك
نظرت الى السماء مرة ولم تعتبر قال لعل قالت فما اوتيت الا من ذلك يذكرون الله
ذكرا دايبا على اي حال كانوا من قيام او قعود او اضطجاع لا يخلون بالذكر في اغلب
احوالهم وعن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة يوم العيد الى المصلى فجعلوا
يذكرون الله فقال بعضهم اما قال الله تعالى ويذكرون الله قياما وقعودا

وعلى جنوبهم فقاموا يذكرون الله على اى ذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم من احب
ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون في هذه الاحوال على حسب
استطاعتهم قال رسول الله صلعم لعمران بن الحصين صلى قايما فان لم يستطع فقاعدا
فان لم يستطع فعلى جنب تومي ايما وهذه الحجة للشافعي في اضجاع المريض على جنبه
كما في اللحد وعند ابي حنيفة انه يستلقي حتى اذا وجد خفة قعد ومحل على
جنوبهم نصب على الحال عطفا على ما قبله كانه قيل قياما وقعودا ومضطجعين و
يتفكرون في خلق السموات والارض وما تدل صنعتها عليه مما تدل عليه اختراع
هذه الاجرام من اختراع هذه الاجرام العظام وابداع صنعتها وما دبر فيها مما
تكل الافهام عن ادراك بعض عجايبه فيستدلون على عظم شان الصانع وكبرياء
سلطانه وعن سفيان الثوري انه صلى خلف المقام ركعتين ثم رفع راسه الى
السماء فلما راى الكواكب غشي عليه وكان يبول الدم من طول حزنه وفكرته وعن النبي
صلعم بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال
اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وقال النبي صلعم لا
عبادة كالتفكر وقيل الفكر تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث
الماء للزرع النبات وما جليت القلوب بمثل الاحزان والاستنارت بمثل
الفكرة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان
يرفع له في كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما ذلك للتفكر في امر الله الذي
هو عمل القلب لان احدا لا يقدر ان يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل اهل الارض
ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول اي يقولون ذلك وهو في محل الحال

بمعنى يتفكرون قايلين والمعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لداعي حكمة
عظيمة وهو ان تجعلها مساكن للمكلفين وادلة لهم على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب
معصيتك ولذلك وصل به قوله تعالى فقنا عذاب النار لانه جزاء من عصى ولم يطع
هذا اشارة الى ماذا الى الخلق على ان المراد به المخلوق كانه قيل ويتفكرون في
مخلوق السموات والارض اي فيما خلق منهما ويجوز ان يكون اشارة الى السموات والارض
لانها في معنى المخلوق كانه قيل ما خلقت هذا المخلوق العجيب باطلا وفي هذا ضرب من التعظيم
كقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويجوز ان يكون باطلا حالا من هذا وسبحانك اعتراض
للتنزيه من العبث وان تخلق شيئا لغير حكمة فقد اخزيته فقد ابلغت في اخزائه وهو نظير
قوله فقد فاز ونحو في كلامهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك ومن سبق فلانا فقد
سبق وما للظالمين اللام للاشارة الى من يدخل النار واعلام بان من يدخل النار فلا
ناصر له بشفاعة ولا غيرها تقول سمعت رجلا يقول كذا وسمعت زيدا يتكلم فتوقع
الفعل على الرجل وتحذف المسموع لانك وصفته بما يسمع او جعلته حالا عنه فاغناك عن ذكره
ولولا الوصف او الحال لم يكن منه بد وان يقال سمعت كلام فلان او قوله فاي
فايدة في الجمع بين المنادي وينادي ذكر النداء مطلقا ثم مقيدا بالايمان تفخيما لشان
المنادي ولانه لا منادي اعظم من مناد ينادي للايمان ونحوه قولك مررت بهاد يهدي
للاسلام وذلك ان المنادي اذا اطلق ذهب الوهم الى مناد للحرب او لاطفاء النائرة او
لاغاثة المكروب او للكفاية بعض النوازل او لبعض المنافع وكذلك الهادي قد يطلق
على من يهدي للطريق ويهدي لسداد الراي وغير ذلك فاذا قلت ينادي للايمان
ويهدي للاسلام فقد رفعت من شان المنادي والهادي وفخمته ويقال دعاه

لكذا او الي لكذا ونَدَبهُ له واليه ونادا له واليه ونحوه هداه للطريق واليه و
ذلك لتضمّن معنى انتهاء الغاية ومعنى الاختصاص واقعان جميعًا والمنادي هو الرسول
ادعوا الي الله ادعُ الي سبيل ربك وعن محمد بن كعب القرآن ان امنوا اي آمنوا او
بان آمنوا ذنوبنا كبايرنا سياتنا صغايرنا وتوفنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدو
دين من جملتهم والابرار جمع بَرٍّ او بارٍّ كربّ وارباب وصاحب واصحاب على
رسلك على هذه صلة للوعد في قولك وعد الله الجنة على الطاعة والمعنى وعدتنا
على تصديق رسلك الا تراه كيف اتبع ذكر المنادي للايمان وهو الرسول وقوله
امنا وهو التصديق ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف اي ما وعدتنا منزلا على رسلك
او محمولا على رسلك لان الرسل يحملون ذلك فانما عليهم ما حُمّل وقيل على السنة رسلك
والموعود هو الثواب وقيل هو النصر على الاعداء كيف دعوا الله بانجاز
ما وعد الله لا يخلف الميعاد معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم اسباب
انجاز الميعاد او هو باب من اللجاء الي الله تعالي والخضوع له كما كان الانبياء عليهم
السلام يستغفرون مع علمهم انهم مغفور لهم تقصدون بذلك التذلل لربهم
والتضرع اليه واللجاء الذي هو سيما العبودية يقال استجاب له واستجابه
قال فلم يستجبه عند ذاك مجيب اني لا اضيع قرئ بالفتح على حذف الباء وبالكسر
على ارادة القول وقرئ لا اضيّع بالتشديد من ذكر او انثى بيان لعامل بعضكم
من بعض اي يجمع ذكوركم واناثكم اصل واحد وكل واحد منكم من الآخر
اي من اصله او كانه منه لفرط اتصالكما واتحادكما وقيل المراد وصلة الاسلام وهذه جملة
معترضة بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد
الله عبادة العاملين وروي ان ام سلمة قالت يا رسول الله اني اسمع الله

يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا تفصيل لعمل العامل
منهم على سبيل التعظيم له والتفخيم كانه قال فالذين عملوا هذه الاعمال السنية الفائقة
وهي المهاجرة عن اوطانهم فارين الي الله بدينهم من دار الفتنة واضطروا الي الخروج
من ديارهم التي ولدوا فيها ونشاوا بما سامهم المشركون من الخسف واوذوا في سبيلي
من اجله وبسببه يريد سبيل الدين وقاتلوا وقتلوا وغزوا المشركين واستشهدوا و
قرئ وقتلوا بالتشديد وقتلوا وقاتلوا على التقديم بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقتلوا
على بناء الاول للفاعل والثاني للمفعول وقتلوا وقاتلوا على بنائهما للفاعل ثوابا في موضع
المصدر المؤكد بمعنى اثابة وتثويبا من عند الله لان قوله لاكفرن عنهم سيئاتهم ولا
دخلنهم في معنى لاثيبنهم وعنده مثل اي يختص به وبقدرته وبفضله لا يثيبه غيره
ولا يقدر عليه كما يقول الرجل عندي ما تريد يريد اختصاصه وملكه وان لم يكن
بحضرته وهذا تعليم من الله كيف يدعى وكيف يبتهل اليه ويتضرع وتكرير ربنا من
باب الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاجابة وحسن الاثابة من احتمال المشاق
في دين الله والصبر على صعوبة تكاليفه وقطع لاطماع الكسالى المتمنين عليه وتسجيل على
من لا يرى الثواب موصولا اليه بالعمل بالجهل والغباوة وروي عن جعفر الصادق
رضي الله عنه من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد
وقرا هذه الآية وعن الحسن رضي الله عنهم قالوا خمس مرات ربنا ثم اخبر انه استجاب
لهم الا انه اتبع ذلك رافع الدعاء وما يستجاب به فلا بد من تقديمه بين يدي الدعاء
لا يغرنك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد اي لا تنظر الي ما هم
عليه من سعة الرزق والمضطرب ودرك العاجل واصابة حظوظ الدنيا ولا تغتر

الجبار العاتي المحسن قبول النصيحة والساعي بالجيش للتعدية
ويلتمس ضافنا أنزل بنا ضيفاً يعني إذا نزل الجيش
ضيفاً أو من الجيش ضيفنا والمرهفات السيوف المحددة
والنزل ما يهيأ للنازل جعلنا نزلاً على سبيل التهكم

بظاهر ما ترى من تبسطهم في الأرض وتصرفهم في البلاد يتكسبون ويتجرون ويتدهقنون
عن ابن عباس هم أهل مكة وقيل هم اليهود وروي أن ناساً من المؤمنين كانوا يرون
ما كانوا فيه من الخصب والرخاء ولين العيش فيقولون إن أعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا
من الجوع والجهد   كيف جاز أن يغتر رسول الله بذلك حتى ينهى عن الاغترار
به   فيه وجهان أحدهما أن مدره القوم ومقدمهم يخاطب بشيء فيقوم خطابه
مقام خطابهم جميعاً فكأنه قيل لا يغرنكم والثاني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غير
مغرور بحالهم فأكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه كقوله ولا تكن من الكافرين ولا
تكونن من المشركين ولا تطع المكذبين وهذا في النهي نظير قوله في الأمر اهدنا الصراط
المستقيم يا أيها الذين آمنوا آمنوا وقد جعل النهي في الظاهر للتقلب وهو في المعنى للمخاطب
وهذا من تنزيل السبب منزلة المسبب لأن التقلب لو غره لاغتر به فمنع السبب
ليمتنع المسبب وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة متاع قليل خبر مبتدأ محذوف
أي ذلك متاع قليل وهو التقلب في البلاد أراد قلته في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة
أو في جنب ما أعد الله للمؤمنين من الثواب أو أراد أنه قليل في نفسه لانقضائه
وكل زائل قليل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما
يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع وبئس المهاد وساء ما مهدوا لأنفسهم
النزل والنزل ما يقام للنازل قال أبو الشعر الضبي وكنا إذا الجبار بالجيش ضافنا
جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه إما على الحال من جنات لتخصصها بالوصف
والعامل اللام ويجوز أن يكون بمعنى مصدر مؤكد كأنه قيل رزقاً أو عطاء من عند
الله وما عند الله من الكثير الدائم خير للأبرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل

وقرأ مسلمة بن محارب والأعمش نزْلاً بالسكون وقرأ يزيد بن القعقاع لكنّ الذين
اتقوا بالتشديد وإن من أهل الكتاب عن مجاهد نزلت في عبد الله بن سلام وغيره
من مسلمة أهل الكتاب وقيل في أربعين من أهل نجران واثنين وثلاثين من أهل
الحبشة وثمانية من الروم وكانوا على دين عيسى عليه السلام فأسلموا وقيل في أصحمة
النجاشي ملك الحبشة ومعنى أصحمة عطية بالعربية وذلك أنه لما مات نعاه جبريل
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات في غير أرضكم
فخرج إلى البقيع ونظر إلى أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشي وصلى واستغفر له وقال
المنافقون انظروا إلى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت
ودخلت لام الابتداء على اسم إن لفصل الظرف بينهما وإن منكم لمن ليبطئن وما
أنزل إليكم من القرآن وما أنزل إليهم من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يؤمن
لأن من يؤمن في معنى الجمع لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً كما يفعل من لم يسلم من
أحبارهم وكبارهم أولئك لهم أجرهم عند ربهم أي ما يختص بهم من الأجر وهو ما وعدوه
في قوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين يؤتكم كفلين من رحمته إن الله سريع الحساب
لنفوذ علمه في كل شيء فهو عالم بما يستوجبه كل عامل من الأجر ويجوز أن يراد إن ما توعدون
لآت قريب بعد ذكر الموعد اصبروا على الدين وتكاليفه وصابروا أعداء الله
في الجهاد أي غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا أقل صبراً منهم وثباتاً
والمصابرة باب من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه تخصيصاً لشدته
وصعوبته ورابطوا وأقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين
للغزو قال الله تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن

النبي صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة
في سبيل الله كان كمثل صيام شهر وقيامه
لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته الا لحاجة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرا سورة آل عمران اعطي بكل آية
منها امانا على جسر جهنم وعنه
صلى الله عليه وسلم من
قرا السورة التي يذكر
فيها آل عمران يوم
الجمعة صلى الله
عليه وسلم
وملائكته
حتى
تحجب
الشمس
(لا تغرب)

Süleymaniye Ü[illegible] Kütüphanesi
Fatih
342

واختلفوا في الاعراف فقال ابن عباس الاعراف شيء مرتفع وقال قتادة الاعراف حائط بين الجنة والنار وقال مجاهد الاعراف سور
ومن طريق اللغة الاعراف جمع عرف وهو كل مرتفع من الارض [illegible] قال السدي سمي الاعراف اعرافا لان اصحابها يعرفون اهل الجنة
واهل النار واختلفوا في اصحاب الاعراف فقال ابن عباس هم الذين استوت حسناتهم مع سيئاتهم وقال مجاهد العلماء والفقهاء الذين في
الرزق وروي انه سئل رسول الله صلعم عن اصحاب الاعراف فقال هم قوم قتلوا في سبيل الله وهم عصاة لآبائهم فمنعوا دخول الجنة بمعصية
آبائهم ومنعهم دخول النار قتلهم في سبيل الله وروى ابو صالح عن ابن عباس قال اصحاب الاعراف اولاد الزنا قال سمعت ابن حبيب
يقول سمعت ابن الاشعث يقول بلغني ان اصحاب الاعراف هم المؤمنين يراؤون باعمالهم منعهم دخول الجنة ريائهم ومنعهم دخول النار
ايمانهم وروى عبد الوهاب بن مجاهد عن ابيه قال اصحاب الاعراف اقوام رضي عنهم اباؤهم دون امهاتهم فلم يدخلهم الجنة لآبائهم وامهاتهم
غير راضين عنهم ولم يدخلهم النار رضاء ابائهم وامهاتهم قال ابن حبيب رايت في بعض التفاسير ان اصحاب الاعراف هم اولاد المشركين
يعرفون كلا بسيماهم يعرفون اهل الجنة ببياض وجوههم واهل النار بسواد وجوههم والسيماء في العلامة ثلاث لغات سيماهم وسماهم
وسيماءهم بالمد [illegible] الاول
نقل من الغاية

ولد محمد بن بايزيد [illegible]

هجرة النبي عليه الصلوة والسلام تسع وعشرون

وثمانمائة

وقاسم بن عمر بن بايزيد اقل من محمد المذكور

خمسة سنة